الشفاعات الدنيوية في الأندلس

في دولة المرابطين

(٤٨٣هـ - ٥٢٠هـ/ ١٠٩٠م - ١١٢٦م)

الشفاعات الدنيوية في الأندلس في دولة المرابطين

((٤٨٣هـ - ٥٢٠هـ/ ١٠٩٠م - ١١٢٦م)

دراسة

دكتور

محمد سعيد عبد ربه أبو يوسف





ببلومانيا للنشر والتوزيع



نوع العمل: دراسة

اسم العمل: الشفاعات الدنيوية في الأندلس

اسم المؤلف: د. محمد سعيد عبد ربه

اعداد ومراجعة: فريق ببلومانيا

تصميم الغلاف: ببلومانيا

رقم الإيداع: ٢٠١٨/٢٢٢٣٩

الترقيم الدولي (ISBN): 978-977-6607-76-5

الناشر /دار ببلومانيا للنشر والتوزيع

المدير العام / جمال سليمان

تليفون /26061014 (20+)

هاتف محمول/ 1208868826 (20+) - 1065534541 (20+)

صفحة الدار على موقع فيسبوك:

https://www.facebook.com/bibliomania.eg/

الموقع الإلكتروني: www.ebibliomania.com

الطبعة الأولى ١٤٤٠ هـ - ٢٠١٨ م



الإهداء

إلى الأستاذ الدكتور / إبراهيم عبد المنعم سلامة أبو العلا، أستاذ التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية بكلية الآداب جامعة الإسكندرية، الذي زين الدراسة بعلمه وخبرته وسهل لي الطرق المعبدة.

إلى أساتذة التاريخ الإسلامي بكلية الآداب جامعة الإسكندرية، الذين قدموا لي يد العون والمساعدة، ولم يبخلوا بمعلومة أو فكرة أو خاطرة كانت سنداً لي في هذا المبحث.

إلى أمي، إلى اليد البيضاء التي تعطي بلاحدود، التي أعطت فما بخلت، وجادت بزهرة عمرها دون كلل أو ملل.

إلى أبي، لكل شجرة باسقة جذور، فلولا هذه الجذور ما كانت الشجرة العالية، شكراً لك يا أبي.

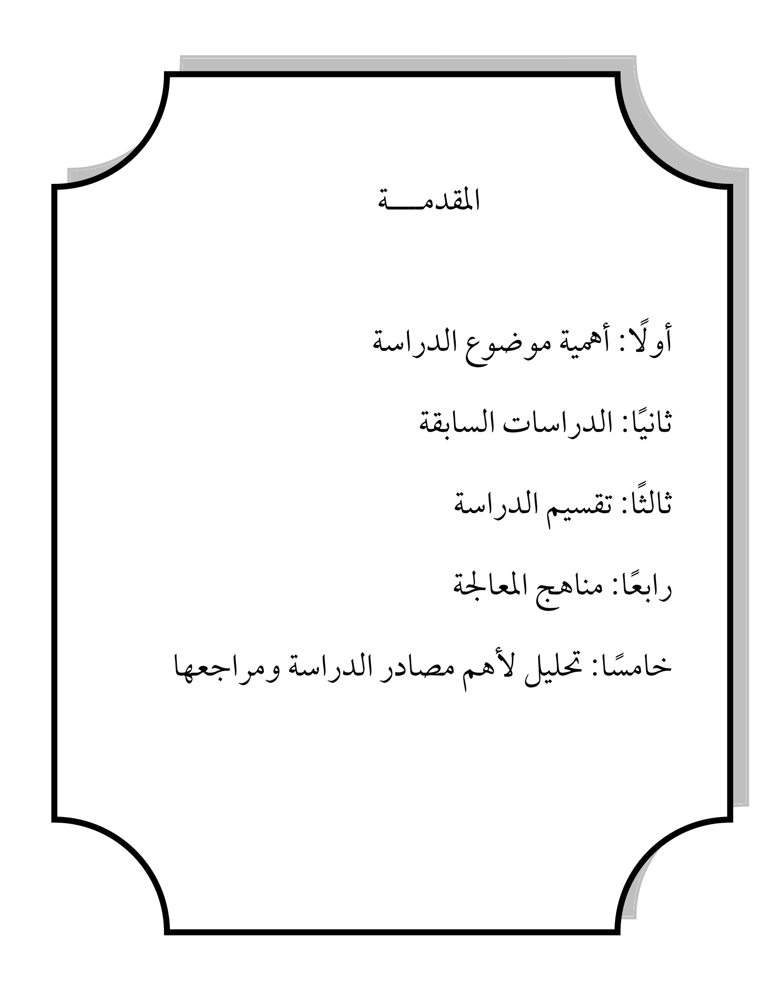
إلى رفيقتي في هذا الدرب، وشريكة كفاحي، وباعثة الأمل نحو مستقبل يملؤه الحب والعطاء، إلى زوجتي.

إذا كانت الشجرة لا تكون إلا بالجذور، فلا شجرة بلا ثمار يانعة، إلى أبنائي.

لكل رجل طموح ظهور تحميه، وتحيطه،وتسانده إلى إخوتي وجميع أهلي.

وإلى جميع القراء، أقدم لكم هذا العمل راجيًا من الله أن يكون فيه النفع، والفائدة، وأن ينال رضاكم.

المؤلف



المقدمـــة

أولًا: أهمية موضوع الدراسة

ثانيًا: الدراسات السابقة

ثالثًا: تقسيم الدراسة

رابعًا: مناهج المعالجة

خامسًا: تحليل لأهم مصادر الدراسة ومراجعها

المقدمة

الشفاعة هي السؤال في التجاوز عن الخطايا والذنوب والجرائم أو تخفيف عقوباتها ومنها: الشفاعة العظمى، وتتعلق بأمور الآخرة، ويشفع فيها النبي صلى الله عليه وسلم، والملائكة، والشهداء، والمؤمنون، والعالم منهم والعابد، لأهل الكبائر يوم الحشر(١)، وقد وردت أحاديث كثيرة عن شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم منها قوله صلى الله عليه وسلم: " شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي"(٢)، وتتواتر أحاديث بصياغات مختلفة عن شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم يوم القيامة للمذنبين ولأهل الكبائر(٣)، غير أن هناك أيضًا الشفاعات الدنيوية، وتتعلق بأمور الدنيا وهي نوعان: حسنة وسيئة، الشفاعة الحسنة هي التي يراعى بها حق المسلم، فيدفع بها شر عن غيره أو يجلب لغيره الخير، وأما الشفاعة السيئة فهي إساءة القول في الناس لينالوا بها الشر، وتكون في معصية الله ابتغاء جاهٍ أو مكانة أو غيره، ولكنها ليست مشروعة، وفي الحديث القدسي

---

(١)أبو داود، سنن أبي داود، طبعة محمد محي عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، بدون تاريخ، ج٣، رقم ٢٥٢٢، ص١٥؛ إبراهيم عبد المنعم سلامة أبو العلا، الشفاعات الدنيوية في الأندلس (منذ الفتح الإسلامي حتى نهاية عصر الدولة العامرية)، دار المعرفة، الإسكندرية، ٢٠١٣م، ص٣١.

(٢)الترمذي، الجامع الصحيح، تحقيق إبراهيم عطوة عوض، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ، رقم٢٤٣٥، ص٦٢٥؛ عصام الدين الصبابطي، جامع الأحاديث القدسية، دار القلم للتراث، القاهرة، بدون تاريخ، (كتاب الشفاعة)، ج٣، ص٣٠٩-٣٦٠.

(٣)مصطفى محمود، الشفاعة محاولة لفهم القديم بين المؤيدين والمعارضين، مؤسسة أخبار اليوم، القاهرة، ١٩٩٩م، ص١١.

يقول الله عز وجل: " عبادي الخير بيدي والشر بيدي، فطوبى لمن قدرت على يده الخير، وويل لمن قدرت على يده الشر "(١).

تناولت في هذه الدراسة الشفاعات الدنيوية في الأندلس في عصر المرابطين من عام ٤٨٣هـ/ ١٠٩٠م منذ خلع ملوك الطوائف بالأندلس حتى عام ٥٢٠هـ/ ١١٢٦م، وقد توقفت عند ذلك التاريخ، فقد توفي في ذلك العام ابن رشد، وكنت قد اعتمدت عليه في كتابة بعض الشفاعات خاصة الشفاعات والوساطات الاجتماعية، كما شهدت الأحداث ما بعد ذلك التاريخ، تعرض دولة المرابطين لهزائم متلاحقة ومتتالية في الأندلس على أيدي النصارى الأسبان، وقيام الثورات، واضطراب الدولة، حتى سقوطها بالأندلس في عام ٥٣٧هـ/ ١١٤٣م.

المؤلف

(١)الغزالي، إحياء علوم الدين، تحقيق بدوي طبانة، مكتبة ومطبعة كرباطة، إندونيسيا، بدون تاريخ، ج٤، ص٥١١.

أولًا: أهمية موضوع الدراسة:

يتعلق موضوع الدراسة بالشفاعات الدنيوية في الأندلس في عصر دولة المرابطين منذ خلع ملوك الطوائف ٤٨٣هـ/ ١٠٩٠م، وحتى وفاة ابن رشد عام ٥٢٠هـ/ ١١٢٦م، فقد تناول البحث الشفاعات والوساطات التي بذلت في تلك الفترة، وألقي عليها الضوء، فالمجتمع الأندلسي كبقية المجتمعات الإسلامية في الشرق والغرب مجتمع به بعض التكافل، يأخذ الأقوياء والقادرون فيه بيد الضعفاء، وغير القادرين، فليس كل واحد يستطيع أن يدفع عن نفسه الأذى أمام ولاة الأمور، أو يرفع إليهم حاجته ومسألته؛ فقد تعرض بعض القادة العسكريين، وولاة الأقاليم، وكبار رجال الدولة والحاشية لنقمة الحكام وسخطهم، كما تعرض بعض العبيد والجواري لغضب ساداتهم، كما نال بعض المتمردين والثوار العديد من الشفاعات، ووجد بعض العلماء المجددين صعوبة في نشر العلوم الجديدة النافعة للناس، وواجهوا بسببها حربًا ضروسًا من العلماء التقليديين، واتهم بعض الأندلسيين بالهرطقة والزندقة، واتهم بعضهم الآخر بانتقاد سياسة حكام الأندلس وثلب رعاياهم، وكان لبعض أهل الأندلس حاجات مختلفة يلتمسون قضاءها من ولاة الأمور، كما تطلع بعضهم لبلوغ مكانة عالية عندهم، وشغل المناصب العالية، فقام وجهاء القوم وكبراؤهم،

والصلحاء والزهاد، وغيرهم بالشفاعة لكل هؤلاء، وتوسطوا لقضاء حاجاتهم(١).

كذلك تعرض بعض أهالي الأندلس للظلم من ولاة الأقاليم في غياب سلطة الدولة المرابطية، وعانى بعضهم من تسلط جيرانهم وإخوانهم، وحلت بالجميع الكوارث والنكبات الطبيعية، فتشفعوا إلى الله بدعوات الزهاد والعباد الصالحين مجابي الدعوة، ليرفع عنهم ما هم فيه، كما سعى بعض الأندلسيين للحصول على مغانم دون استحقاق في مجالات عديدة، فلجأوا إلى الوساطة والبذل والرشاوى، لنيلها.

وقد واجهت في هذا الكثير من الصعاب، أهمها ندرة المصادر الأصلية لهذه الفترة موضوع الدراسة، فقد تعرض المرابطون لعداء الموحدين (٥٣٩-٦٢٠هـ/ ١١٤٤-١٢٢٣م) الذين عملوا على الإساءة إليهم، فمحوا آثارهم وشوهوا تاريخهم ورموهم بكل نقيصة، وقد عمد كثيرون منهم إلى تجريح المرابطين وتشويه صورتهم، كما تعرضت دولة المرابطين لكراهية أدباء الأندلس الذين دفعتهم عصبيتهم الأندلسية إلى احتقار هؤلاء اللمتونيين واعتبارهم أغرابًا دخلاء استولوا على بلادهم باسم الجهاد، متناسين دورهم في إنقاذ الإسلام في الأندلس، ورغم أهمية موضوع بحث الشفاعات الدنيوية في

---

(١)أبو العلا، الشفاعات الدنيوية، ص١٥.

الأندلس في عصر المرابطين إلا أن مصادره عزيزة، فيجد الباحث في كثير من المظان عبارات مبهمة وإشارات خاطفة وإيماءات خفية، ومع ذلك فقد حاولت أن أشيد من تلك الحصيات بناءً وأن أشكل من تلك المتفرقات نظامًا.

ومن الصعوبات أيضًا التي واجهتها عند دراسة هذا الموضوع، تحصيل المادة العلمية وتصنيفها، فهي متناثرة في بطون المصادر الأندلسية المختلفة، فبالإضافة إلى المادة المصدرية الموجودة في الحوليات التاريخية، توجد مصادر أخرى ذات صلة بالتاريخ حوتها كتب الأدب نثرًا وشعرًا، وكتب التراجم والطبقات، وكتب الجغرافيا، وكتب السياسة، وكتب الفقة وغيرها.

ثانيًا: الدراسات السابقة:

اهتم كثير من المفكرين والمتخصصين في مجال الدراسات الإسلامية بموضوع الشفاعة، غير أن اهتمامهم اقتصر على الشفاعة العظمى التي تتعلق بأمور الآخرة، وإشكالية الإيمان بها أو نفيها، وأشاروا فقط إلى الشفاعة الدنيوية في معرض حديثهم عن تفسير آية الشفاعة، وأنواع الشفاعات، ونذكر من دراساتهم: الشفاعة في الإسلام للدكتور محمد أحمد المسير (ت١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م)[١]، والشفاعة للدكتور مقبل بن هادي الوادعي(ت١٤٢٢هـ

(١)محمد أحمد المسير، الشفاعة في الإسلام، دار مكتبة الحياة للنشر والطباعة، القاهرة، ١٩٩٠م .

/ ٢٠٠١م)[١]، والشفاعة محاولة لفهم القديم بين المؤيدين والمعارضين للدكتور مصطفى محمود(ت ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م) [٢]، والشفاعة في ضوء الكتاب والسنة للدكتور أحمد عمر هاشم[٣]، وغيرها، ورغم إقدام الباحثين على دراسة جوانب المجتمع الأندلسي، وتعدد مصنفاتهم في هذا المجال، إلا أنه مازال حقلًا خصبًا للبحث التاريخي، واتجاهًا يحتاج إلى مزيد من الاستقصاء والدراسة، ولم تحظ الشفاعات الدنيوية في الأندلس باهتمام الباحثين، رغم أهميتها وأثرها في كافة نواحي المجتمع، وتوجيه مجريات التاريخ، فلم يخصصوا لدراستها بحوثًا مفردة قائمة بذاتها، غير بحث الشفاعات الدنيوية في الأندلس منذ الفتح وحتى سقوط الدولة العامرية للأستاذ الدكتور إبراهيم عبد المنعم سلامة[٤]، تناول الشفاعات الدنيوية بشكل مباشر وسنعرض له ولأهميته لاحقًا، أما باقي الباحثين فقد ركزوا على ما كان للحكام – أمراء وخلفاء – من أعمال وإنجازات وغزوات وفتوحات وتحدثوا عن الجوانب السياسية والحضارية، وتعرضوا للشفاعات الدنيوية بإشارات متفرقة وردت عرضًا في مصنفاتهم عن الحياة الدينية،

---

(١)أبو عبد الرحمن مقبل بن هادي الوادعي، الشفاعة، الطبعة الثالثة، مؤسسة الريان، بيروت، ١٩٩٩م.

(٢)مصطفى محمود، الشفاعة، ص١٢-١٣ .

(٣)أحمد عمر هاشم، الشفاعة في ضوء الكتاب والسنة، أطلس للنشر، القاهرة، ٢٠٠٤م .

(٤)أبو العلا، الشفاعات الدنيوية، ص١٤-٢٨ .

والأدبية، والفكرية، والاجتماعية، وتاريخ الأندلس العام، نذكر منها: تاريخ الفكر الأندلسي لآنخل جنثالث بالنثيا[1]، وتاريخ بطليوس الإسلامية وغرب الأندلس في العصر الإسلامي للأستاذ الدكتور سحر السيد عبد العزيز سالم[2]، وعصر المرابطين والموحدين، ودول الإسلام في الأندلس للأستاذ محمد عبد الله عنان[3]، وموسوعة تاريخ الأندلس وشيوخ العصر في الأندلس للدكتور حسين مؤنس[4]، وتاريخ قرطبة للأستاذ الدكتور السيد عبد العزيز سالم[5]، ودراسات في تاريخ المغرب والأندلس للأستاذ الدكتور أحمد مختار العبادي[6]، ومحاضرات في تاريخ الغرب الإسلامي وحضارته للأستاذ الدكتور كمال السيد

---

(١)آنخل جنثالث بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، نقله عن الإسبانية حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٩٥٥م .

(٢)سحر السيد عبد العزيز سالم، تاريخ بطليوس الإسلامية وغرب الأندلس في العصر الإسلامي، الإسكندرية، ١٩٨٧م.

(٣)محمد عبد الله عنان، عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، الطبعة الثانية، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٠م.

(٤)حسين مؤنس، شيوخ العصر في الأندلس، الطبعة الرابعة، دار الرشاد، القاهرة، ١٩٩٧م.

(٥)السيد عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٩٧م.

(٦)أحمد مختار العبادي، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٩٧م.

أبو مصطفى[1]، والتاريخ السياسي والحضاري والحضارة الإسلامية للأستاذ الدكتور حمدي حسين[2].

كذلك فإن هؤلاء المتخصصين في الدراسات الأندلسية لم يشيروا إلى أنواع الشفاعة، وأسبابها، ودوافع اختيار المشفوع لهم لشفعائهم، وأسباب بذلهم الشفاعة لهم، وكذلك أسباب قبول المشفوع عندهم للشفاعة أو رفضها.

ثالثًا: تقسيم الدراسة

اقتضت طبيعة موضوع الدراسة أن يُقسم إلى مقدمة، ودراسة تمهيدية، وثلاثة عشر فصلًا وخاتمة. وقد تناولت في المقدمة أهمية الموضوع، والدراسات السابقة، وتحليل لأهم المصادر، وتقسيم البحث، أما الدراسة التمهيدية فكانت عن مفهوم الشفاعة الدنيوية لغةً واصطلاحًا، تناولت فيها مفهوم الشفاعة لغةً، والشفاعة الدنيوية اصطلاحًا، وأصناف الشفاعة، وأسباب الشفاعة الدنيوية،

---

(١)كمال السيد أبو مصطفى، محاضرات في تاريخ الغرب الإسلامي وحضارته، مركز الإسكندرية للكتاب، ٢٠٠٧م.

(٢)حمدي عبد المنعم حسين، الحضارة الإسلامية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٨م.

وحددتها بالأسباب الدينية، والأسباب السياسية، والأسباب الإدارية، والوشائج الاجتماعية، والحسد والغيرة كانت من أسباب الشفاعات الدنيوية.

فتناول الفصل الأول الشفاعات الدنيوية في عصر ملوك الطوائف كتمهيد تاريخي للفترة موضوع الدراسة، فشملت: شفاعات للحكام وكبار رجال الدولة من نقمة الحكام، وشفاعات عن الأسرى والثوار، ووساطات لقضاء الحاجات عند ولاة الأمور، ووساطات في نشر العلوم الدينية، وشفاعات في الأوساط الاجتماعية الراقية، ووساطات لشغل المناصب الرفيعة، وشفاعات في منتقدي سياسة الحكام، والتشفع إلى الله بالأعمال الطيبة وبالزهاد والصالحين، والشفاعة في الحدود.

وخصصت الفصل الثاني للحديث عن الشفاعات التي بذلت لكبار رجال الدولة من نقمة الحكام وسخطهم، ومنها: ارتفاع مكانة الكاتب أبي بكر ابن القصيرة، ووساطة لرد أملاك أبو عبد الرحمن محمد بن طاهر، وعزل أمير المسلمين علي بن يوسف للقاضي ابن منظور، وتغير أمير المسلمين علي ابن يوسف على القاضي أبي عبد الله بن شِبرين، وسعاية القاضي أبو عبد الله ابن حمدين بالفقيه أبي الحسن المقريء (البرجي)، وتغير أمير المسلمين علي ابن يوسف على عماد الدولة بن هود، وغضب أمير المسلمين علي بن يوسف من القاضي أبي علي الصدفي، وسعاية بالوزير أبي الوليد بن سقبال، وسعاية بأبي بكر

ابن سعيد، وتغير أمير المسلمين علي بن يوسف على ابن الطبيب أبي العلاء ابن زهر، وعزل القاضي أبي محمد عبد الله بن الوحيدي، وتغير أمير قرطبة على أبي عبد الله الذهبي، وتغير الأمير مزدلي على الوزير الكاتب أبي القاسم ابن السقاط، وتغير أمير المسلمين علي بن يوسف على والي غرناطة، وتغير عماد الدولة بن هود صاحب سرقسطة على القائد أبي عمرو بن ياسر، وتغير ناصر الدولة حاكم ميورقة على أبي بكر بن اللبانة الداني، وأشرت أخيرًا إلى بعض الشفاعات التي بذلت للعفو عن كبار رجال الدولة من نقمة الحكام، ولم تذكرها المصادر بشكل مباشر.

وتناولت في الفصل الثالث شفاعات عن المعاهدين والثوار، والعفو عنهم وعقد صلح مع الحكومة المركزية ومنها: سعايات للنصارى المعاهدين بالأندلس، وشفاعات عن الثوار مثل: ثورة أبي بكر بن علي بن يوسف ٥٠٠هـ/ ١١٠٦م في غرناطة، وثورة ابن الحاج في قرطبة عام ٥٠٠هـ/ ١١٠٦م، وتمرد أهالي غرناطة وإشبيلية، وثورة أهل قرطبة ٥١٤هـ/ ١١٢٠م، وثورة أهالي الجزائر الشرقية (ميورقة).

وكان الفصل الرابع عن الوساطات التي بذلت لقضاء الحاجات عند ولاة الأمور والقضاة وأعوانهم بالأندلس وذكرت منها: وساطات لقضاء الحاجات عند ولاة الأمور بالأندلس، ووساطات لإسقاط المغارم أو تخفيفها،

ووساطات عند القضاة وأعوانهم. وأفردت الفصل الخامس للحديث عن الوساطة لنيل حرية نشر العلوم الدينية الجديدة النافعة للناس ومنها: السعاية بالفقيه أبي القاسم أصبغ الأزدي، وحرق كتاب إحياء علوم الدين للإمام الغزالي، والسعاية بابن العربي وعلومه.

وتناولت في الفصل السادس الشفاعات التي وقعت في الأوساط الاجتماعية، ومنها: شفاعات في الوسط العائلي، وشفاعات للعبيد والجواري ضحايا غضب ساداتهم، وشفاعات ووساطات للصلح في المنازعات. وفي الفصل السابع سلطت الضوء على الوساطات التي بذلت لشغل المناصب الرفيعة والحصول على امتيازات دون استحقاق، ومنها: الوساطات لشغل المناصب الرفيعة، ووساطات للحصول على امتيازات دون استحقاق، وتناولت في الفصل الثامن الشفاعات عن المهرطقين والزنادقة، ومنتقدي سياسة حكام الأندلس وثلاب[1] رعاياهم.

وأفردت الفصل التاسع للحديث عن التشفع إلى الله بالزهاد والصالحين ومجابي الدعوة، فذكرت أن أهل الأندلس كانوا يستشفعون إلى الله بدعائهم في مناسبات مختلفة، ليحقق لهم رجاءهم، ومنها: أوقات الكوارث الطبيعية كالقحط، والمجاعات، ولتفريج الكربات، ولرفع ظلم الحكام وضرر

---

(١)تلطخ بالعيوب.

الإخوان. وأما الفصل العاشر من الدراسة فقد خصصته للحديث عن الشفاعة في الحدود، وتناولت فيه تحريم الإسلام الشفاعة الدنيوية في الحدود، وأشرت إلى تباين مواقف أهل الأندلس من الشفاعات في الحدود، وكان عنوان الفصل الحادي عشر أثر توبة المشفع له، وضمان الشفعاء في قبول الشفاعة، وتحدثت فيه عن أثر توبة المشفوع لهم في قبول الشفاعة فيهم والتجاوز عنهم، وأتبعت ذلك بالحديث عن تعهد الشفعاء بعدم عودة المشفوع لهم إلى ما ارتكبوه من الذنوب، واقتدت طبيعة المنهج تخصيص الفصل الثاني عشر لدراسة موقف المشفوع لهم من رفض الشفاعة وتأخر الاستجابة لها، فقد تباينت مواقفهم، فقام بعضهم بهجاء المشفوع عنده، ورضي بعضهم بالقضاء والقدر.

ولما كانت الشفاعات السيئة معلمًا بارزًا من معالم الشفاعات الدنيوية فقد أفردت لها الفصل الثالث عشر من الدراسة مع بسطة في التناول وتحليل للأحداث، ومتابعة لكيد مدبريها، ومنها: كيد أبي العلاء بن زهر للقاضي ابن منظور عند أمير المسلمين، وسعي الشاعر المخزومي الأعمى بوالي غرناطة أبي بكر بن سعيد، وسعى كبار فقهاء قرطبة وقضاتها بكتاب الإحياء لمنع انتشاره، وسعى بني حسون في مالقة في تجريح القاضي أبي محمد عبد الله ابن الوحيدي، ووشاية عند أمير المسلمين علي بن يوسف لإسقاط مرتبة الأمير مزدلي، وسعاية أهالي قرطبة عند الوالي بالفقيه أبي عبد الله الذهبي، وتأليب

الوزير مالك بن وهيب لأمير المسلمين علي بن يوسف على الطبيب ابن زهر.ثم كانت خاتمة الدراسة تحليل لأهم نتائج الدراسة وما تم التوصل إليه.

رابعًا: مناهج المعالجة

اعتمدت على المنهج التاريخي، ودوره في الدراسة غني عن التعريف، فقد أورد للتسلسل الزمني، فقد رأيت من باب الضرورة أن أقدِم للشفاعة، ثم أعرضها حسب التسلسل التاريخي، مشيرًا إلى مكانة الشفعاء التي دفعت طلاب الحاجات لقصدهم، ليشفعوا لهم، وألمحت إلى حالة أمراء الأندلس في عصر المرابطين بين الحلم والغضب.

وقد اعتمدت على المنهج الاستقرائي؛ لقراءة النصوص الأندلسية، وتتبعها في المصادر الأندلسية بوجه خاص، ثم عولت على منهج يقوم على جمع النصوص المشتتة من مظانها التاريخية الأصلية، والاستعانة بالمصادر الأدبية، والفقهية والجغرافية، وكل ما يتضمن إيماءات مفيدة وشذرات ذات قيمة لاقتحام الجوانب المضببة من الموضوع، ثم ترتيبها وتنسيقها حسب التقسيمات المطروحة، وقراءتها قراءة مؤسسة تمتد عبر مساحات معرفية متنوعة تسعى إلى التفسير والنقد وكشف أبعاد النص فيما يعرف بالمنهج التحليلي الاستقرائي (الهرمونيطقيا).وقد عول بعض المؤرخين في كتاباتهم على المنهج التحليلي الاستقرائي كمنهج نقدي لتفسير وقائع التاريخ بوجه عام، واعتمدوا التعويل عليها في الكتابة التاريخية، والهرمونيطقيا علم لتفسير ظواهر العلوم الاجتماعية والإنسانية من خلال لغة نصوصها، والغوص وراء دلالاتها المستترة

والمستنبطة[1]، وقد كان للمنهج التحليلي في التعقيب ومناقشة بعض القضايا الواردة في الدراسة دور كبير في التوصل إلى حقائق تاريخية.

كما اتبعت المنهج الوصفي لوصف بعض الكيفيات والوصفات والحالات، كما اعتمدت على المنهج المقارن عند معالجة أسلوب تعامل أمير المسلمين يوسف بن تاشفين مع كلٍ من: الأمير عبد الله صاحب غرناطة، والمعتمد بن عباد صاحب إشبيلية، عند عزلهما، فقد أكرم أمير المسلمين الأول بعد عزله لصلة القرابة والعصبية، وأهان الآخر أي المعتمد عند عزله، كما استخدمته في مقارنة أسلوب تعامل أمير المسلمين علي بن يوسف مع تمرد غرناطة وإشبيلية، وطريقة تعامله مع ثورة قرطبة، فاتبع مع تمرد غرناطة وإشبيلية التهديد الخفيف، أما ثورة قرطبة فخرج إليهم بنفسه وحاصرهم وقاتلهم.

كذلك عولت في الدراسة على التفسير الإسلامي للتاريخ، فذكرت أن الأسباب الدينية كانت من أهم أسباب الشفاعة، فقد سعى كثير من الأندلسيين لينالوا الثواب العظيم الذي وعد به الله ورسوله أولئك الذين يشفعون

---

(١)محمود إسماعيل عبد الرازق، قراءات نقدية في الفكر العربي المعاصر ودروس في الهرمينيطقا التاريخية، دار مصر العربية، القاهرة، ١٩٩٨م، ص٩٣؛ أبو العلا، الشفاعات الدنيوية، ص٢٢.

لإخوانهم شفاعة حسنة، سواء قضيت أو لم تقضَ، وشفع البعض لجيرانهم إحقاقًا لذمة الجوار التي حض عليها الإسلام.

خامسًا: تحليل لأهم مصادر الدراسة ومراجعها

أ- المصادر

عرف تاريخ دولة المرابطين بقلة المصادر التي وصلت لنا عنه، لأن أعداء هذه الدولة وعلى رأسهم الموحدين قد قضوا على كل ما يشرف هذه الدولة المجاهدة فطمسوا معالم حضارتها ونهضتها، إلا أنه من حسن الحظ أن بعض المصادر والوثائق التي تعود إلى هذه الفترة قد وصلت إلينا، وإذا أضفنا إليها المصادر الثانوية وكتب التراجم فإننا نستطيع أن نمضي قدمًا في دراسة هذه الدولة، وقد قمت بترتيب المصادر وعرضها حسب الأقدمية التاريخية.

أولًا: المصادر التاريخية

١- ابن بلقين (الأمير عبد الله الزيري الصنهاجي ملك غرناطة) كان حيًا ٤٨٣هـ/ ١٠٩٠م، ((مذكرات الأمير عبد الله الزيري المسماة بكتاب التبيان))

يمتد نسب الأمير عبد الله بن بلقين آخر ملوك غرناطة إلى أسرة بني زيري الصنهاجية[1]، وولد عبد الله سنة ٤٤٧هـ/ ١٠٥٦م، واعتلى عرش غرناطة في سنة ٤٦٩هـ/ ١٠٧٧م، واستمر يؤدي دوره إلى أن عزله المرابطون عن ملكه ونفي إلى مدينة أغمات الواقعة جنوبي المغرب الأقصى حيث قضى بقية عمره ٤٨٣هـ/ ١٠٩٠م[2]، وفي أغمات دون مذكراته الخاصة التي تتضمن أخبارًا تاريخية عن عصر ملوك الطوائف وقيام دولة المرابطين في الأندلس، وتعتبر هذه المذكرات وثيقة توضح حالة الانحلال السياسي والاجتماعي في عصر الطوائف.

وعلى الرغم من القيمة الكبيرة لهذه المذكرات كمصدر تاريخي موضوعي ومحايد، وبعيد عن التحيز، ومثال ذلك تحليل مؤلفها الصادق للأحداث وتعليله لسقوط ممالك الطوائف[3]، ومما يؤخذ على الأمير عبد الله تركيزه على تاريخ غرناطة، وعدم معالجته التاريخ الأندلسي عمومًا بالعمق[4]،

---

(١)الأمير عبد الله بن بلقين، التبيان (سلسلة المعتمد بن عباد ومصادره)، تحقيق د.أمين توفيق الطيبي، منشورات عكاظ، الرباط، ١٩٩٥م، ص١٧ من مقدمة المحقق.

(٢)ابن الخطيب، أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام، إ. ليڤيپروفنسال، الطبعة الثانية، دار المكشوف، بيروت، ١٩٥٦م، ق٢، ص٢٧٠.

(٣)الأمير عبد الله، التبيان، ص١٩-٢٠ من مقدمة المحقق؛ سحر عبد العزيز، تاريخ بطليوس، ج١، ص٢٥.

(٤)الأمير عبد الله، التبيان، ص٢٧-٢٨ من مقدمة المحقق؛ محمد بن عبود، جوانب من الواقع الأندلسي في القرن الخامس الهجري، مطبعة النور، المغرب، ١٩٨٧م، ص٢٤٩.

ومن ثم فقد أغفل بعض التطورات والأحداث الهامة في تاريخ المغرب والأندلس(١).

تعتبر مذكرات الأمير عبد الله كما يذكر المستشرق الفرنسي ليڤي پروڤنسال وثيقة تحليلية من الطراز الأول، تساعد في الحكم على مظاهر الانحلال الاجتماعي والتفكك السياسي في الأندلس قبيل معركة الزلاقة ٤٧٩هـ/ ١٠٨٦م(٢)، بالإضافة إلى أنها تسد فراغًا كبيرًا ومهمًا في تاريخ الأندلس ابتداءً من الفترة التي تنتهي عندها مؤلفات ابن حيان(٣).

---

(١)الأمير عبد الله، التبيان، ص ٢٧-٢٨ من مقدمة المحقق؛ إبراهيم عبد المنعم سلامة أبو العلا، مقدمة في مصادر التاريخ الإسلامي ومناهجه، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠١٦م، ص٢٨٢.

(٢)انتصر المسلمون في موقعة الزلاقة الأولى ٤٧٩هـ/ ١٠٨٦م، وذلك عندما وقف مسلموا الأندلس إلى جانب المرابطين بقيادة يوسف بن تاشفين صفًا واحدًا، وأعقب هذا النصر المرابطي انتصارات أخرى في اقليش والزلاقة الثانية ٥٢٨هـ/ ١١٣٣م، والتي خاضها تاشفين بن علي بن يوسف ضد عظماء قشتالة ومشهوري أبطالها على مقربة من الزلاقة موضع المعترك الذي انتصر فيه جده يوسف بن تاشفين على ألفونسو السادس ملك قشتالة وليون، فقد انتصر تاشفين بن علي على قوات الجيش المسيحي. (لمزيد من التفاصيل راجع : ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق د.محمد عبد الله عنان، الطبعة الثانية، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٧٣م، ج١، ص٤٥٢؛ سحر السيد عبد العزيز سالم، من جديد حول واقعة الزلاقة الثانية، ضمن بحوث ندوة الأندلس الدرس والتاريخ، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، ١٩٩٤م، ص٢٧٧-٢٩٤) .

(٣)أبو العلا، مقدمة في مصادر التاريخ الإسلامي، ص٢٨٢.

وقد أمدتنا مذكرات الأمير عبد الله بعدد كبير من الشفاعات والوساطات والسعايات سواء كانت في عصر الطوائف أو في عصر دولة المرابطين بالأندلس، من ذلك: السعاية بابن رشيق حاكم مرسية (٤٧٤-٤٨١هـ / ١٠٨١- ١٠٨٨م) عند أمير المسلمين يوسف بن تاشفين، ووساطة أم الأمير عبد الله لأخيه تميم صاحب مالقة، والسعايات التي بذلت لعزل الأمير عبد الله صاحب غرناطة، كما قدمت لنا معلومات عن الثورات في عهد الأمير عبد الله مثل: ثورة كَباب (٤٦٧هـ / ١٠٧٥م) وثورة مؤمل (٤٨٣هـ / ١٠٩٠م)، وعفو الأمير عبد الله عنهما.

٢- ابن القطان (أبو الحسن علي بن محمد الكتامي الفاسي) ت ٦٢٨هـ/ ١٢٣٠م، قطعة من كتاب نظم الجمان في أخبار الزمان

هو علي بن محمد بن عبد الملك بن يحيى الكتامي، من أهل مدينة فاس، وأصله من قرطبة، يعرف بابن القطان، ويكنى أبا الحسن، كان عالمًا بعلم الحديث، ورأس طلبة العلم في مراكش، ونال بخدمة السلطان دنيًا عريضةً، وامتحن بالفتنة الحادثة بالمغرب عام ٦٢١هـ/ ١٢٢٣م، فخرج من مراكش،

وعاد إليها، واضطرب أمره إلى أن توفي بسجلماسة، وهو متولي قضاءها من علة البطن ٦٢٨هـ/ ١٢٣٠م[١].

ما يزال كتاب نظم الجمان مخطوطًا من سبعة أجزاء، نشر الدكتور محمود علي مكي منه قطعة هي السفر رقم ١٣ من الكتاب، وتتناول أحداث الفترة من ٥٠٠هـ إلى ٥٣٣هـ، ومما أخذ على ابن القطان تعصبه للموحدين وتحامله على المرابطين، رغم تمجيده لهم في جهادهم ضد النصارى، وقد أفدت كثيرًا من تلك القطعة، في تناول بعض الشفاعات الدنيوية، خاصة تلك الشفاعة التي تخص حرق كتاب الإحياء للإمام الغزالي، كما أشار إلى عدد من الشفاعات الأخرى التي بذلت في عصر المرابطين[٢].

٣- ابن دحية (عمر بن الحسن بن علي بن محمد بن جميل بن دحية الكلبي) ت ٦٣٣هـ/ ١٢٣٥م، المطرب من أشعار أهل المغرب

من المصادر المهمة وهو لعمر بن الحسن بن علي بن محمد بن جميل ابن دحية الكلبي الأندلسي المعروف بابن دحية، الذي كان من أبرز المحدثين المغاربة الذين هاجروا إلى المشرق خلال القرنين السادس والسابع الهجريين، واختاروا

---

(١)ابن القطان، نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تحقيق محمود علي مكي، الطبعة الثانية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٠م، ص١٢-١٣ من مقدمة المحقق.

(٢)ابن القطان، نظم الجمان، ص٧٠-٧١؛ حمدي عبد المنعم محمد حسين، التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس عصر المرابطين، دار المعرفة، الإسكندرية، ١٩٩٧م، ص٢٣-٢٤.

المقام هناك، ورزقوا التقدم في الحديث على أهل تلك البلاد وكتاب المطرب أُلفَ بناءً على رغبة سلطان مصر الكامل الأيوبي (٥٧٦- ٦٣٥هـ / ١٢١٨- ١٢٣٨م) بعدما ارتحل ابن دحية إلى القاهرة، وقيمته ترجع إلى أنه وثيقة أدبية لدارسي الأدب في تلك الفترة، وهو غير منظم في عرضه للأحداث، ويميل إلى الإطناب، ويعرج في حديثه في بعض الأحيان على بعض الأخبار التي تتعلق بالمغرب[١]، وقد أمدنا بمعلومات عن السعايات بملوك الطوائف، وعلاقة المرابطين بهم، وطريقة عزلهم، كما قدم لنا معلومات عن ابن الجد (ت٥١٥هـ / ١١٢١م) ومكانته في دولة المرابطين.

٤- عبد الواحد المراكشي (محي الدين أبي عبد الواحد بن علي التميمي المراكشي) ت ٦٦٩هـ/ ١٢٧٠م

ولد عبد الواحد المراكشي في ربيع الآخر سنة ٥٨١هـ/ يوليو ١١٨٥م، في مستهل ولاية الخليفة الموحدي أبي يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن ابن علي، ثم انتقل منها إلى مدينة فاس، فأخذ العلم على أيدي مشاهير علماء القرآن الكريم والنحو، وفي أثناء وجوده في فاس التقى بالعالم أبي بكر بن زهر الأندلسي، وعبر إلى جزيرة الأندلس في أول سنة ٦٠٩هـ/ ١٢١٢م، فالتقى بها

---

(١)ابن دحية، المطرب من أشعار أهل المغرب، تحقيق أ.إبراهيم الأبياري، د.حامد عبد المجيد، د.أحمد أحمد بدوي، دار العلم، بيروت، ١٩٥٥م، ص م، ن من مقدمة المحقق.

جماعة من الفضلاء من أهل العلم منهم: أبو جعفر الحميري (ت٦١٠هـ / ١٢١٣م)، فتتلمذ عليهم وأخذ العلم منهم، وقد ترجم لهم، فأشار إلى أسمائهم ومواليدهم ووفياتهم وعلومهم، وقد اتصل المراكشي بالسيد أبي إسحاق ابن أبي يوسف المنصور الموحدي حاكم الأندلس من قبل أخيه الخليفة محمد الناصر آنذاك، وقد خرج المراكشي في رحلة إلى المشرق الإسلامي، فزار مصر والشام والحجاز، وتقابل في بغداد مع وزير الخليفة الناصر لدين الله العباسي، فأظهر عطفه وكرمه وجوده عليه[1].

ومن مصنفات الفقيه المؤرخ عبد الواحد المراكشي:

أ- المعجب في تلخيص أخبار المغرب

ابتدأ المراكشي في تصنيف كتابه ٦٢١هـ/ ١٢٢٤م، تلبية لرغبة أحد الفضلاء أثناء وجوده في بغداد، ليكون تعريفًا لأهل المشرق بأحوال المغرب، وقد فرغ منه في نفس العام، وقد خصصه لتاريخ بلاد المغرب وهيئته وحدوده وأقطاره، وشيء من سير ملوكه، خاصة ملوك المصامدة بني عبد المؤمن الموحدين من بداية دولتهم إلى وقت تأليف الكتاب ٦٢١هـ/ ١٢٢٤م، وأضاف

---

(١)عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق د. محمد زينهم محمد عزب، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، المغرب، ١٩٩٤م، ص٢٩١-٢٩٢؛ أبو العلا، مقدمة في مصادر التاريخ الإسلامي، ص٢٠٦-٢٠٧.

إليه نبذ عن شيوخه من الشعراء والعلماء، وغيرهم، فقد تناول المراكشي تاريخ المسلمين في الأندلس منذ فتح الأندلس إلى عصره أي إلى عام ٦٢١هـ/ ١٢٢٤م، فتحدث عن نشأة دولة المرابطين، وعن حركة المهدي بن تومرت، وكيف تم القضاء على دولة المرابطين ثم يتسلسل في الحديث حتى عصره[1].

وأسلوب المراكشي خلاب، وهو يميل في عرضه إلى الإيجاز، وخلال حديثه يورد تراجم لأدباء معظمهم من الأندلس، إلا أنه لم يتقيد بالترتيب الزمني عند عرضه للأحداث، والمراكشي كغيره من مؤلفي الدولة الموحدية، قد رسم صورة سيئة لدولة المرابطين، فصورها وكأنها دولة المجون والنساء، وقد طبع الكتاب عدة طبعات منها طبعة بتحقيق محمد سعيد العريان (القاهرة، ١٩٦٣م)، وأعاد تحقيقه محمد زينهم محمد عزب (القاهرة، ١٩٩٤م)، معتمدًا على طبعة العريان، وقد اعتمدت على طبعة عزب في دراستي، فقد تناول المراكشي العديد من المواقف في دولة المرابطين، وتحدث عن عدد من الكتاب ومكانتهم، فقد تحدث عن شفاعة أمير المسلمين يوسف بن تاشفين عن الكاتب أبي بكر بن القصيرة، وارتفاع مكانته في دولة المرابطين، كما تحدث عن هجاء أبي مروان، وهو أخو أبي عبد الله بن الخصال الكاتبين لدولة المرابطين، وموقف أمير المسلمين علي بن يوسف منهما.

---

(١)المراكشي، المعجب، ص٧، ٣٠٤.

ب – وثائق المرابطين والموحدين

يتناول الكتاب العديد من الوثائق في عصر المرابطين والموحدين الاقتصادية والاجتماعية والتي تلقي الضوء على عدد من الوساطات والشفاعات لحل المنازعات الاجتماعية والاقتصادية في المجتمع في تلك الفترة والتوصل إلى حل يرضي جميع الأطراف المتنازعة.

٥- ابن عذاري المراكشي (أبو العباس أحمد بن محمد) كان حيًا ٧١٢هـ/ ١٣١٢م، كتاب البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب

كان ابن عذاري المراكشي مؤرخ مغربي من أصل أندلسي عاش في عصر الموحدين وقسمًا من عصر بني مرين (٦٧٧هـ/ ١٢٦٨م)[١]، وسماه " البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب "، فالجزء الأول يتعلق بتاريخ المغرب، أما الجزء الثاني فهو خاص بفتح الأندلس وتاريخها في عصر الولاة والدولة الأموية، أما الجزء الثالث فهو يتعلق بعصر الطوائف، فالأجزاء الثلاثة بنشر (كولان وليڤي پروڤنسال)، وتناول الجزء الرابع نشر (إحسان عباس) عصر المرابطين.

(١)ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار المغرب والأندلس، تحقيق ج.س.كولان وإ. ليڤي پروڤنسال، الطبعة الثالثة، دار الثقافة، بيروت، ١٩٨٣م، ج١، ص٤-٥؛ أبو العلا، مقدمة في مصادر التاريخ الإسلامي، ص٢٠٨.

ويعتبر البيان المغرب المصدر الرئيس لبعض الأحداث التاريخية التي وقعت في بلاد الأندلس، خاصة الفترات العصيبة من تاريخها، كعصر الفتنة البربرية التي أعقبت سقوط الدولة العامرية وأدت في النهاية إلى إلغاء الخلافة الأموية من الأندلس، ومنها: خبر استيلاء الثوار بقيادة المهدي الأموي على الحاجبية قصر المظفر عبد الملك بن المنصور (٣٩٢- ٣٩٩هـ / ١٠٠٢-١٠٠٨م) أثناء هجومهم على مدينة الزاهرة، وانفرد أيضًا بذكر عوامل تعجيل الخليفة المهدي بهدم مدينة الزاهرة (٤٠٠هـ/ ١٠١٠م)، ومصير الحاجب عبد الرحمن شنجول (١٦صفر٣٩٩- ٣رجب٣٩٩هـ/ ١٩أكتوبر١٠٠٨-٢مارس١٠٠٩م)، وموقف رجاله الأندلسيين والبربر منه.ومما يضفي أهمية على مادته التاريخية التي انفرد بها، أنه استقاها من مؤرخين معاصرين كالفقيه ابن عون الله، والرقيق القيرواني، ومن شهود عيان شاركوا في تلك الأحداث، ومنهم: محمد بن يعلي الزناتي، وعمر بن أحمد[1].

وكان ابن عذاري المؤرخ الوحيد الذي انفرد بخبر معركة وادي شرنبة، وما ترتب عليها من انتقام البربر من الأندلسيين برفع رؤوس قتلاهم على أبواب قلعة عبد السلام، وانفرد أيضًا برواية عن العلاقات الدبلوماسية بين الخليفة

(١)ابن عذاري، البيان، ج٣، ص٦٢، ٦٤، ٦٧ – ٧٤؛ أبو العلا، مقدمة في مصادر التاريخ الإسلامي، ص٢٠٨– ٢٠٩.

المهدي في دولته الأولى وبين ملوك إسبانيا النصرانية(1)، كما أشار ابن عذاري إلى صدى هزيمة المرتضى المرواني والمروانية عند أسوار غرناطة سنة ٤٠٩هـ /١٠١٨م، في بعض مناطق العالم الإسلامي، خاصة المناطق التابعة للدولة الفاطمية(2)، وأسباب اختيار الأندلسيين لهشام بن محمد المعتد، ليتولى الخلافة في قرطبة سنة ٤١٨هـ/ ١٠٢٧م، وأسباب هجرة أهل قرطبة منها(3).

واعتمد ابن عذاري على مصادر متعددة لطول الفترة الزمنية التي يغطيها كتابه، ويحسب له أنه استند على أبرز المصنفات التي تؤرخ لكل عصر على حدة.فمن أبرز المصادر التي اعتمد عليها للحقبتين المرابطية والموحدية: كتاب الأنوار الجلية في الدولة المرابطية لابن الصيرفي (ت٥٧٠هـ/ ١١٧٤م)، وكتاب نظم الجمان لابن القطان (ت٦٢٨هـ/ ١٢٣١م)، والمن بالإمامة لابن صاحب الصلاة (ت٥٩٤هـ / ١١٩٧م)، وأخبار المهدي للبيذق، وغيرها.وقد جمع ابن عذاري في كتابه بين المنهجين الحولي والموضوعي، فكان يسرد الأحداث حسب السنين، وكان أيضًا يلتزم الوحدة الموضوعية للحدث الواحد الذي يمتد لأكثر من سنة.وقد التزم في كثير من الأحيان بالحيدة والموضوعية والتمحيص لما

---

(١)ابن عذاري، البيان، ج٣، ص٨٤، ٨٧؛ أبو العلا، مقدمة في مصادر التاريخ الإسلامي، ص٢٠٩.

(٢)ابن عذاري، البيان، ج١، ص٢٦٩؛ أبو العلا، مقدمة في مصادر التاريخ الإسلامي، ص٢٠٩.

(٣)ابن عذاري، البيان، ج٣، ص١١٥، ١٤٦؛ أبو العلا، مقدمة في مصادر التاريخ الإسلامي، ص٢٠٩.

يعرضه من أحداث، ولكنه كان يتعصب لجنسه البربري ضد الأندلسيين، خاصة عند اندلاع الفتنة بين الطرفين زمن الفتنة. ورغم أهمية كتاب ابن عذاري لتاريخ الأندلس، خاصة عصر الفتنة البربرية، فهناك بعض المآخذ التي تتعلق بمنهجه في الكتابة، خاصة تأصيل الروايات، والأمانة في النقل؛ فهو يغفل في كثير من الأحيان اسم المصدر واسم صاحبه الذي استقى منه الأخبار، مثال ذلك: نقله ترجمة الحاجب المصحفي جعفر بن عثمان المصحفي من كتاب مطمح الأنفس لابن خاقان (ت٥٢٩هـ / ١١٣٤م) دون الإشارة إلى ذلك[١].

وقد تناول ابن عذاري في الجزء الرابع من كتاب البيان نشر (إحسان عباس) عدد من الأحداث التاريخية، والسياسية في الأندلس في عصر دولة المرابطين، والتي تتعلق بالشفاعات الدنيوية في الفترة موضوع الدراسة، حيث أشار إلى قضية حرق كتاب الإحياء، وسعاية ابن زهر بالقاضي ابن منظور، كما أشار إلى ما وقع بين ابن زهر (ت٥٢٥هـ/ ١١٣١م) والقاضي الزهري، وأوضح عددًا كبيرًا من الشفاعات السياسية.

---

(١)ابن عذاري، البيان، ج٢، ص٥٤-٥٦، ٢٧٠-٢٧٢؛ أبو العلا، مقدمة في مصادر التاريخ الإسلامي، ص٢٠٩-٢١٠.

٦- ابن أبي زرع (أبو العباس أحمد بن أبي زرع) ت ٧٢٦هـ/ ١٣٢٨م، كتاب الأنيس المطرب بروض القرطاس لابن أبي زرع

على الرغم من أن العنوان يشير إلى أن الكتاب مخصص لدراسة تاريخ مدينة فاس إلا أن المؤلف لم يقف على تتبع مراحل تاريخ هذه المدينة، وإنما تناول تاريخ المغرب الأقصى كله منذ سنة ١٤٥هـ إلى سنة ٧٢٦هـ، أي أن الكتاب يتضمن تاريخ الدول الخمس التي تداولت حكم المغرب في هذه الفترة وهي دولة الإدارسة، ودولة زناتة، ثم دولتي المرابطين والموحدين، ودولة بني عبد الحق أو بني مرين (٦٦٨-٨٦٩هـ/ ١٢٦٩-١٤٦٥م)، وقد أنهى المؤلف كتابه هذا في عهد الدولة الأخيرة وأهداه إلى السلطان الخامس من ملوكها، وهو أبي سعيد المريني ٧١٩هـ – ٧٣١هـ/ ١٣٠٩م – ١٣٣٠م[1].

تناول الكتاب العديد من التفاصيل عن الدولة المرابطية في معظم مراحلها، وتحدث عن السعايات التي تعرض لها ملوك الطوائف، كما تحدث عن حصار حصن لييط Aledo (٤٨٢هـ/ ١٠٨٩م) والسعاية بابن رشيق وإلقاء

(١)ابن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، ١٩٧٢م، ص٥-٩ من مقدمة المحقق؛ السيد عبد العزيز سالم، المغرب الكبير (العصر الإسلامي)، الطبعة الأولى، الإسكندرية، ١٩٦٦م، ص١١٤.

الضوء على عصر أمير المسلمين علي بن يوسف وصراعه مع النصارى في الأندلس.

٧- مؤلف مجهول، كتاب الحلل الموشية

كان مؤلف هذا الكتاب مجهولًا، وقد عاش مؤلف هذا الكتاب في نهاية القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، في ظل دولة بني الأحمر[١]، رغم صغر حجم الكتاب إلا أنه كتاب قيم ومفيد يمدنا بمعلومات مهمة عن الدولة المرابطية استمدها من كتب أصلية عاصر أهلها الدولة المرابطية مثل كتاب "الأنوار الجلية في أخبار الدولة المرابطية" لابن الصيرفي، الذي كان كاتبًا للأمير تاشفين بن علي بن يوسف بن تاشفين في غرناطة، وكتاب ابن الصيرفي هذا مفقود إلى الآن، وقد أمدنا بمعلومات قيمة عن دولة المرابطين، وقيامها، ونظامها الحربي، مما ساعدنا في تناول عدد من الشفاعات منها: السعاية بابن رشيق، كما أشار إلى السعاية التي تعرض لها عماد الدولة بن هود صاحب سرقسطة Zaragoza في زمن أمير المسلمين علي بن يوسف (٥٠٠- ٥٣٧هـ / ١١٠٧- ١١٤٣م).

(١)مجهول، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق د.سهيلزكاروأ.عبدالقادر زمانه، الطبعة الأولى، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ١٩٧٩م، ص٤ من مقدمة المحقق.

٨- ابن الخطيب (لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد) ت ٧٧٦هـ/ ١٣٦٤م

أصله من قرطبة، غير أنه ولد في لوشة من مدن مملكة غرناطة، وقد شغف بدراسة العلوم منذ صغره، وبرع في قرض الشعر، وبفضل هذه الثقافة الموسوعية وذكائه التحق ببلاط بني نصر سلاطين غرناطة، ونال عندهم الحظوة، وقد خلف ابن الخطيب شيخه العلامة الأديب أبو الحسن علي ابن الجياب في رسم الوزارة والكتابة وديوان الإنشاء منذ سنة ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م حتى نهاية عهد السلطان أبي الحجاج يوسف سنة ٧٥٥هـ/ ١٣٥٤م، كما خدم ابن الخطيب في بلاط السلطان محمد الخامس الغني بالله، فخلع عليه لقب ذي الوزارتين، لجمعه بين الكتابة والوزارة، فلما عزل ونفي إلى المغرب صحب ابن الخطيب سلطانه إلى هناك، فلما عاد السلطان محمد الخامس إلى الحكم عاد ابن الخطيب إلى سابق منصبه، غير أنه انفرد بالحكم بدون منافس حتى مقتله سنة ٧٧٦هـ/ ١٣٦٤م[١]، وقد صنف ابن الخطيب عدد كبير من المصنفات، من تلك المصنفات :

---

(١)ابن الخطيب، الإحاطة، ج٢، ص١٥-١٧ من مقدمة المحقق.

أ- كتاب أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام

من المصادر التاريخية العامة التي تناولت تاريخ الدول الإسلامية، وقد التجأ ابن الخطيب إلى مدينة فاس، وصنف بها كتاب أعمال الأعلام، وقسمه ابن الخطيب إلى ثلاثة أقسام:

- الأول: يتناول تاريخ المشرق الإسلامي من السيرة النبوية حتى عصر المماليك وما يزال مخطوطًا.
- الثاني: يتناول تاريخ الأندلس منذ الفتح الإسلامي حتى عصر السلطان الغرناطي محمد بن يوسف بن اسماعيل الأحمر، وقد نشره ليڤي پروڤنسال بالرباط سنة ١٩٣٤م.
- الثالث: يتناول تاريخ المغرب منذ قيام دولة الأغالبة حتى قيام دولة الموحدين، وقد تولى نشر هذا القسم الدكتور أحمد مختار العبادي ومحمد إبراهيم الكتاني بالدار البيضاء ١٩٦٤م.

فالقسم الثاني يسلط الضوء على الكثير من الأحداث السياسية في الأندلس مما أمدنا بالكثير من الشفاعات الدنيوية وتفاصيلها وأحداثها منها:

السعايات بملوك الطوائف، والسعاية بالوزير ابن الحديدي وتغير أمير المسلمين علي بن يوسف على عماد الدولة بن هود صاحب سرقسطة.

ب - كتاب الإحاطة في أخبار غرناطة

وهو عبارة عن تراجم لملوك وأمراء وعلماء غرناطة، وجميع من وفد إليها من المشرق والمغرب مرتبة أسماؤهم على حروف المعجم، وكان الدافع الأساسي لتأليف هذا الكتاب حب ابن الخطيب لوطنه غرناطة ورغبته في كتابة تاريخ بلده كما فعل غيره من المؤرخين أمثال: ابن عبد الحكم صاحب تاريخ مصر (ت٢١٤هـ/ ٨٢٩م)، والخطيب البغدادي صاحب تاريخ بغداد (ت٤٦٣هـ/ ١٠٧١م)، وابن عساكر صاحب تاريخ دمشق (ت٥٧١هـ/ ١١٧٦م)[1].

وقد استفدت منه في كتابة العديد من الشفاعات، فأمدنا بروايات عن الشفاعة التي بذلت للكاتب أبي بكر بن القصيرة، وثورة أبي بكر بن علي ابن يوسف، وعفو والده عنه وتوليه سرقسطة، والسعاية بالأمير أبي بكر بن سعيد عند أمير المسلمين علي بن يوسف.

٩- ابن خلدون (أبو زيد ولي الدين عبد الرحمن بن محمد بن الحسن بن جابر الإشبيلي الأصل) ت ٨٠٨ هـ/ ١٤٠٦م، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر

---

(١)ابن الخطيب، الإحاطة، ج١، ص٦-١٠ من مقدمة المحقق؛ أبو العلا، مقدمة في مصادر التاريخ الإسلامي، ص٢٢٦.

ولد ابن خلدون في رمضان سنة ٧٣٢هـ/ يونيو ١٣٣٢م، وهو مؤرخ فيلسوف وأصول أسرته من مدينة إشبيلية Sevilla، يرجع إليه الفضل في وضع قواعد علم العمران أو علم الاجتماع، تعلق ابن خلدون بالخدم السلطانية، وولي كتابة العلامة (كاتب ديوان الرسائل) عن السلطان أبي إسحاق إبراهيم الحفصي بإفريقية، ثم توجه في سنة ٧٥٣هـ/ ١٣٥٢م إلى فاس، فوقع بين يدي سلطانها أبي عنان، ثم امتحن واعتقل نحو عامين، ثم ولي كتابة السر لأبي سالم أخي أبي عنان، وكذا النظر في المظالم، ثم دخل الأندلس، فقدم غرناطة في ربيع الأول سنة ٧٦٤هـ/ ديسمبر ١٣٦٢م، وتلقاه سلطانها محمد الخامس الغني بالله بن الأحمر عند قدومه، ونظمه في أهل مجلسه، ثم قدم الديار المصرية في ذي القعدة سنة ٧٨٤هـ/ يناير ١٣٨٣م، وتولى القضاء فيها في عهد الظاهر برقوق، ومات قاضيًا سنة ٨٠٨هـ/ ١٤٠٦م[١].

تناول ابن خلدون في كتابه الحديث عن الملك والسلطان والصنائع والعلوم، وهو ما تعرض له في المقدمة ثم تكلم عن تاريخ العرب منذ بدء الخليقة إلى عصره، وعمن عاصرهم من الأمم الشهيرة، فكتاب العبر من المصادر التي لا غنى عنها في تاريخ المغرب والأندلس حتى القرن الثامن الهجري، وقد أمدنا بمعلومات قيمة عن تاريخ الأندلس في عصر الطوائف والمرابطين، وقد تعرفنا منه على ثورة أهالي الجزائر الشرقية ضد أول حاكم مرابطي بها، ووساطات لدى أمير المسلمين علي بن يوسف لعزله.

---

(١) ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر، تحقيق أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، عمان، بدون تاريخ، ج١، ص٨ من مقدمة المحقق.

ثانيًا: كتب الجغرافيا

١- ياقوت الحموي (شهاب الدين أبو عبد الله الرومي الحموي البغدادي) ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م، كتاب معجم البلدان

عرف ياقوت باسم ياقوت الحموي، وباسم ياقوت الرومي، أيضًا؛ لأنه كان من أهالي الدولة الرومانية الشرقية، وكان رقيقًا لأحد أهالي بغداد، فعني بتربيته، وبعث به في تجارته لبلاد الشرق، وخاصة إلى سواحل الخليج الفارسي، ثم أعتقه مولاه، فبدأ يكتسب من صناعة النسيج، وكانت صناعة رائجة في ذلك الوقت، وعاش من بيع الكتب ونسخها، وأخذ يعمل في التأليف، فوضع كتابيه المشهورين، بعد أن جاب إيران وبلاد العرب، وآسيا الصغرى، ومصر والشام[1].

يعد " كتاب معجم البلدان " موسوعة جغرافية ضخمة، فقد تحدث في معجمه عن مدن العالم الإسلامي كله، فتحدث عن المدن والقرى والجبال والآثار مع ضبط أسمائها، وتحديد المسافات بين المواقع، كما كان يتحدث خلال حديثه عن هذه الآثار والمدن عن السكان، وما قيل فيها من أشعار، ولذلك فهو موسوعة لا يستغني عنها الباحث في العلوم الاجتماعية، وكان فراغه من تأليف

---

(١)ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٢، ص٧٧؛ علي إبراهيم حسن، استخدام المصادر وطرق البحث في التاريخ الإسلامي وفي التاريخ المصري الوسيط، الطبعة الثالثة، مطابع السلام، القاهرة، ١٩٨٠م، ص١٠٠.

هذا المؤلف الضخم عام ٦٢١هـ/ ١٢٢٤م، وقد سار في حديثه عن هذه البلدان على حروف المعجم، وقد استفدت منه في الدراسة بتحديد عدد من مواقع مدن وقرى الأندلس مثل لبلة Niebla ولورقة Lorca وغيرها.

٢- الحميري (محمد بن عبد المنعم الحميري) ت ٨٩٩هـ/ ١٣٠٠م، كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار

كان من أهل سبتة، عرف عنه الصدق، وطيب اللهجة وسلامة الصدر، وكان صالحًا عابدًا، وكثير القرب والأوراد في آخر حاله، صادق اللسان، وكان من صدور الحفاظ، عالمًا باللغة، ومشاركًا في العلوم العقلية مع الملازمة للسنة[1].

وقد اعتمدت عليه كثيرًا في التعريف بالمدن الأندلسية، فقد أراد الحميري أن يصنع منه معجمًا جغرافيًا مرتبًا على حروف المعجم ليسهل على الطالب كشف اسم الموضع الذي يريده، ولما كان استقصاء المواقع أمرًا عسيرًا، فقد وضع نصب عينيه أن يكون المكان مشهورًا، وأن يكون مما اتصل به قصة أو حكمة أو خبر طريف أو معنى مستغرب، وعلى ذلك فقد عدل الحميري عن ذكر الأمكنة التي لا تتعلق بذكرها فائدة أو خبر يحسن إيراده، لذلك اشتمل الروض المعطار معجمٍ جغرافيٍ وتاريخيٍ، وقام بتحقيق هذا السفر إحسان عباس، ونشر في بيروت عام ١٩٧٥م، ثم طبع طبعة أخرى عام ١٩٨٤م.

ثالثًا: كتب التراجم

(١) الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق د.إحسان عباس، الطبعة الثانية، مكتبة لبنان، ١٩٨٤م، ص ز، ح، ط من مقدمة المحقق.

١- الحُميدي (أبو عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله بن حميد بن يصل الأزدي الأندلسي الميورقي) ت ٤٨٨هـ/ ١٠٩٥م، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس

هو الإمام الحافظ أبو عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله ابن حميد بن يصل الأزدي الأندلسي الميورقي، وسمي بالحميدي نسبة إلى جده حميد، وكان والده من أهالي ربض الرصافة بقرطبة، وولد الحميدي بجزيرة ميورقة إحدى جزر البليار بشرقي الأندلس قبل سنة ٤٢٠هـ/ ١٠٢٩م بقليل، حيث كانت أسرته تقيم آنذاك. وقضى الحميدي طفولته الأولى بجزيرة ميورقة وحين قدم به أهله الأندلس من ميورقة علقت به عن هذه النسبة فقيل له الميورقي. وتتلمذ الحميدي بالأندلس على جلة من شيوخها في عصر الطوائف منهم أبو عمر يوسف بن عبد البر، وأبو محمد علي بن أحمد بن حزم الذي اختص به وأكثر من الأخذ عنه وشهر بصحبته، وأبو العباس أحمد بن عمر العذري، وعبد الملك بن سليمان الخولاني وسمع منه الكثير، وابن أبي زيد القيرواني الأندلسي وقرأ عليه وتفقه.وتجول الحميدي في كثير من مدن شرق الأندلس مثل

دانية وشاطبة والمرية، وزار ميورقة قبل عام ٤٤٠هـ/١٠٤٩م[١]، ورحل الحميدي عن الأندلس في سنة ٤٤٨هـ/ ١٠٥٧م إلى المشرق لأداء فريضة الحج، فزار إفريقية ومصر والحجاز والشام والعراق، ولقى في زياراته الكثير من العلماء الذين سمع منهم وأخذ عنهم وأخذوا عنه، كما كان الحميدي أديبًا وشاعرًا وناقدًا، ووصف بالنباهة والمعرفة، والإتقان والدين والورع[٢].

وصنف الحميدي مصنفات كثيرة ارتاد فيها اتجاهات شتى تدل على سعة علمه وتبحره في العلوم الدينية وعلوم الأخلاق والعلاقات الاجتماعية والتاريخ والتراجم والسير وفنون الأدب خاصة الشعر، ونذكر منها: الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم، وتحفة المشتاق في ذكر صوفية العراق، وتفسير غريب ما في الصحيحين، ونوادر الأطباء، والذهب المسبوك في وعظ الملوك، ومخاطبة الأصدقاء، وديوان شعر، والأماني الصادقة وهو كتاب تاريخي نقل عنه عبد الواحد المراكشي صاحب المعجب، وغيرها[٣]. وتوفي الحميدي ببغداد وهو

---

(١)ابن سعيد المغربي، المغرب في حلي المغرب، تحقيق د. شوقي ضيف، الطبعة الرابعة، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٣م، ج٢، ص٤٦٢؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق د.إحسان عباس، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ، ج٤، ص٢٨٢-٢٨٤.

(٢)الحميدي، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، الهيئة المصرية للكتاب، ٢٠٠٨م، ص و، ز من مقدمة المحقق.

(٣)الحميدي، جذوة المقتبس، ص ز، ح من مقدمة المحقق.

يبلغ من العمر نحو سبعين عامًا في ليلة السابع عشر من ذي الحجة سنة ٤٨٨هـ / ١٨ ديسمبر ١٠٩٥م، ودفن في مقبرة باب أبرز، ثم نقل بعد ذلك في صفر سنة ٤٩١هـ/ يناير ١٠٩٨م، إلى مقبرة باب حرب، ودفن عند قبر بشر ابن الحارث المعروف بالحافي حسب وصيته[١].

ويذكر ابن بشكوال أن الحميدي صنف كتابًا في علماء الأندلس، بينما ذكر الضبي أن عنوان الكتاب جذوة المقتبس في تاريخ الأندلس، ويسميه ابن خلكان تاريخ علماء الأندلس، ويقول: سماه (الحميدي) جذوة المقتبس، أما العنوان الذي تحمله مخطوطة أكسفورد من هذا الكتاب، والتي أخذت عنها مصورة دار الكتب المصرية، فهو (جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس)، وقد وضع الحميدي هذا الكتاب من حفظه ببغداد كما يذكر في مقدمته استجابة لرغبة أحد أصدقائه العراقيين، الذي نبهه على ضرورة أن يجمع ما يحضره من أسماء رواة الحديث بالأندلس، وأهل الفقه والأدب، وذوي النباهة والشعر، ومن له ذكر منهم، أو ممن دخل إليهم، أو خرج عنهم في معنى من معاني العلم والفضل، أو الرياسة والحرب[٢].

---

(١)ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٤، ص٢٨٤؛ ياقوت الحموي، معجم الأدباء، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٨م، ج١٨، ص٢٨٦.

(٢)الحميدي، جذوة المقتبس، ص١.

وترجع أهمية جذوة المقتبس إلى أنه يعتبر ذيلًا على كتاب تاريخ علماء الأندلسلابن الفرضي، وهو من أهم كتب التراجم الأندلسية في القرن الخامس الهجري.ومع ذلك فإن مقدمته التاريخية لا تخلو رغم إيجازها وخلوها من التواريخ الدقيقة من فائدة كبيرة، لما تتضمنه من معلومات قيمة عن السنوات الأخيرة من عمر الخلافة الأموية وبدايات عصر الطوائف في الأندلس.والكتاب يحتوي كذلك على مادة تاريخية مهمة تخص فتح المسلمين للأندلس وبداية استقرار العناصر الإسلامية بشبه جزيرة إيبرية، كما يحتوي على معلومات مهمة عن أبرز مظاهر عصر الولاة بالأندلس: الجهاد فيما وراء البرتات وثورات البربر في المغرب والأندلس، ويفيد هذا الكتاب الباحثين عند دراسة عصر الطوائف الأول في الأندلس وقيام الإمارات الإقطاعية، كذلك يلقي الضوء على بعض المظاهر الاجتماعية في الأندلس، كالعادات والتقاليد والاحتفالات العائلية (الزواج، الإعذار)، وبعض الأمراض الاجتماعية كالتغزل بالغلمان واللواط، وتأثير الكوارث الطبيعية على فئات المجتمع المختلفة.ويحتوي الكتاب أيضًا على معلومات قيمة تخص الحياة الأدبية والفكرية في الأندلس خلال العصر الذي يترجم المؤلف لأعلامه، والذي كان هو نفسه أحد أبرز علمائه، وبالتحديد عصر ملوك الطوائف.كذلك فالكتاب يحوي أخبارًا مهمة عن التبادل الثقافي بين المشرق والأندلس من خلال رحلات الأندلسيين إلى المشرق وعودتهم بعلومه،

ليثروا بها بلدهم.كما يزخر الكتاب بمعلومات اقتصادية تخص رحلات الأندلسيين التجارية إلى بلدان المشرق الإسلامي، وكذلك الهند والصين[1].

وقد استفدت من جذوة المقتبس في تناول بعض الشفاعات والسعايات الدنيوية في عصر ملوك الطوائف من ذلك عفو عبد العزيز حاكم بلنسية عن الكاتب ابن سعيد التاكرني، كما تناول عفو يحيى بن حمود عن ذي الوزارتين ابن شهيد، وشفاعة أبي الوليد بن جهور عن الشاعر ابن زيدون وغيرها من الشفاعات والوساطات الدنيوية في الأندلس.

٢- ابن عطية (أبو محمد عبد الحق بن أبي بكر غالب بن عبد الرحمن بن عطية) ت ٥٤١هـ/ ١١٤٦م، فهرس ابن عطية

كان عبد الحق بن عطية من أهل غرناطة، ولد سنة ٤٨١هـ/ ١٠٨٨م، أحد القضاة المشهورين بالبلاد الأندلسية وصدور رجالها، وينتمي إلى بيت فضل وعلم، وكان فقيهًا عالمًا بالتفسير والأحكام والحديث، وكانت له اليد الطولى في اللغة والأدب والشعر، وقد كان حريصًا على الالتقاء بالعلماء والاجتماع بهم في المدن الأندلسية[2].

---

(١)أبو العلا، مقدمة في مصادر التاريخ الإسلامي، ص٢٧١-٢٧٢.

(٢)ابن عطية، فهرس ابن عطية، تحقيق محمد أبو الأجفان ومحمد الزاهي، الطبعة الثانية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٣م، ص١٢-١٤ من مقدمة المحقق.

كان عبد الحق بن عطية ممن عاصروا الفترة المرابطية، وقد خلف لنا فهرسًا عن شيوخه، وقد استفدت بعض المعلومات منه، مثل سعاية المرابطين بابن الطلاع ومنعه من توليه خطة الشورى لتعصبه لبني عباد وهجائه للمرابطين.

٣- القاضي عياض (عياض بن موسى بن عياض بن عمرون بن موسى بن عياض اليحصبي) ت ٥٤٤هـ/ ١١٤٩م، كتاب ترتيب المدارك وتقريب المسالك بمعرفة أعلام مذهب مالك

ولد القاضي عياض بسبتة في منتصف شعبان ٤٧٦هـ/ ديسمبر ١٠٨٣م بسبتة من بلاد المغرب الأقصى، واشتهرت أسرته في سبتة بالصلاح والتقوى، وفي سبتة سمع من مشيختها، وتفقه ببعضهم، ورحل إلى الأندلس فأخذ بقرطبة عن أبي الحسين بن سراج وأبي عبد الله ابن حمدين وأبي القاسم بن النخاس وابن رشد، وغيرهم، ورحل منها إلى مرسية فقدمها في صفر ٥٠٨هـ/ يوليو ١١١٤م فتفقه ودرس وتعلم حتى فاق أقرانه وذاع صيته، وهو من أهل التفنن في العلم، والذكاء واليقظة، واستقضى ببلده مدة طويلة، فحمدت سيرته فيها، ثم نقل عنها إلى قضاء غرناطة، فلم يطل أمده بها، ودخل قرطبة في ربيع الآخر

٥٣١هـ/ ديسمبر ١١٣٦م، وحاز من الرئاسة في بلده والرفعة ما لم يصل إليه أحد قط من أهل بلده، وما زاده ذلك إلا تواضعًا [١].

يعتبر كتاب ترتيب المدارك موسوعة عظيمة الفائدة، بسط فيها القول عن علماء المالكية ابتداءً بالإمام مالك بن أنس إلى عصر المؤلف، فجاءت مليئة باللمحات التاريخية والمباحث العلمية والوقائع السياسية، وقد طبع الكتاب في ثماني مجلدات، وقد كان القاضي عياض إمام ثقة صدوق معاصر للدولة المرابطية، وعاش في كنفها وتولى القضاء في ظلها فكانت تراجمه للعلماء في عهدها شاهد عيان.

وقد ورد العديد من السعايات والشفاعات منها سعاية الفقهاء بابن وافد، وسعاية حاجب هشام المؤيد بالقاضي ابن ذكوان[٢]، كما أشار إلى عدد من الفقهاء ممن هم مجابي الدعوة.

---

(١)عبد الله محمد بن عياض، التعريف بالقاضي عياض، تحقيق د.محمد بن شريفة، الطبعة الثانية، مطبعة فضالة المحمدية، ١٩٨٢، ص١-١٣.

(٢)هو أحمد بن عبد الله بن هرثمة بن ذكوان بن عبيدوس بن ذكوان، ولاه القضاء المنصور بن أبي عامر (٣٩٢هـ/ ١٠٠٢م) وكان من خاصته، يلازمه في رحلاته وغزواته، ومحله منه فوق محل الوزراء، يفاوضه المنصور في تدبير الملك، وفي سائر شئونه، وكذلك كان حاله مع ولديه المظفر والمأمون بعده، قد تيمنوا برأيه، وعرفوا النجاح في مشورته؛ وكان له داخل القصر بيت خاص به، عزل في أيام المظفر عن القضاء، ثم أعيد، وتوفي المظفر فزاد أخوه عبد الرحمن في رفع منزلته وولاه الوزارة مجموعة إلى قضاء القضاة؛ ولما انقرضت دولة بني عامر وقامت الفتنة في قرطبة نفي ابن ذكوان وأهله إلى المرية ثم إلى وهران بإفريقية، فاعتزل الناس. (عياض،

٤- ابن بشكوال (أبو القاسم خلف بن عبد الملك) ت ٥٧٨هـ/ ١١٨٢م، كتاب الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم

وهو من أهل قرطبة، وأصله كما ذكر ابن الأبار من شُرِيُون بشرق الأندلس بحوز بلنسية، فقد كان ابن بشكوال متسع الرواية وشديد العناية بها عارفًا بوجهها حجة فيما يرويه، ذاكرًا لأخبار الأندلس القديمة والحديثة خصوصًا قرطبة، وصنف ابن بشكوال مايقرب من خمسين كتابًا أهمها كتاب في " تاريخ أصحاب الأندلس "، وأرخ فيه للأندلس من الفتح الإسلامي حتى زمانه وتناول فيه أيضًا أخبار مدينة قرطبة وغيرها من مدن الأندلس، ولعل هذا الكتاب هو نفسه كتاب الصلة الذي به اسمه، وقد رتبه على حروف المعجم كما فعل ابن الفرضي في كتابه [1].

ويعد كتاب الصلة من أهم كتب ابن بشكوال، وقد أكمل به تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي، وضمنه سيرة طائفة من الأئمة والمحدثين والفقهاء وأهل الأدب من الأندلسيين، وقد أعانني كثيرًا في تقصي أسماء علماء الأندلس زمن المرابطين وتتبع سيرتهم، وما تعرضوا له من وشايات وسعايات

ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق سعيد أحمد أعراب، مطابع الشويخ، المغرب، ١٩٨٢م، ج٧، ص١٦٧-١٧٢).

(١)ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، تحقيق د. عبدالسلام الهراس، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٩٩٥م، ج١، ص٢٤٨-٢٥٠.

مثل: ما تعرض له القاضي أبي عبد الله بن شبرين[1] وعدول أمير المسلمين علي ابن يوسف عن قرار عزله.

٥- الضبي (أحمد بن يحيى بن أحمد الضبي المعروف بابن عميرة (ت ٥٩٩هـ/ ١٢٠٣م)، كتاب بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس

كان ابن عميرة من أهل مرسية، وأمضى أكثر عمره في مدينة مرسية من مدن شرق الأندلس، وسافر إلى بلاد كثيرة؛ طلبًا للعلم، فزار كثيرًا من بلاد شمال أفريقيا، وتوفي شهيدًا بمرسيةMurcia إذ سقط عليه هدم، فأخرج منه وبه رمق، سنة ٥٩٩هـ/ ١٢٠٣م، وكانت جنازته مشهودة[2].

ويبدأ الكتاب بلمحة عن فتح الأندلس وحكامها إلى عصر المؤلف، وبعد ذلك أخذ يترجم لمن اسمه محمد، ثم سار في بقية التراجم على ترتيب أحرف المعجم حتى استوعب ١٥٩٥ ترجمة، وقد أفدت منه في معرفة تفاصيل عدد من تراجم الشخصيات التاريخية منها تغير أمير قرطبة على الفقيه أبي عبد الله الذهبي (ت٥٣٢هـ/ ١١٣٨م) لسعاية أهلها به، غير أنه لم يشر إلى اسم الأمير.

---

(١)هو محمد بن عبد الرحمن بن شِبرين، أخذ عن القاضي أبي الوليد البَاجي كثيرًا من روايته وتواليفه، وصحبه واختص به، وكان من أهل العلم والمعرفة والفهم، عالمًا بالأصول والفروع، واستقضى بإشبيلية وحُمِدت سيرته، ولم يزل يتولى القضاء بها إلى أن توفي سنة ٥٠٣هـ/ ١١٠٩-١١١٠م. (ابن بشكوال، الصلة، الهيئة المصرية للكتاب، ٢٠٠٨م، ج٢، ص٥٦٩).

(٢)ابن الأبار، التكملة، ج١، ص٨٣-٨٤.

٦- ابن الأبار البلنسي (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي) ت ٦٥٨هـ/ ١٢٥٩م

ولد ابن الأبار في بلنسية سنة ٥٩٥هـ/ ١١٩٩م، وإليها ينسب، وقد كان ابن الأبار مؤرخًا ومحدثًا، وأديبًا وشاعرًا عربي، فقد كان إمامًا في العربية، عالمًا بالتاريخ، بصيرًا بالرجال، فقيهًا، وأحد أئمة الحديث، وبعد سقوط بلنسية في يد خايمي الأول الملقب بالفاتح ملك أراجوان سنة ٦٣٦هـ/ ١٢٣٨م هاجر بأهله إلى تونس، ودخل في خدمة أبي زكريا الحفصي ومن بعده لابنه المستنصر بالله، ويعتبر ابن الأبار من أهم مؤرخي الأندلس، وكانت اهتماماته منصبة على الترجمة لرجال المغرب والأندلس، وألف في ذلك كتبًا مهمة [١].

تربى ابن الأبار في بيت علم ودين، ودرس على أجلاء أهل العلم في عصره، وعلى أيدي شيوخ يمتازون بغزارة العلم وصدق الإيمان، وفصاحة اللسان، والقدرة على الكتابة، فكان من الطبيعي أن يكون لكل ذلك انعكاس واضح في نشاط ابن الأبار العلمي، فألف كتبًا كثيرة، وكانت تنحصر في ثلاثة فنون: الحديث والأدب والتاريخ، لم يبق منها إلا البعض، أما ميدان ابن الأبار الحقيقي، فكان التاريخ والتراجم بصورة خاصة[٢]، فنذكر من مصنفاته التي اعتمدت عليها في دراستي:

---

(١) ابن الأبار، الحلة السيراء، تحقيق حسين مؤنس، الطبعة الثانية، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٥م، ج١، ص١٣-١٥ من مقدمة المحقق؛ أبو العلا، مقدمة في مصادر التاريخ الإسلامي، ص٢٢٤.

(٢) ابن الأبار، المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصدفي، الهيئة المصرية للكتاب، ٢٠٠٨م، ص و، ز من مقدمة المحقق.

أ – كتاب التكملة لكتاب الصلة

وهو تكملة لصلة ابن بشكوال، وهو عبارة عن تراجم لأسماء الملوك والعلماء الأندلسيين مرتبة حسب حروف الهجاء وفي آخر كل حرف يذكر المؤلف أسماء الغرباء الذين وفدوا على الأندلس من المشرق والمغرب، وقد استفدت منه في إلقاء الضوء على مكانة ابن زهر، والتي كانت سببًا للسعاية به، كما أشار إلى السعاية التي تعرض لها الفقيه البرجي على يد ابن حمدين لمعارضته حرق كتاب الإحياء.

ب – كتاب المعجم في أصحاب القاضي الصدفي

فكتاب المعجم ترجم فيه ابن الأبار لتلاميذ عالم كبير من أعلام العهد المرابطي هو أبو علي حسين بن سكرة الصدفي السرقسطي وهو رغم صغر حجمه يحتوي على كثير من المعلومات التاريخية عن العلماء في العهد المرابطي، فقد تناول غضب أمير المسلمين علي بن يوسف على القاضي أبي علي الصدفي ووساطة القاضي أبي محمد اللخمي له، وعفو أمير المسلمين علي بن يوسف عنه، وقبول إعفائه من القضاء.

ج – كتاب الحلة السيراء

يتناول الكتاب أخبار المغرب والأندلس منذ الفتح إلى منتصف القرن السابع الهجري، وقسمه إلى قرون مستقلة تبدأ بالقرن الأول الهجري ويستمر إلى نهاية القرن السابع الهجري، وتبدأ المائة الأولى للهجرة بموسى بن نصير، والثانية تبدأ بعبد الرحمن بن معاوية، وهكذا إلى المائة السابعة، ويحتوي كتاب الحلة السيراء على الكثير من الشعر لأمراء ووزراء وكُتاب وأصحاب جاه

وعلماء، ولكن الأهم من الشعر في الكتاب نثره، فهو تراجم غاية في الفائدة لعدد كبير من الشخصيات التاريخية في المغرب والأندلس[1]، ولا تخلو ترجمة من تراجمه من تفصيلات تاريخية وجغرافية وإشارات اقتصادية مهمة، أعانتني كثيرًا في تسجيل وتناول العديد من الشفاعات الدنيوية في الأندلس في عصر المرابطين منها سعي أهالي سرقسطة لخلع عماد الدولة بن هود لتحالفه مع النصارى، كما أمدنا بمعلومات عن القاضي أبي الحسن ابن أضحى، ومكانته في دولة المرابطين.

د – كتاب إعتاب الكتاب

يتناول النكبات التي تعرض لها الكتاب في الشرق والغرب، والوساطات التي بذلت للعفو عنهم، فأمدنا بروايات ذات قيمة كبيرة ومهمة عن الشفاعات والوساطات التي بذلت في عصر المرابطين والعفو عنهم والوساطة لهم منها: شفاعة أمير المسلمين يوسف بن تاشفين عن الكاتب أبي بكر بن القصيرة، وإسقاط قاضي المغرب المغارم والديون عن الكاتب أبي بكر بن الوكيل اليابري.

رابعًا: كتب الأدب

١- ابن خاقان (أبو نصر الفتح بن محمد بن عبد الله القيسي الإشبيلي) ت ٥٢٩هـ/ ١١٣٤م، كتاب قلائد العقيان

لابن خاقان كتابا " قلائد العقيان " و" مطمح الأنفس "، وقد تلقى ابن خاقان علومه ودراسته على أيدي مشاهير عصره أمثال أبي بكر سليمان،

(١)ابن الأبار، الحلة السيراء، ج١، ص٥٣ من مقدمة المحقق.

وأبي محمد بن عبدون وغيرهم، فقد كان كثير الأسفار وقد ألف عدة مؤلفات منها "قلائد العقيان" جمع فيه من شعراء المغرب طائفة كثيرة وتكلم على ترجمة كل واحد منهم بأحسن عبارة ولطيف إشارة، وأسلوبه في هذا الكتاب أقرب إلى أسلوب المقامات في حسن السبك واختيار الكلمات مع جزالة في الأسلوب(١).

وقد استمد معلوماته عن التراجم التي ترجم لها بالاتصال المباشر مع أصحابها، فعندما عزم على تأليفه أرسل إلى أمراء الأندلس، ورجالات الأدب يسألهم إيفاد شيء من شعرهم ونثرهم ليذكرهم في كتابه، وكان الجميع يعرف قذاعة هجائه، فكانوا يخشونه، ولذلك أنفذوا إليه ما طلب مع بعض الهدايا، فمن عظمت هديته أحسن في وصفه، ومن تغافل عنه هجاه، ومن أمثلة ذلك قصته مع الفيلسوف المعروف بابن باجة الذي لم يلتفت إليه إلا أنه عندما أحسن صلته توسع في ترجمته في كتابه الآخر " مطمح الأنفس "(٢).

ومن المآخذ على ابن خاقان أنه بعيد عن الموضوعية لأن ترجمته للأشخاص تعتمد على أهوائه ونزواته، لذا يجب على الباحث أن يكون على حذر في التعامل مع مؤلفاته، ومن المآخذ عليه أيضًا أنه لا يتناول جميع نواحي المترجم

---

(١)ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٤، ص٢٣-٢٤.

(٢)ابن خاقان، مطمح الأنفس، تحقيق د.محمد علي شوابكة، الطبعة الأولى، مؤسسة رسالة، بيروت، ١٩٨٣ م، ص٣٩-٤٠.

له، ولا يذكر الآثار التي ألفها، وكان همه إيراد ما للمترجم من النثر الرصين والشعر الجيد، فهو صورة ممتازة لدارس الأدب عن أحوال الأدب في تلك الحقبة.

وأهمية الكتاب بالنسبة لنا تعود إلى كونه يمثل أنموذجًا من نماذج أعلام الأدب في هذه الفترة من جانب، على أن أهميته الكبرى من الجانب الآخر تعود لاحتوائه بين دفتيه مجموعة من الوثائق المرابطية، ومجموعة من القصائد التي مدح بها قادة المرابطين، فقد ورد في هذا الكتاب عدد من الرسائل على قدر كبير من الأهمية، منها رسائل أبي بكر بن القصيرة عن أمير المسلمين علي بن يوسف، ورسائل لأبي القاسم بن الجد (ت٥١٥هـ/ ١١٢١م) عن أمير المسلمين علي ابن يوسف (٥٠٠- ٥٣٧هـ/ ١١٠٧- ١١٤٣م)، وغيرها.

وقد قسم ابن خاقان كتابه إلى أربعة أقسام، فخصص القسم الأول لمحاسن الرؤساء وأبنائهم، والثاني للوزراء والكتاب والبلغاء، والقسم الثالث لأعيان القضاة وأعلام العلماء، أما الرابع فخصصه لنبهاء الأدباء، وروائع فحول الشعراء.

٢- ابن خفاجة (أبو اسحاق إبراهيم بن أبي الفتح الأندلسي المعروف بابن خفاجة) ت٥٣٨هـ/ ١١٤٣م، ديوان ابن خفاجة

ولد ابن خفاجة في سنة ٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م، في جزيرة شقر الواقعة بين شاطبة وبلنسية، وقد كان ابن خفاجة شاعر عصره، استولت عليه روح المرح والاستمتاع بالحياة، ويتضمن ديوانه الكثير من القصائد في وصف الطبيعة، ويبدو الطبيعة الجميلة التي نشأ بها كان لها أبلغ الأثر عليه وعلى شعره [1]، وقد أشار في ديوانه إلى تغير الأمير أبي الطاهر تميم بن يوسف ابن تاشفين عليه، وسعاياته لطلب العفو منه، فلجأ إلى الأميرة مريم بنت إبراهيم بن يوسف ابن تاشفين، فمدحها بقصائد من الشعر وطلب منها أن تشفع له عند الأمير أبي الطاهر تميم ليعفو ويصفح عنه، وذلك لقوة نفوذها في دولة المرابطين.

٣- ابن بسام (أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني) ت ٥٤٢هـ/ ١١٤٧م، كتاب الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة

ولد ابن بسام الشنتريني سنة ٤٦٠هـ/ ١٠٦٧م، والشنتريني نسبة إلى بلدة شنترين التي ولد بها، وهي في أقصى الغرب على نهري تاجة بالقرب من إشبونة، ويبدو أن علاقته بالأمير سير بن أبي بكر ابن أخي يوسف بن تاشفين كانت وثيقة، مما دفعته إلى أن يصنف له كتاب الذخيرة [2].

---

(١) ابن خفاجة، ديوان ابن خفاجة، تحقيق د.عمر فاروق الطباع، دار القلم للطباعة والتوزيع، بيروت، ١٩٩٤م، ص٥-٦.

(٢) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج١٢، ص٢٧٥.

وكتاب الذخيرة مصدر على جانب كبير من الأهمية للباحث في تاريخ الأندلس وأدبها في فترة ملوك الطوائف التي تلت نهاية خلافة قرطبةCórdova الأموية في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، أما أهمية الكتاب التاريخية فترجع إلى احتفاظه بفقرات مطولة من كتاب "المتين" لشيخ مؤرخي الأندلس أبي مروان بن حيان (ت ٤٦٩هـ/ ١٠٧٦م)، وهو التاريخ الذي لم يصلنا، وأضاف إليها ابن بسام تأريخه للثلث الأخير من القرن الحادي عشر بعد وفاة ابن حيان.

ويمتاز هذا الكتاب بكون مؤلفه معاصرًا للفترة التي ندرس، فجاء كتابه مليئًا بكثير من الفوائد التاريخية، وكان في كثير من الأحيان فيما يقدمه من تاريخ المترجم له يظهر جوانب حياته المختلفة، وتفاعله مع أحداث عصره ووقائعه السياسية والاقتصادية، ويربطها بغيرها من أحداث العصر، ولكن من المؤسف أن هذه الموسوعة لا تغطي إلا جزءًا من الفترة الزمنية موضوع الدراسة إذ أن ابن بسام أنهى تأليف كتابه حوالي ٥٠٥هـ ثم لم يضف إليه شيئًا بعد ذلك رغم أنه عاش بعد ذلك مدة مديدة، وقد حقق هذا الكتاب د. إحسان عباس ونشره ١٩٧٩م في ثماني مجلدات.

٤- ابن سعيد المغربي (أبو الحسن علي بن موسى بن عبد الملك بن سعيد) ت ٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م، كتاب المغرب في حلي المغرب

بيت بني سعيد من أعظم بيوت الأندلس وأشرفها في عصري المرابطين والموحدين، فيمتد نسبهم إلى عمار بن ياسر الصحابي الجليل، وقد قام أربعة من أفراد هذه الأسرة على كتابة تاريخ شامل للأندلس في مدة استغرقت أكثر من مائة سنة، أولهم عبد الملك بن سعيد صاحب قلعة بني سعيد في عهد أمير المسلمين علي بن يوسف، ثم أتمه ابنه محمد بن عبد الملك، ثم أزاد فيه موسى ابن محمد، ثم أربى عليهم جميعًا في اتمامه أبو الحسن علي بن موسى الذي يرجع إليه الفضل في إخراج الكتاب في صورته النهائية[1].

بدأ ابن سعيد كتابه بالحديث عن الأندلس وخصائصها وفضائلها، وتحدث بعد ذلك عن أقاليم الأندلس إقليم بعد إقليم، كما تحدث عن كل مدينة وما برز فيها من الحكام والوزراء والكتاب والشعراء والأدباء، وأورد بعض الأخبار التي تتعلق بالحضارة الأندلسية.

وكتاب المغرب في حلي المغرب ضاع معظمه ولم يبق منه سوى أجزاء بسيطة تضمنت تراجم لبعض الشخصيات البارزة في الأندلس من العصر الأموي حتى أواخر عصر الموحدين، وقد انتفعت بهذا الكتاب في دراستي عن الشفاعات الدنيوية في الأندلس عصر المرابطين، فهو يتضمن معلومات مهمة

---

(١)ابن سعيد المغربي، المغرب في حلي المغرب، ج٢، ص٥-٨ من مقدمة المحقق؛ السيد عبد العزيز سالم، التاريخ والمؤرخون العرب، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٦٧م، ص٢٢٢ – ٢٢٣.

وقيمة عن جوانب متعددة تاريخية وجغرافية وأدبية، فمعلوماته التاريخية مستقاة من كتب المؤرخين منهم: الرقيق القيرواني (ت٤١٧هـ/ ١٠٢٦م)، وابن حزم (ت٤٥٦هـ/ ١٠٦٤م)، وابن حيان (٤٦٩هـ / ١٠٧٦م)، مما يضفي عليها قيمة علمية كبيرة.

٥- المقري (أبو العباس أحمد بن محمد المقري التلمساني) ت ١٠٤١هـ/ ١٦٣١م

ينحدر أصله من بلدة مقرة الواقعة شرقي الجزائر، وولد في تلمسان، وطاف ببلاد المغرب، ثم رحل إلى المشرق وتنقل بين بلدانه، ومنها: الحجاز، والشام، ثم استقر بالقاهرة[1]، وقد عطرت أركان الدراسة بكتابيه نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وأزهار الرياض في أخبار القاضي عياض.

أ- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب

صنفه المقري عندما استقر بالقاهرة عن لسان الدين بن الخطيب، لإعجابه الشديد بشخصيته، تناول فيه آثاره العلمية والأدبية والتاريخية، ثم مهد لهذا الكتاب بمقدمة تاريخية عامة عن الأندلس، فخرج الكتاب موسوعة ضخمة بعنوان " نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها

---

(١)المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨م، ج١، ص ١١- ١٢ من مقدمة المحقق؛ أبو العلا، مقدمة في مصادر التاريخ الإسلامي، ص٢١٠.

لسان الدين بن الخطيب "، وقد فرغ من كتابته في شهر رمضان ١٠٣٨هـ/ مايو ١٦٢٩م[1].

وجاء الكتاب في قسمين، قسم خاص بالأندلس في ثمانية أبواب، منها: باب فيمن رحل من أهل الأندلس إلى المشرق، وآخر فيمن وفد عليها من أهل المشرق، وآخر فيما عثر عليه من مراسلات أهلها في سقوط إماراتها، أما القسم الثاني فقد ضم أخبار ابن الخطيب وطائفة من مراسلاته، وقد اعتمد المقري في تأليفه على مصادر لم يصلنا أكثرها بالصورة التي وصلته، كالمغرب لابن سعيد، ومطمح الأنفس لابن خاقان، واعتمد بشكل كبير على كتاب المطمح الكبير الذي لا نعرفه حتى اليوم، وقد ألق الضوء على عدد من الشفاعات منها شفاعة أمير المسلمين علي بن يوسف عن القاضي أبي علي الصدفي.

ب – أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض

ألف المقري كتاب أزهار الرياض في مدينة فاس، وكان الباعث له على تأليفه رغبة أهالي بلده تلمسان في التعريف بالقاضي عياض، عالم المغرب الأوسط وقاضيه الأشهر، وقد ألم في هذه الترجمة بكثير من شئون بلاد الأندلس، وذكر طائفة من أخبار لسان الدين بن الخطيب، وأحوال المسلمين في عصر الجلاء عن الأندلس، وفوق اشتمال أزهار الرياض على ترجمة القاضي عياض،

---

(١) المقري، المصدر السابق، ج١، ص١١-١٤ من مقدمة المحقق.

ضم أيضًا طائفة كبيرة من الأخبار والنصوص المغربية والأندلسية[1]، التي لم ترد في نفح الطيب، ولا في غيره من الكتب، وقد استفدت منه في كتابة بعض الشفاعات الدنيوية في الأندلس في عصر دولة المرابطين مثل شفاعة القاضي ابن حمدين قاضي قرطبة لشاب شرب الخمر فَعُفِي عنه، وعلى خلاف ذلك طبق القاضي عياض الحد على ابن خاقان لشربه الخمر.

خامسًا: كتب الفقة والنوازل

كما تتصدر الكتب الفقهية قائمة المصادر، والكتب التي خصصت لأجوبة الفقهاء التي ردوا فيها على الأسئلة التي وردت إليهم من مختلف فئات الرعية وفي مختلف الموضوعات، ومنها:

١- ابن رشد (أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد) ت ٥٢٠هـ/ ١١٢٦م

تولى أبو الوليد بن رشد المعروف بالجد قضاء الجماعة بقرطبة، وصاحب الصلاة بالمسجد الجامع لها، ومن أبرز الفقهاء المالكية في الأندلس خلال عصر دولة المرابطين، وكان له دور كبير في القضاء والفتوى والسياسة، وتولى ابن رشد

---

(١)المقري، أزهار الرياض في أخبار عياض، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٣٩م، ج١، ص د، ه من مقدمة المحقق.

قضاء قرطبة بتقديم من أمير المسلمين علي بن يوسف في عام ٥١١هـ/ ١١١٧م -١١١٨م، وظل به حتى استعفي منه في عام ٥١٥هـ/ ١١٢١م[١].

ولابن رشد العديد من المؤلفات منها كتب النوازل وهما "كتاب فتاوى ابن رشد" و" كتاب البيان والتحصيل"، وقد استفدت منهما في إلقاء الضوء على عدد من الشفاعات الدنيوية في الأندلس في عصر المرابطين خاصة الشفاعات والوساطات في الأوساط الاجتماعية حيث يعد كتاب البيان والتحصيل من أمهات كتب الفقه المالكي بالأندلس وسائر بلدان الغرب الإسلامي. والكتاب يشتمل على آلاف المسائل المرتبة داخل أبواب كبرى، استوعب فيها ابن رشد الفتاوي والمسائل المستخرجة من الواضحة لعبد الملك بن حبيب (ت ٢٣٨هـ / ٨٢٥م)، والفتاوي والمسائل المستخرجة من الأسمعة المعروفة بالعُتبية نسبة للفقيه المشاور محمد بن أحمدبن عبد العزيز العُتبي (ت ٢٥٥هـ/ ٨٦٩م)، التي احتفظ فيها صاحبها بسماعات كثيرة من مالك وتلاميذه لولاه لضاعت، غير أنه لم يُمحصها[٢]، فجاء الكتاب بيانًا وتحصيلًا وشرحًا وتوجيهًا وتعليلًا لها، كما

---

(١)ابن بشكوال، الصلة، ج٢، ص٥٧٦-٥٧٧.

(٢)تتلمذ على شيوخ المالكية الأوائل، ومنهم: يحيى بن يحيى، وسحنون بن سعيد، وكان حافظًا للمسائل، جامعًا لها، عالمًا بالنوازل، وتصدر تلميذه ابن لبابة الذي دارت عليه الأحكام بقرطبة ستين سنة لإقراء المستخرجة، فأخذها عنه خلق كثير؛ عن ترجمته، راجع: ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٦٦م، ق٢، رقم ١١٠٤ ص٦-٧؛ إبراهيم عبد المنعم سلامة أبو العلا،

أودع ابن رشد في هذا الكتاب أيضًا جميع معارفه الفقهية التي اكتسبها من دراساته الواعية للمدونة، وما كتبه عليها أئمة المذهب من شروح واختصارات وتعليقات، فجاء البيان والتحصيل خلاصة وافية محيطة بالفقه المالكي ومعاملاته[1].

تناولت نوازل ابن رشد العديد من جوانب الحياة الاجتماعية والدينية والاقتصادية في الأندلس خلال النصف الثاني من القرن الخامس الهجري وحوالي الربع الأول من القرن السادس الهجري، أي في عصري الطوائف والمرابطين، وقد كان لدراسة تلك النوازل والفتاوى التي تميزت بالشمولية، وتحليلها دور كبير في الكشف عن نواح مهمة في الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في الأندلس في عصر المرابطين، والتي يندر العثور على معلومات عنها في المصادر التاريخية، خاصة الناحية الاجتماعية، فقد تعرضت لبعض طبقات المجتمع، وأهم المشكلات الأسرية، والعلاقات بين الجيران والمنازعات التي تنشب بينهم وأسبابها، مما أفاد الدراسة في مدها بعدد من الوساطات والشفاعات الدنيوية القيمة.

رعاية الأيتام واللقطاء في الأندلس منذ الفتح الإسلامي حتى نهاية دولة المرابطين (٩٢ – ٥٢٠هـ/ ٧١١ – ١١٢٦م)، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠١٦م، ص١٨.

(١)ابن رشد، البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل في مسائل المستخرجة، تحقيق أحمد الشرقاوي إقبال، الطبعة الثانية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٨م، ج١، ص٥-١٠.

٢- الونشريسي (أحمد بن يحيى الونشريسي) (ت ٩١٤/١٠٠٨م)، كتاب المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل أفريقية والأندلس والمغرب

كان أبو العباس أحمد بن يحيى بن محمد الونشريسي التلمساني[1]من الفقهاء المالكين البارزين في المغرب، وله العديد من المؤلفات منها " كتاب المعيار "، وهو من أبرز كتب الونشريسي، وقد اعتمد في فتاواه التي أوردها في كتابه على مصنفات الفقة المالكي بأصنافها المتعددة سواء الأمهات أو المختصرات في الأصول والفروع والنوازل والوثائق.

ويشتمل كتاب المعيار على مجموعة ضخمة من النوازل والفتاوى الفقهية التي تتميز بابتعادها عن الجانب النظري، فهي تعبر بصدق عن واقع الحياة اليومية في المغرب والأندلس، وقد تناول " كتاب المعيار" جوانب متعددة

---

(١)لمزيد من التفاصيل عن ترجمة الونشريسي انظر: بابا التنيكتي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج – عليهامشكتابالديباجالمذهبلابنفرحون،نشردار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ، ص٨٧ – ٨٨؛ ابن القاضي، درة الحجال في أسماء الرجال، تحقيق الأحمدي أبوالنور، القاهرة، ١٩٧٠م، ج١، ص٩١ -٩٢؛ السراج الأندلسي، الحلل السندسية في الأخبار التونسية، تحقيق محمد الهيلة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٤م، م١، ص٦٣٤ -٦٣٥؛ خير الدين الزركلي، الاعلام، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٩٥٤م، ج١، ص٢٥٥ – ٢٥٦؛ كمال السيد أبو مصطفى، جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل وفتاوى المعيار المعرب للونشريسي، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، ١٩٩٦م، ص٧.

من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والعلمية والدينية التي تمس جوانب المجتمع في الغرب الإسلامي، وقد استفدت من تلك النوازل في تناول العديد من الشفاعات الدنيوية والوساطات في الأندلس في الفترة موضوع الدراسة.

سادسًا: المعاجم اللغوية

من المصادر التي اعتمدنا عليها، واستفدنا منها، المعاجم اللغوية وبعض كتب الفقة أمدتنا بمعلومات قيمة عن تعريف الشفاعة لغةً واصطلاحًا وأصنافها، ومنها: " كتاب التوسل والوسيلة " لابن تيمية، و" كتاب لسان العرب " لابن منظور.

ب- المراجع العربية الحديثة

وقد استعنت أيضًا بكثير من المراجع، استقيت منها في معظم الأحوال آراء أصحابها حول بعض الأحداث، مستأنسًا بتلك الأقوال في تأييد وجهة نظري، وتأتي في مقدمة هذه المراجع:

١- السيد عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس

يقع كتاب قرطبة حاضرة الخلافة في جزأين، فالجزء الأول ينقسم إلى ثلاثة أقسام فالقسم الأول يتناول عرض مختصر لتاريخ قرطبة من الفتح الإسلامي إلى سقوط قرطبة في يد القشتالين، ويقع في أربعة فصول، والقسم الثاني خصصه المؤرخ للتخطيط والعمران في قرطبة، ويقع في فصلين، والقسم الثالث يتناول آثار قرطبة الباقية، ويضم ثلاثة فصول، ويأتي الجزء الثاني

استكمالًا لما بدأه المؤلف في طرحه حول مدينة قرطبة، كما يتناول فيه أيضًا التراث الفني والعلمي والصناعة في قرطبة، وقد استفدت منه في تناوله عدد من السعايات والشفاعات منها: السعاية بالخليفة المستظهر ومقتله عام ٤١٤هـ / ١٠٢٣م، وعفو أمير المسلمين علي بن يوسف عن أهل قرطبة.

٢- أحمد مختار العبادي، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس

تناول الكتاب العديد من الجوانب الحضارية والسياسية في المغرب والأندلس، وقد أفدت منه في تحليل عدد كبير من الشفاعات والوساطات خاصة في الدراسة التمهيدية، فقد أشار المؤلف إلى ارتفاع مكانة الشاعر ابن مقانا في عصر الطوائف وغيرها.

٣- سحر السيد عبد العزيز سالم، شاطبة الحصن الأمامي لشرق الأندلس في العصر الإسلامي

تناولت الدراسة تاريخ مدينة شاطبة بشرق الأندلس السياسي والحضاري في العصر الإسلامي، كما تناولت الدراسة عدد من الأحداث السياسية المهمة في تاريخ الأندلس، وقد احتوت تلك الأحداث على شفاعات ووساطات دنيوية في الأندلس من تلك الشفاعات لجوء أهل بلنسية وشاطبة إلى الله بالدعاء والاستغاثة للتخلص من حكم مبارك ومظفر العامريين.

٤- محمد عبد الله عنان

أ- عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس

من أهم المراجع التي اعتمدت عليها في الدراسة، والذي يهمني منه القسم الأول الخاص بعصر المرابطين وبداية الدولة الموحدية، وقد قدم هذا

الكتاب معلومات جيدة عن أوضاع الأندلس في عصر المرابطين منذ وقعة الزلاقة وحتى سقوط دولة المرابطين بشكل إجمالي إذ لم يخضع كثير من جوانبه للنقد والتحليل.

ومما يؤخذ على المؤلف أنه أهمل النظم الاقتصادية والاجتماعية والإدارية، ولم يذكرها بشئ إلا البسيط جدًا منها، وذلك لا يروي ظمأ الباحث في هذه الحقبة، وقد ختم الباحث كتابه بالحديث عن الممالك الإسبانية النصرانية خلال العصر المرابطي وأوائل عصر الموحدين، كما ذيل الكتاب بمجموعة من الوثائق الخاصة بالعصر المرابطي والموحدي.

ب- دول الإسلام في الأندلس

كما اعتمدت أيضًا على موسوعة نفس مؤلف " كتاب عصر المرابطين والموحدين " محمد عبد الله عنان دولة الإسلام في الأندلس وخاصة الجزأين الخاصين بعصر الطوائف ودولة المرابطين، فقد استفدت منه في التمهيد حيث قدم لي صورة جيدة عن أحوال الأندلس قبيل وبعد سقوط دول الطوائف، فتحدث عن دول الطوائف في غرب الأندلس، والوسط، والجنوب، وشرقي الأندلس... إلخ، وتحدث عن موقعة الزلاقة، ونشأة الدولة المرابطية، وفتح المرابطين للأندلس.

٥- إبراهيم القادري بوتشيش، المغرب والأندلس في عصر المرابطين

هي جزء من أطروحة دكتوراة للباحث، خصصها لدراسة الحياة الاجتماعية والذهنيات والأولياء في المغرب والأندلس، وتطرق فيها إلى الحديث عن التصوف والأولياء والحياة العائلية، فأشار إلى عدد من الشفاعات

والوساطات والسعايات أيضًا في الأوساط الاجتماعية في عصر المرابطين، كما أشار إلى التشفع بالزهاد والصالحين، والتماس البركة والدعاء منهم، غير أنه أطنب في الحديث عن المغرب دون الأندلس.

وللمؤلف كتاب آخر لا يقل أهمية عن غيره من المراجع، وهو " كتاب الغرب الإسلامي " الذي تناول بعض القضايا في تاريخ المغرب والأندلس.

٦- عصمت دندش، الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين

عرضت فيه الباحثة مواضيع مختلفة، كان أحدها الحياة الاجتماعية والسياسية والإدارية في عصر المرابطين، وقد أشارت الباحثة إلى سياسة التسامح الشديد التي استخدامها أمير المسلمين علي بن يوسف مع تمرد غرناطة وإشبيلية، وعرضت مكانة بعض الوسطاء في دولة المرابطين، فقد استفدت كثيرًا من تحليلات وبعض استنتاجات الباحثة.

٧- كمال السيد أبو مصطفى، محاضرات في تاريخ المغرب والأندلس

مجموعة من الدراسات تناول فيها المؤلف ملامح عصر دولتي المرابطين والموحدين في الأندلس، كما تناول صورًا من المجتمع الأندلسي في عصري الطوائف والمرابطين من خلال نوازل ابن رشد القرطبي، وتحدث عن بعض طبقات وفئات المجتمع من خلال النوازل، وقد أشار إلى عدد من السعايات والشفاعات الدنيوية في دولة المرابطين كما حدث بين القاضي الزهري والطبيب ابن زهر، ومن خلال تناوله بعض الجوانب الاجتماعية في دولة المرابطين، جاءت تفسيرات لظروف حدوث بعض الشفاعات والوساطات كطول غياب الأزواج

عن أزواجهم وتوسط أصدقائهم أو أقاربهم عند أزواجهم بعدم طلب الطلاق نظير الإنفاق عليهم حتى عودتهم.

٨- حمدي عبد المنعم محمد حسين، التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين

ومن أهم المراجع كتاب التاريخ السياسي والحضاري لحمدي حسين الذي تناول العديد من الجوانب الإدارية والسياسية في عصر المرابطين، فقد أعطى تفسيراتٍ لمكانة بعض الوسطاء والتعريف بهم في دولة المرابطين في الأندلس، مما كان لها أبلغ الأثر في تفسير أسباب قبول شفاعاتهم ووساطاتهم، وللمؤلف أيضًا " كتاب الحضارة الإسلامية "، تناول الجوانب الحضارية في الدولة الإسلامية، وتعرض فيه بالحديث عن الحضارة في الأندلس في عصر المرابطين.

٩- إبراهيم عبد المنعم سلامة أبو العلا، الشفاعات الدنيوية في الأندلس منذ الفتح الإسلامي حتى نهاية عصر الدولة العامرية

من المراجع التي تناولت الشفاعات الدنيوية بشكل مباشر في الأندلس منذ الفتح الإسلامي ٩٢ – ٣٩٩هـ/ ٧١١م – ١٠٠٩م، وقد استفدت من تلك الدراسة في تناول الشفاعات الدنيوية في الأندلس في عصر المرابطين حيث كان له دور كبير في تفسير الكثير من الشفاعات الدنيوية وأسبابها، فقد تميز المؤلف بمنهجه التاريخي الفلسفي، واستعانته بالمصادر الأدبية والفقهية والجغرافية، لصياغة موضوع الشفاعة الدنيوية، فقد كان حريصًا على تحقيق ودراسة الأحداث التاريخية بغية الوصول إلى الحقائق التاريخية المهمة.

وتكمن أهمية الدراسة في أنها تسد ثغرة في مجال الدراسات التاريخية عن المجتمع الأندلسي، وتعود أهميته أيضًا باعتباره محاولة تسهم في الكشف عن بعض الأحداث والوقائع السياسية والاقتصادية والدينية والاجتماعية في الأندلس منذ الفتح الإسلامي وحتى سقوط الدولة العامرية.

الدراسة التمهيدية

مفهـوم الشفاعـة الدنيويـة

لغةً واصطلاحًا وأسبابها

أولًا: الشفاعة الدنيوية لغةً

ثانيًا: الشفاعة الدنيوية اصطلاحًا

ثالثًا: أصناف الشفعاء وتطلعهم إلى قبول شفاعتهم دون أن يضمنوا ذلك

رابعًا: أسباب الشفاعات الدنيوية في الأندلس

الدراسة التمهيدية

مفهوم الشفاعة الدنيوية لغةً واصطلاحًا وأسبابها

أولًا: الشفاعة الدنيوية لغةً

الشفاعة لغة مأخوذة من الشفع أي طلب وتوسل، وهو كلام الشفيع للحاكم أو للمسئول في حاجة يسألها لغيره، فيقال: شفَع يشَفعَ شَفاعةً[1]، فهي الطلب والوسيلة. والشفيع أو الشافع، هو الطالب لغيره، يُتشفع به إلى المطلوب[2]، وقيل: استشفعته إلى فلان: أي سألته أن يشفع لي إليه، وقيل: استشفع بفلان على فلان، وتشفع له فشفعه فيه، فاستشفعه بمعنى طلب منه الشفاعة، أي يكون شافعًا[3]، والمُشفَعُ: الذي يقبل الشفاعة، والمشَفع: الذي تقبل شفاعَتُه، فهو شافع وشفيع[4].

---

(١)ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق علي بن حسن بن علي بن عبد الحميد الحلبي الأثري، الطبعة الأولى، دار ابن الجوزي، السعودية، ٢٠٠٠م، ص٤٨٤؛ ابن منظور، لسان العرب، الطبعة السادسة، دار صادر، بيروت، ١٩٩٧م، م٨، ص١٨٤؛ ابن تيمية، قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، الطبعة الأولى، إدارة البحوث العلمية والإفتاء، السعودية، ١٩٩٩م، ص١٢٥.

(٢)أبو العلا، الشفاعات الدنيوية في الأندلس، ص٣١.

(٣)ابن منظور، لسان العرب، م٨، ص٢٣٨.

(٤)ابن الأثير، النهاية، ص٤٨٥؛ ابن منظور، لسان العرب، م٨، ص١٨٤.

ثانيًا: الشفاعة الدنيوية اصطلاحًا

يقصد بالشفاعة الدنيوية اصطلاحًا: السؤال في التجاوز عن الذنوب والجرائم فيما يتعلق بأمور الدنيا والآخرة(1) وتنقسم الشفاعة الدنيوية إلى نوعين كما أوضح القرآن الكريم: شفاعة حسنة، وشفاعة سيئة قال الله عز وجل: ﴿**مَّن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُ كِفْلٌ مِّنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا**﴾(2) أي أن من يسعى في أمر فيترتب عليه خير كان له نصيب من ذلك، ومن يسعى في أمر يترتب عليه شر وسوء لغيره يكون عليه الوزر نتيجة سعيه ونيته(3)، وعلى ذلك فالشفاعة الحسنة هي السعي بالخير لشخص آخر، وتذكير الشفيع لولي الأمر بقضاء حاجة المشفع له، والإحسان إليه(4)، وهي أيضًا المشورة على ولي الأمر بالرأي الأفضل لصالح المشفع له، ويكون الوسيط أي الشفيع في هذه الحالة مستشار ولي الأمر الذي أشار عليه

---

(1)ابن الأثير، النهاية، ص٤٨٥؛ ابن منظور، لسان العرب، م٨، ص١٨٤.

(2)القرآن الكريم: النساء: ٨٥.

(3)أبو عبد الرحمن مقبل بن هادي الوادعي، الشفاعة، الطبعة الثالثة، مؤسسة الريان، بيروت، ١٩٩٩م، ص٣٠٥.

(4)ابن سماك العاملي، الزهرات المنثورة في نكت الأخبار المأثورة، تحقيق د.محمود علي مكي، المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد، ١٩٨٢م، ص٢٤-٢٥.

بذلك[1]، فالشفاعة الحسنة هي سؤال الخير من الغير للغير، والسعي بما ينفع الناس.

أما الشفاعة السيئة فهي السعي في الشر والمكروه، فقيل: شفع لي بالعداوة: أي أعان عليَّ، فقيل: إن فلانًا ليشفع لي بعداوة: أي يضادني[2]، وعلى ذلك فالشفاعة تحمل العديد من المعاني فهي: الواسطة، والتزكية، والوسيلة، والتوصية، ومن المرجح أن مصطلح الشفاعة كان يستخدم للسؤال في التجاوز عن العقوبات أو تخفيفها، بينما استخدمت المصطلحات الأخرى لقضاء مصالح ذوي الحاجات[3]، وقريبًا من معنى الشفاعة الحسنة والسيئة قال ابن حزم[4]:

صفة الصالحِ مَنْإنْ صُنتهُ عن قبيح أظهرَ الطوعَ الحسَنْ

وسواهُ مَنْ إذاثقفتهـــــا عملَ الحِيلة في خَلعِ الرسَـــنْ

(١)ابن الأبار، المعجم، ص٢١٤.

(٢)ابن منظور، لسان العرب، م٨، ص١٨٣.

(٣)أبو العلا، الشفاعات الدنيوية، ص٣٣.

(٤)ابن حزم، طوق الحمامة في الألفة والإلاف، تحقيق د.الطاهر أحمد مكي، الطبعة الرابعة، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٥م، ص١٦٨.

ثالثًا: أصناف الشفعاء وتطلعهم إلى قبول شفاعتهم دون أن يضمنوا ذلك

إن الشافع عندما يبذل شفاعته، وإن كان ذا مكانة، فهو يتطلع إلى قبولها، ولكنه لا يضمن ذلك، فهي ليست فرضًا على المشفوع عنده، فيقول ابن تيمية[1]: "الشافع: هو الذي يشفع السائل فيطلب له ما يطلب من المسئول المدعو المشفوع إليه، والشافع "فسائل لا تجب طاعته في الشفاعة وإن كان عظيمًا"، وقد يكون الشفيع شيئًا معنويًا، كالشعر والرسائل الإخوانية، فقد كانت أرق قصائد المدح، ورسائل العتاب والاعتذار شفيعًا لأصحابها عند المشفوع عنده، ليتجاوز عن ذنوبهم[2]، وقد يكون الشفيع شيئًا ماديًا، ففي حالات كثيرة يكون المال، والهدايا شفعاء عند المشفوع عنده، ليعفو عن زلات المشفوع له، كما كان بعض أهل الأندلس يستشفعون بمواقف المشفوع عنده وآرائه التي صاغها شعرًا، للعفو عن تجاوزاتهم، وكان لهذه الأشياء المعنوية أثر كبير في قبول الشفاعة، ولكنها كانت أحيانًا سببًا في زيادة الحنق على أصحابها، وتعرضهم للنكبات[3].

---

(١)ابن تيمية، التوسل والوسيلة، ص١٢٦.

(٢)ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق د.إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٩٧م، ق١، م١، ص٣٣٨-٣٤٠؛ ابن الأبار، إعتابُ الكُتابِ، تحقيق د.صالح الأشتر، الطبعة الأولى، مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٦١م،، ص٢٠٧-٢٠٨.

(٣)أبو العلا، الشفاعات الدنيوية، ص٣٣-٣٤.

رابعًا: أسباب الشفاعات الدنيوية في الأندلس

كان بعض الشفعاء يتطوعون من تلقاء أنفسهم دون أن يُطلب منهم ذلك، وكان وبعضهم يشفع بعد أن يُطلب منهم، وقد كان للشفاعات الدنيوية في الأندلس خلال الحقبة موضوع الدراسة، العديد من الأسباب:

١- الأسباب الدينية

سعى كثير من الأندلسيين لينالوا الثواب العظيم الذي وعد به الله ورسوله أولئك الذين يشفعون لإخوانهم شفاعة حسنة، سواء قضيت أو لم تقضَ، ففي حديث قدسي يقول المولى تبارك وتعالى: "من مشى مع أخيه في حاجة عند سلطان قضيت أو لم تقضَ فإني أحكمه في الجنة"[(١)]، وحث النبي صلى الله عليه وسلم على الشفاعة الحسنة، فعَن أَبِي مَوسَى الأَشعَرِيِّ (ت٤٤هـ/ ٦٦٥م) رضي الله عنه قَالَ: كَانَ النبِيُّ صلى الله عليه وسلم إِذَا أَتَاهُ طَالِبُ حَاجَةٍ أَقبَلَ عَلَى جُلَسَائِهِ فَقَالَ: " اشفَعُوا تُؤجَرُوا وَيَقضِي اللهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيهِ مَا أَحَبَّ " وفي رواية " مَا شَاءَ "، ويلحق بالأسباب الدينية تلك السعايات والوشايات

(١)الرازي، التفسير الكبير، الطبعة الثالثة، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٥م، ج١٠، ص٢١٣.

التي بذلت لعدم نشر كتب ومؤلفات وعلوم دينية مثل حرق كتاب الإحياء للإمام الغزالي (ت٥٠٥هـ/ ١١١١م)[١].

٢- الأسباب السياسية

توسط بعض الشفعاء لإزالة الاحتقان بين ملوك الطوائف، من أجل تضافر الجهود للوقوف أمام النصارى الأسبان، والدفاع عن المدن الإسلامية الأندلسية[٢]، كما سعى البعض ببعض الحكام لقتلهم والتخلص منهم[٣]، وسعى البعض بملوك الطوائف عند أمير المسلمين يوسف بن تاشفين (ت٤٥٧-٥٠٠هـ/ ١٠٦٥- ١١٠٦م) للتخلص منهم، وإعادة الوحدة السياسية لبلاد الأندلس، والتخلص من المغارم المفروضة عليهم[٤]، وتوسط بعض الوسطاء للإفراج عن الثوار المسجونين[٥]، كما عرف عن دولة المرابطين التسامح الشديد

(١)ابن القطان، نظم الجمان، ص٧٠-٧١؛ ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار المغرب والأندلس، تحقيق د.إحسان عباس، الطبعة الثالثة، دار الثقافة، بيروت، ١٩٨٣م، ج٤، ص٥٩-٦٠.

(٢)ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص٢١٣.

(٣)ابن بسام، الذخيرة، ق١، م١، ص٥٥.

(٤)ابن الأبار، الحلة السيراء، ج٢، ص٨٥-٨٧.

(٥)الأمير عبد الله، التبيان، ص١٤٧-١٤٩؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ج٣، ص٣٣١-٣٣٣.

مع الثوار فقد شفع أمير المسلمين علي بن يوسف عن عدد كبير من الثوار في عهده[1].

٣- الأسباب الإدارية

توسط البعض خدمة للجهازين التشريعي والإداري للدولة، بتقديم عناصر الخبرة وذوي الكفاية، لشغل المناصب القيادية[2]، كما كان للعصبية دور في تعيين الولاة، فاقتصر تعيين الولاة في الأندلس في عصر المرابطين على اللمتونيين مما أثار سخط الأندلسيين[3]، رغم ذلك حرص المرابطون على تعيين المشهود لهم بالكفاءة في القضاء وغيرها من المناصب الأخرى[4].

٤- الوشائج الاجتماعية

كانت الوشائج الاجتماعية من أهم أسباب الشفاعات الدنيوية في الأندلس، فقد شفع البعض لصلة النسب بينهم والمشفوع لهم[5]، وشفع البعض

---

(١)ابن الأبار، المعجم، ص١٣٨.

(٢)ابن رشد، فتاوى ابن رشد، تحقيق المختار بن الطاهر التليلي، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٩٨٧م، ج١، ص١٨٢.

(٣)إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ٢٠٠٠م، ج١، ص١٦٩.

(٤)ابن رشد، فتاوى، ج٣، ص١٦١٠-١٦١١.

(٥)أحمد بن يحيى الونشريسي، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب، خرجه جماعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨١م، ج٤، ص٩٩.

لجيرانهم إحقاقًا لذمة الجوار[1] كما شفع الأصدقاء لأصدقائهم وفاءً لهم، وقيامهم بحق الإخاء[2].

٥- الشفاعة بالعداوة للآخرين حسدًا لهم

وكان بعض أهل الأندلس يشفعون بالعداوة للآخرين حسدًا لهم، وغيرة من المكانة الرفيعة التي بلغوها عند ولاة الأمور، وتصفية لحسابات قديمة بينهم، والانتقام لما نال بعضهم من تنقص ونقد على يد الآخرين، ومنها أيضًا: الصراع على المكانة والحفاظ عليها، والطمع في الولاية المرشح لها غيرهم، فكادوا لهم عند ولاة الأمور؛ ليحرموهم منها[3].

(١)الونشريسي، المعيار، ج٤، ص١٠٥.

(٢)الونشريسي، المعيار، ج٤، ص٩٧.

(٣)ابن خاقان، مطمح الأنفس، ص٤٥.

الفصل الأول

الشفاعات الدنيوية في عصر ملوك الطوائف بالأندلس

(٤٠٠هـ- ٤٨٣هـ/ ١٠١٠م- ١٠٩٠م)

تمهيد

أولًا: شفاعات للحكام وكبار رجال الدولة من نقمة الحكام

ثانيًا: شفاعات عن الأسرى والثوار

ثالثًا: وساطات لقضاء الحاجات عند ولاة الأمور

رابعًا: وساطات في نشر العلوم الدينية

خامسًا: شفاعات في الأوساط الاجتماعية الراقية

سادسًا: وساطات لشغل المناصب الرفيعة

سابعًا: شفاعات في منتقدي سياسة الحكام

ثامنًا: التشفع إلى الله بالأعمال الطيبة وبالزهاد والصالحين

تاسعًا: الشفاعة في الحدود

الفصل الأول

الشفاعات الدنيوية في عصر ملوك الطوائف بالأندلس
(٤٠٠هـ - ٤٨٣م/ ١٠١٠م - ١٠٩٠م)

تمهيد

يعتبر عام ٤٢٢هـ/ ١٠٣١م هو التاريخ الرسمي لعصر الطوائف وقيام الدويلات، وسقوط الخلافة الأموية، غير أنه على أرض الواقع انبعثت الطوائف في أعقاب الفتنة البربرية سنة ٤٠٠هـ/ ١٠١٠م، فشهدت تلك الفترة العديد من الشفاعات، حيث تعرض بعض الحكام وكبار رجال الدولة والحاشية والأدباء والشعراء، للغضب والسخط نتيجة للسعايات بهم، فتعرضوا للعزل والسجن والقتل، وقد أشارت المصادر إلى شفاعات ووساطات بُذلت عند هؤلاء الحكام، للعفو عنهم.

أولًا: شفاعات للحكام وكبار رجال الدولة من نقمة الحكام

أ- سعايات وشفاعات للحكام

شهدت الفترة منذ عام ٤٠٠هـ/ ١٠١٠م حتى عام ٤٨٣هـ/ ١٠٩٠م حدوث العديد من الشفاعات والسعايات التي لحقت ببعض الحكام والملوك في الأندلس من ذلك:

١- مقتل الخليفة المستظهر ٤١٤هـ/ ١٠٢٣م

هزم أهل قرطبة البربر والقاسم بن حمود وتخلصوا منهم واتفقوا على رد الأمر إلى بني أمية[١] واجتمع أهل قرطبة بالمسجد الجامع ليتشاوروا في اختيار واحد من ثلاثة من أبناء البيت الأموي وهم عبد الرحمن بن هشام وسليمان ابن المرتضي وعلي محمد بن العراقي[٢]، واختاروا عبد الرحمن بن هشام وبايعوه بالخلافة ٤١٤هـ/ ١٠٢٣م ولقبوه بالمستظهر (رمضان٤١٤- ذو القعدة٤١٤هـ/ نوفمبر١٠٢٣- يناير١٠٢٤م)[٣]، وبايع سليمان بن المرتضي ومحمد ابن العراقي[٤] الخليفة المستظهر بالخلافة وقبلا يده[٥]، ومما حرك الناس على المستظهر رفع جماعة

---

[١] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، راجعه وصححه د. محمد يوسف الدقاق، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م، ج٨، ص١٠٢.

[٢] ابن بسام، الذخيرة، ق١، م١، ص٤٨؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص١٣٩.

[٣] ابن حيان، المقتبس من أنباء أهل الأندلس، تحقيق د. محمود علي مكي، دار التعاون، القاهرة، ١٩٩٤م، ص٢٧.

[٤] كان محمد بن العراقي أحد أمراء بني أمية، ممن اتفق عليهم أهل قرطبة لاختياره للخلافة بعدما تخلصوا من الحكم البربري بانتصارهم على القاسم بن حمود (٤١٤هـ/ ١٠٢٣م)، وعندما وقع الاختيار على عبدالرحمن ابن هشام الملقب بالمستظهر (٤١٤ه/ ١٠٢٣م) بايعه بالخلافة هو وسليمان المرتضي، غير أن المستظهر حبس سليمان المرتضي ومحمد بن العراقي، تجنبًا لما قد يثيرانه من قلاقل لو تركهما طلقاء، ويوم مقتل المستظهر، بويع سليمان ابن المرتضي بالخلافة، ولقب بالمستكفي، وعاجل ابن عمه وولي عهده محمد ابن العراقي بالقتل خنقًا (٤١٥هـ/ ١٠٢٤م)، ونعاه الناس. (ابن عذاري، البيان، ج٣، ص١٤٠-١٤٣ ؛ سالم، قرطبة حاضرة الخلافة، ج١، ص١٠٤-١٠٥).

[٥] ابن بسام، الذخيرة، ق١، م١، ص٥٠؛ ابن خلدون، العبر، ج٢، ص٩٩٦.

من الأتباع إلى الوزارة وقدمهم على سائر الرجال واستهدافه إلى أهل بيته من ولد الناصر وحبس سليمان بن المرتضى ومحمد بن العراقي[1].

ولحقت بالمستظهر سعايات ووشايات أثارت ضده أهل قرطبة؛ فيذكر بعض المؤرخين أنه أخذ جماعة من أعيان قرطبة فسجنهم لميلهم إلى سليمان ابن المرتضى، وأخذ أموالهم فسعوا عليه من السجن وألبوا الناس ضده، فأجابهم صاحب الشرطة وغيره، واجتمعوا وقصدوا السجن فأخرجوا من فيه[2] ومن الأسباب التي سعى بها على المستظهر إكرامه لوفدٍ من البرابرة قدموا عليه، فصاح الناس: " عاد شر البربر جدعًا! " [3]، ووثبوا عليه بالقصر وقتل البرابرة حيث وجدوا وقتل المستظهر فكانت إمارته سبعة وأربعين يومًا[4].

كان ممن سعى بالخليفة المستظهر وأهاج عليه أهل قرطبة، جماعة من أهل الشر في السجون يتعين ألا يخرج منهم إنسان، فأخرج منهم شخصًا يقال له أبو عمران، وقد كان أشار بعض الوزراء عليه بعدم إخراجه، فأخرجه

---

[1] ابن بسام، الذخيرة، ق١، م١، ص٥١،٥٢.

[2] ابن بسام، الذخيرة، ق١، م١، ص٥١،٥٢؛ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص١٠٢-١٠٣.

[3] ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق٢، ص١٣٥.

[4] ابن بسام، الذخيرة، ق١، م١، ص٥٥؛ المراكشي، المعجب، ص٥٧.

وخالفه في ذلك، فسعى القوم الذين خرجوا من السجن على إفساد دولته وقتله[1].

وذكر ابن بسام أنه كان من الساعين على المستظهر ابن عمه محمد ابن عبد الرحمن بن عبيد الله الناصر، فقد كان الغدر من صفاته، وتهلل وجه بقتل المستظهر، وبويع محمد بن عبد الرحمن بالخلافة بعد مقتل المستظهر ٤١٤هـ/ ١٠٢٣م ولقب بالمستكفي[2].

٢- الصلح بين المعتضد بن عباد ملك إشبيلية والمظفر بن الأفطس ملك بطليوس ٤٤٣هـ/ ١٠٥١م

عظمت القطيعة بين المعتضد بن عباد (٤٣٣- ٤٦١هـ/ ١٠٤٢- ١٠٦٩م) وبين جاره المظفر بن الأفطس (٤٣٧- ٤٦١هـ/ ١٠٤٦- ١٠٦٩م)[3] حينما نشب القتال بينهما بشأن لبلة[4] التي هاجمها ابن عباد، واستغاث صاحبها

---

[1] ابن بسام، الذخيرة، ق١، م١، ص٥٣؛ المقري، نفح الطيب، ج١، ص٤٨٩؛
Vallve (J.) ، Nasr El Valido de Abd Al – Rahman II ، R.Al-Qantara ، Madrid ، 1985 ، Vol II ، p.180 .

[2] ابن بسام، الذخيرة، ق١، م١، ص٥٥؛ سالم، قرطبة، ج١، ص١٠٤-١٠٥.

[3] ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق٢، ص١٥٦.

[4] لبلة Niebla: مدينة قديمة في غربي الأندلس كثيرة الخير صالحة القدر عليها سور تقع غرب قرطبة بينها وبين قرطبة خمسة أيام على طريق إشبيلية وبينها وبين إشبيلية يومان (ابن حوقل، صورة الأرض، دار مكتبة

ابن يحيى[1] بصديقه المظفر بن الأفطس[2]، وقد والى المعتضد الحرب مع ابن الأفطس في شهور سنة ٤٢٢هـ/ ١٠٥٠م، واستطاع المعتضد هزيمة ابن الأفطس فتحصن ببلده بطليوس، وجعل يشكو به إلى حلفائه فلا يجد ظهيرًا ولا نصيرًا[3].

الحياة، بيروت، ١٩٩٢م، ق١، ص١١٠؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٩٧٧م، ج٥، ص١٠).

(١)أبو عبد الله محمد بن يحيى اليحصبي الملقب بعز الدولة حكم لبلة (٤٣٣- ٤٤٣هـ/ ١٠٤٢- ١٠٥١م) بعد وفاة أخيه أبي العباس أحمد بن يحيى اليحصبي (٤١٤- ٤٣٣هـ/ ١٠٢٣- ١٠٤٢م)، وفي عهد أبي عبد الله ابن يحيى اليحصبي استهدف المعتضد بن عباد لبلة ووجه إليها غارات خفيفة، ثم ما لبث أن تحولت تلك الغارات فجأة إلى هجوم خاطف عنيف شنته حشود المعتضد الكثيفة عام ٤٣٩هـ/ ١٠٤٧م على لبلة، ومع زيادة الضغط على لبلة، آثر اليحصبي التصالح مع المعتضد، وهو ما لم يرض به ابن الأفطس بل وهاجم لبلة فاستغاث ابن يحيى بالمعتضد. وعادت المعارك بين المظفر والمعتضد عام ٤٤٢هـ/ ١٠٥٠م وكانت الغلبة فيها للمعتضد، ولم تنته المعارك إلا بوساطة من أبي الوليد بن جهور صاحب قرطبة لينعقد الصلح في ٤٤٢هـ/ ١٠٥١م، عندئذ وجد المعتضد الفرصة سانحة للتضييق على لبلة، فاضطر محمد بن يحيى للتنازل عن الحكم لابن أخيه أبي نصر فتح بن خلف اليحصبي الملقب بناصر الدولة، الذي عقد السلم مع المعتضد، وأدى له جزية سنوية. (ابن عذاري، البيان، ج٣، ص٢٠٩-٢١١؛ سحر سالم، تاريخ بطليوس، ج١، ص٣٩٣-٤٠٧).

(٢)ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص٢١١، محمد عبد الله عنان، دول الإسلام في الأندلس (العصر الثاني)، الطبعة الرابعة، مطبعة المدني، القاهرة، ١٩٩٧م، ص٢٩.

(٣)ابن بسام، الذخيرة، ق١، م١، ص٣٨٦-٣٨٧، ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص٢١١.

وتمتعت دولة بني جهور بين دول الطوائف وأمرائها بمركز أدبي خاص خاصة في عهد مؤسسها الوزير أبي الحزم بن جهور[1]، فكانت في أحيان كثيرة تتخذ مركز الوسيط والحكم في فض المنازعات وإقرار السلم بين الأمراء[2]، من ذلك أن نجحت مساعي وشفاعات ابن جهور في الصلح بين المعتضد بن عباد والمظفر بن الأفطس، وعقد هدنة بينهما في ربيع الأول عام ٤٤٢هـ/ ١٠٥١م، وقد كاد الأمر بينهما يتطور إلى فتنة هوجاء لولا تدخل أبي الحزم ونصحه المتكرر[3].

---

(١)أبو الحزم جهور بن محمد بن جهور، تولى أسلافه من الجهاورة الحجابة والوزارة والقيادة والكتابة إلى وقوع الفتنة، ولما لم يكن بمقدور خلفاء بني أمية إدارة الحكم في قرطبة صار إليه تدبير أمر قرطبة بعد خلع هشام ابن محمد. وساس دفة الحكم من مقر سكناه، ولم يتحول إلى قصور الخلافة وتميز بالرجاحة والدهاء، وذكر ابن حيان بعض تدابيره في السياسة قال : " متى سئل قال : ليس لي عطاء ولا منع هو للجماعة وأنا أمنيهم، وإذا رابه أمر عظيم أو عزم على تدبير، أحضرهم وشاورهم"، شهدت قرطبة في عهده استقراراً وأمنًا، وجنب قرطبة من كان يطلبها من أمراء البرابرة. (الحميدي، جذوة المقتبس، ص١٨٥؛ ابن الأبار، الحلة السيراء، ج٢، ص١٨٩-١٩٠).

(٢)عنان، دول الإسلام، ج٢، ص٢٩.

(٣)ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص٢١٣؛ عنان، دول الإسلام، ج٢، ص٢٩.

٣ - عفو باديس بن حبوس صاحب غرناطة عن المعتصم بن صمادح صاحب المرية

استطاع ابن نغرالة اليهودي[١] أن يسيطر على الأمور في غرناطة، وباديس غارق في لهوه، وسائر أهل غرناطة يضطرمون سخطًا على الطاغية اليهودي[٢] وسعى الفقيه أبي إسحاق إبراهيم بن مسعود الورع الزاهد تحريض أهل غرناطة على سحق اليهود ونظم قصيدة للتخلص من طغيان اليهود والقضاء عليهم ومحاربة ظلم ابن نغرالة اليهودي الذي استبد بالأمور في غرناطة دون باديس أميرها[٣].

دبر يوسف بن نغرالة اليهودي مؤامرة ضد باديس، فكتب إلى ابن صمادح يحثه على دخول غرناطة والاستيلاء عليها[٤] فانتهز ابن صمادح الفرصة،

---

(١)كان يوسف بن إسماعيل اليهودي وزيرًا لباديس بن حبوس، وكان جميل الوجه، حاد الذكاء، وكان بارعًا في إدارة شئون القصر، واستخراج الأموال وكانت له عيون في قصر باديس من نساء وفتيات شغلهم بالإحسان إليهم والأنعام، فكان لا يخف عليه شيء من أمور باديس، فلا يتنفس إلا ويعلم اليهودي ذلك. (ابن بسام، الذخيرة، ق٢،م١، ص٢٤٣؛ ابن عذاري، البيان، ج٣، ص٢٦٤-٢٦٥).

(٢)ابن الخطيب، الإحاطة، ج١، ص٤٣٩-٤٤٠.

(٣)ابن سعيد، المغرب، ج٢، ص١٣٢-١٣٣.

(٤)الأمير عبد الله، التبيان، ص٨٥.

وأغار على غرناطة وانتزع وادي آش[1] من باديس، ولكن لم يلبث باديس أن استرد وادي آش بمساعدة ابن ذي النون صاحب طليطلة Toledo[2]، وقام أهل غرناطة بقتل اليهودي والتخلص منه ٤٥٩هـ/ ١٠٦٦م[3]

ثم أرسل ابن صمادح[4] إلى باديس يسأله العفو والصفح عنه ويمدح البربر ويتلطفه ويتشفعه[5]، واجتمع ابن صمادح مع باديس في غرناطة، وقَبِلَ باديس اعتذاره، وكان أول ما قاله ابن صمادح لباديس ﴿**يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا**

---

(١)وادي آش Guadix : مدينة بالأندلس قريبة من غرناطة كبيرة خطيرة، تطرد حولها المياه والأنهار، ينحط نهرها من جبل شلير، وهو في شرقيها، وهي على ضفته، ولها عليه أرحاء لاصقة بسورها، وهي كثيرة التوت والأعناب وأصناف الثمار والزيتون، والقطن بها كثير، وكان بها حمامات، ولها بابان : شرقي على النهر وغربي على خندق، وقصبتها مشرفة عليها، وعليها سور حجارة، وهو في ركنها بين المغرب والقبلة. (الحميري، الروض المعطار، ص٦٠٤) .

(٢)الأمير عبد الله، التبيان، ص٨٥-٨٧.

(٣)ابن الخطيب، الإحاطة، ج١، ص٤٣٩-٤٤٠.

(٤)هو المعتصم بن معن بن صمادح تولى حكم المرية بعد وفاة والده معن، استمر المعتصم في حكم المرية إحدى وأربعين سنة، وانتهى ملكه على يد المرابطين (انظر: المراكشي، المعجب، ص١٢١؛ ابن سعيد، المغرب، ج٢، ص١٩٥-١٩٦)؛

Vallve (J.) Nuevasideas sobre la conquista Arabe de Espana Madrid 1989 pp 101-102 Chalmeta (P.) Invasion e Islamizacion Madrid 1994 pp.134-137 .

(٥)ابن خاقان، قلائد العقيان ومحاسن الأعيان، تحقيق د. حسين يوسف خريوش، الطبعة الأولى، مكتبة المنار للنشر والتوزيع، الأردن، ١٩٨٩م، ج١، ص٨٣.

إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ﴾[1]، فأجابه باديس على البديه[2]**﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ﴾**[3]، فعفا باديس عن ابن صمادح بعدما ترامى عليه يسأله العفو عما فعل من تصرف[4]، فقد كان طلب المعتصم من باديس العفو بسبب خشيته منه، فلم يكن المعتصم من فحول الملوك، بل أخلد إلى الدعة[5].

٤ - إطلاق سراح أبي عبد الرحمن بن طاهر صاحب مرسية

أبو عبد الرحمن محمد بن طاهر صاحب مرسية، وقد كان أبو عبد الرحمن بن طاهر في الواقع من أعظم علماء الأندلس وكتابها في عصره[6]، كان جوادًا يمدحه الشعراء ويقصده الأدباء، سعى أبو بكر بن عمار[7] في خلعه عن سلطانه والسيطرة على مرسية فتحقق له ما أراد، بعدما خاطب المعتمد في

---

(١)القرآن الكريم، يوسف: ٩٧.

(٢)الأمير عبد الله، التبيان، ص٨٨.

(٣)القرآن الكريم، يوسف: ٩٢.

(٤)السيد عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة المرية الإسلامية قاعدة أسطول الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٨٤م، ص٨٠.

(٥)ابن سعيد، المغرب، ج٢، ص١٩٥.

(٦)حسين، الحضارة الإسلامية، ص١٢٤.

(٧)ابن عمار، أصله من قرية شلب Silves تعرف بشنبوس، كان ابن عمار شاعر الأندلس غير مدافع ولا منازع، وأحد وزراء المعتمد بن عباد، إلا أن مساوىء أفعاله وأقواله، ساقته إلى أن فسد ما بينه وبين المعتمد بن عباد فأدى ذلك إلى قتله.(ابن الأبار، الحلة السيراء، ج٢، ص١٣١-١٥٤).

خلع ابن طاهر عن مرسية وفتحها، فوافقه المعتمد وخرج ابن عمار على رأس جيش متوجهًا إلى مرسية، وجد في حصارها حتى استطاع دخولها، وخلع ابن طاهر عن سلطانه واعتقله بحصن قريب من مرسية يسمى منت أقوط ٤٧٤هـ/ ١٠٨١م(١).

فسعى أبو بكر بن عبد العزيز صاحب بلنسية في خلاص ابن طاهر، وخاطب المعتمد في ذلك(٢)، ونجحت مساعي أبى بكر بن عبد العزيز في تخليص ابن طاهر من الاعتقال، وقدم ابن طاهر عليه في بلنسية وشكره على جميل صنعه، وأثرها ابن عمار في نفسه، واعتبر شفاعة ابن عبد العزيز لابن طاهر غدره غدرها له، لذا سعى في تحريض أهل بلنسية عليه(٣)؛ وقد كانت وفاة ابن طاهر ٥٠٧هـ/ ١١١٣م وقد نيف على التسعين عام(٤).

(١)ابن الأبار، الحلة السيراء، ج٢، ص١١٩-١٢٠-١٢٤.

(٢)ابن بسام، الذخيرة، ق٣، م١، ص٢٦.

(٣)ابن خاقان، قلائد العقيان، ج١، ص١٨٤.

(٤)ابن سعيد، المغرب، ج٢، ص٢٤٧.

٥ – غضب أمير المسلمين يوسف بن تاشفين على ابن رشيق حاكم مرسية[١]

بعد موقعة الزلاقة[٢] ٤٧٩هـ/ ١٠٨٦م التي خاضها المسلمون ضد النصارى وانتهت بانتصار المسلمين وهزيمة النصارى هزيمة ساحقة، بفضل القوات المرابطية، بعدما استجاب أميرهم يوسف بن تاشفين لنداء ملوك الطوائف، وجاز جوازه الأول إلى الأندلس ٤٧٩هـ/ ١٠٨٦م، وانتصر أمير المسلمين يوسف بن تاشفين على ألفونسو السادس ملك قشتالة بعدما نجا من الموت بأعجوبة حيث فر في مئات من جنده عائدًا إلى بلاده قشتالة، فبعدها عجز ملوك الطوائف عن مواجهة خطر حصن لييط[٣] وغارات النصارى عليهم منه، فجاز أمير المسلمين يوسف بن تاشفين للأندلس للمرة الثانية ٤٨١هـ/ ١٠٨٨م

---

(١)كان عبد الرحمن بن رشيق وزير ابن عمار، وقائد جيشه، أرسله ابن عمار بأمر من المعتمد بن عباد صاحب إشبيلية للسيطرة على مرسية، فدخلها، وخلع أبي عبد الرحمن بن طاهر من الحكم (انظر: ابن الخطيب، أعمال الاعلام، ق٢، ص١٦٠).

(٢)عن تفاصيل موقعة الزلاقة راجع: الأمير عبد الله، التبيان، ص١٢٢–١٢٥؛ ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس (نصان جديدان)، تحقيق د. أحمد مختار العبادي، معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، ١٩٧١م، ص٩٠–٩٥؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص٤٤٧–٤٤٨؛ الحافظ الذهبي، العبر في خبر من غبر، تحقيق أبوهاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٥، ج٢، ص٣٤٠؛ حسن أحمد محمود، قيام دولة المرابطين، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٥٦م، ص٢٧٦–٢٨٠.

(٣)حصن لييطAledo : أنشأه ألفونسو السادس على رأس جبل بالقرب من لورقة، بشرق الأندلس بين مرسية ولورقة، وقد استخدمه ألفونسو السادس في الضغط على مرسية ولورقة انتقامًا من المعتمد بن عباد لاستدعائه المرابطين وشحنه بالقوات. (مجهول، الحلل الموشية، ص٦٦–٧٠).

إلى الجزيرة الخضراء، وكتب إلى جميع أمراء الأندلس يدعوهم للجهاد، واتفق أن يكون اللقاء عند حصن لييط، وتحرك أمير المسلمين يوسف بن تاشفين من الجزيرة الخضراء إلى مالقة مع أميرها تميم بن بلقين، ولحق به عبد الله ابن بلقين صاحب غرناطة، والمعتمد بن عباد، وأرسل المعتصم بن صمادح صاحب المرية ابنه معز الدولة معتذرًا بكبر السن مع الضعف بالإضافة إلى ولاة بياسة وجيان ولورقة ومرسية[1] ولم يحضر من ملوك الطوائف سوى ابن الأفطس صاحب بطليوس، وتجمعت الحشود كلها عند حصن لييط، وحاصره المسلمون مدة أربعة أشهر، واستبسل النصارى في الدفاع عن الحصن[2] حيث اتصلت الحروب على الحصن ليلًا ونهارًا[3]، ولم تستطع القوى الإسلامية المتحدة الاستيلاء على الحصن بالرغم من جهودها وكثرتها وآلات الحصار التي لجأت إليها[4].

---

(١)عن تفاصيل حصار لييط راجع: الأمير عبد الله، التبيان، ص١٢٦-١٣٠؛ ابن الأبار، الحلة السيراء، ج٢، ص١٧٥-١٧٦؛ ابن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب، ص١٥٢-١٥٣؛ مجهول، الحلل الموشية، ص٦٦-٧٠؛ حسين، التاريخ السياسي والحضاري، ص٦٢-٦٣.

(٢)ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص١٥٣؛ النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤م، ج٢٤، ص١٤٧.

(٣)ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤، ص١٤١.

(٤)ابن عذاري، المصدر السابق، ج٤، ص١٤١؛ يوسف أشباخ، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ترجمة وتعليق د.محمد عبد الله عنان، الطبعة الثانية، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٦م، ج١، ص٩٥-٩٦.

وفي أثناء الحصار وقعت بعض الأحداث المؤسفة في المعسكر الإسلامي، فقد شكا المعتمد بن عباد صاحب إشبيلية ابن رشيق لأمير المسلمين يوسف بن تاشفين، لتقربه من ألفونسو السادس ودفعه الأموال له، فاستفتى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين الفقهاء في الأمر، فوجب الحكم على ابن رشيق، فأمر أمير المسلمين يوسف بن تاشفين بالقبض عليه[1] وكبله بالحديد وسلمه إلى المعتمد، فانسحب جنده، وقطعوا الإمدادات عن القوم، فوقع بها الغلاء، وبينما المسلمون مختلفون وردت الأنباء بتقدم ألفونسو نحو لييط لإنقاذ الحصن، فقرر أمير المسلمين يوسف بن تاشفين ترك الحصار والعودة إلى مراكش[2].

فقد جعل الله بين أولئك الأمراء ملوك الطوائف من التنافس والتحاسد والغيرة مالم يجعله بين الضرائر والعشائر[3]، لقد كان من أسباب سعي المعتمد بابن رشيق أنه أراد أن يضع ابنه الراضي بمرسية عوضًا عن الجزيرة

---

[1] مجهول، الحلل الموشية، ص٧٠؛ حسين، التاريخ السياسي والحضاري، ص٦٣.

[2] ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص١٥٣ .

[3] ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص٢٤٤.

الخضراء[1]، فقد أخذها أمير المسلمين يوسف بن تاشفين في جوازه الأول لموقعها وذلك لاستخدامها في عبور جيشه إلى الأندلس[2].

٦ – غضب عبد الله بن بلقين ملك غرناطة على أخيه تميم صاحب مالقة

أرسل تميم صاحب مالقة مراكبه لمهاجمة بعض الجهات عقب مصالحة الأمير عبد الله بن بلقين أمراء الطوائف خاصة المرية، وجاء أهالي تلك الجهات التي تعرضت لهجوم جيش تميم شاكين للأمير عبد الله، فغضب الأمير عبد الله، فقد كان بينه وبين ملوك الطوائف صلح لتهدئة الأوضاع[3].

وعلى الفور نهض الأمير عبد الله بن بلقين إلى أخيه وضيق عليه في مالقة، وحاصره، فأرسل تميم إلى أخيه يطلب العفو ويستعطفه، وجاءت شفاعة وعفو عبد الله له كرامة لأمه ورغبتها في ذلك، فقد قال الأمير عبد الله " لو لم تكن أمه قيد الحياة لأبقينا عليه وأدبناه "، ولكن شعور الأم وخوفها على ابنها

---

(١) الجزيرة الخضراء Algeciras: مدينة مشهورة بالأندلس، وقبالتها من البر بلاد البربر سبتة، وأعمالها متصلة بأعمال شذونة Sidonia، وهي شرقي شذونة وقبلي قرطبة، ومدينتها من أشرف المدن وأطيبها أرضًا، سورها يضرب به ماء البحر، ولا يحيط بها البحر كما تكون الجزائر، لكنها متصلة ببر الأندلس لا حائل من الماء دونها؛ ويقال لها جزيرة أم حكيم، وهي جارية طارق بن زياد مولى موسى بن نصير، كان حملها معه فتخلفها بهذه الجزيرة فنسبت إليها (انظر: الحموى، معجم البلدان، ج٢، ص١٣٦؛ الحميرى، الروض المعطار، ص٢٢٣).

(٢)الأمير عبد الله، التبيان، ص١٢٦.

(٣)الأمير عبد الله، التبيان، ص١١٣.

كان سببًا في عفو عبد الله عن أخيه، فقد قبل الشفاعة والعفو إرضاءً لوالدته وصلة للرحم وعفوًا عند المقدرة[1].

٧ – خلع أمير المسلمين يوسف بن تاشفين للأمير عبد الله صاحب غرناطة

نقل إلى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين كلام أغضبه وأوغر صدره على ملوك الأندلس[2]، فقد تواترت الأخبار عن حفيد باديس صاحب غرناطة بما يغيظه ويحقده[3]، من ذلك أنه صالح ألفونسو السادس وتواطَأَ معه ونصره على أمير المسلمين يوسف بن تاشفين وبعث إليه بالمال، وقام بتحصين غرناطة[4].

يقول الأمير عبد الله في كتابه التبيان أن الأمور صورت عند أمير المسلمين يوسف بن تاشفين على غير حقائقها، وقد أوضح أنه سُعِي به عند أمير المسلمين يوسف، وكان من سعي به الفقيه بن القليعي وأبو بكر بن مسكن، هم من حرضوا أمير المسلمين يوسف بن تاشفين عليه[5]، وكان من أسباب جواز أمير المسلمين يوسف بن تاشفين الجواز الثالث عام ٤٨٣هـ/ ١٠٩٠م أن رعايا الأندلس داخله في شأنهم، ودسوا السعايات بأمراء الطوائف، وجد في خلعهم

---

[1] الأمير عبد الله، التبيان، ص١١٦-١١٧.

[2] ابن عذاري، البيان، ج٤، ص١٤٣.

[3] ابن الخطيب، الإحاطة، ج٣، ص٣٨٠.

[4] ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص١٥٣.

[5] الأمير عبد الله، التبيان، ص١٤٠.

فخلع عبد الله بن بلقين صاحب غرناطة ثم أخوه تميم صاحب مالقة[1]، غير أن أمير المسلمين يوسف بن تاشفين استخدم أسلوب العزل الخفيف مع الأمير عبد الله وأخيه تميم، فقد كانت صلة القرابة بين أمير المسلمين يوسف ابن تاشفين والأمير عبد الله[2] سببًا في إكرام عبد الله وأخيه تميم وأهله بعد عزلهم عن ملكهم فقد كانت طريقة العزل هنا فيها إكرام وإحسان، ومما يدل على صلة القرابة بينهم، قالت أم الأمير عبد الله لابنها: اخرج وسلم على عمك يوسف! فخرج وسلم عليه، عندما نزل أمير المسلمين يوسف بن تاشفين قريبًا من غرناطة لخلع الأمير عبد الله[3]، فكان لصلة القرابة والعصبية البربرية دور في عزل عبد الله وأخيه عزلًا خفيفًا، فبعد عزلهما أنزلهما أمير المسلمين يوسف بالدار الصغرى لقصره بأغمات وأجرى عليهما الإنفاق وحريمهما وأولادهما حتى ماتا[4]، وكان هذا الأسلوب على غير ما فعل أمير المسلمين يوسف بن تاشفين مع المعتمد بن عباد (كما سنرى).

---

[1] ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق٢، ص٢٤٧؛ أبو مصطفى، محاضرات في تاريخ الغرب الإسلامي، ص٢٦٨.

[2] الأمير عبد الله، التبيان، ص١٢٣.

[3] ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص١٠٥.

[4] الأمير عبد الله، التبيان، ص١٦٥؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص١٥٤؛

Pidal (R.M.) La Espana del Cid Cuarto edicion Madrid 1947 VOL I pp. 331-2.

٨- خلع أمير المسلمين يوسف بن تاشفين للمعتمد بن عباد صاحب إشبيلية

كان أمير المسلمين يوسف بن تاشفين محبًا للفقهاء والصلحاء مقربًا لهم، صادرًا عن رأيهم لذا[١]أفتى علماء الأندلس بجواز خلع المعتمد وغيره من ملوك الطوائف، وبقتالهم إن امتنعوا، فبدأ في خلعهم واحدًا تلو الآخر[٢]، وكان ممن أفتى أيضًا بخلع ملوك الطوائف يوسف ابن عيسى الملقب بالملجوم الأزدي وأبوعبد الله سعدون القروي، فقد خلع أمير المسلمين يوسف بن تاشفين وأبقى من أشاروا عليه من ملوك الطوائف[٣]، ويبدو أن المعتمد بن عباد تعرض لسعايات ومطالبات أدت إلى عزله، فقد كان ما بين المعتمد والمعتصم صاحب المرية غير صالح، واتهمه المعتمد بالسعي عليه عند أمير المسلمين يوسف ابن تاشفين[٤]، فكان مما قاله المعتصم إلى أمير المسلمين، أن المعتمد لديه عجب بنفسه، والكثير من الكبر، ولا يرى أحد كفؤًا له، وزعم أنه قال في بعض الأيام – أي المعتمد قال للمعتصم كلام في شأن أمير المسلمين يوسف بن تاشفين –

---

(١)أحمد ابن القاضي المكناسي، جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، ١٩٧٣م، ج٢، ص٥٤٥.

(٢)المقري، نفح الطيب، ج٤، ص٣٧٣.

(٣)ابن الأبار، التكملة، ج٤، ص٢٢٥.

(٤)ابن الأبار، الحلة السيراء، ج٢، ص٨٥-٨٧.

منها: طالت إقامة هذا الرجل بالجزيرة، يعني أمير المسلمين –: " لو عوجت له إصبعي ما أقام بها ليلة واحد هو وأصحابه..." إلى أن بلغ المعتصم ما أراد من تغيير قلب أمير المسلمين يوسف بن تاشفين على المعتمد، ولم يعلم أنه ساقط في البئر الذي حفر[1]، وكان ممن حرض يوسف بن تاشفين على المعتمد بن عباد وسعى في فساد دولته أبو القاسم بن العالم أبي حفص عمر بن الهوزني بسبب قتل المعتضد أباه أبا حفص ٤٦٠هـ/ ١٠٦٨م[2].

نتيجة لتلك السعايات وأوضاع الأندلس، خلع أمير المسلمين يوسف ابن تاشفين المعتمد بن عباد ٤٨٤هـ/ ١٠٩١م، واستولى على قرطبة وإشبيلية وغيرها من دول الطوائف، وصار المعتمد بن عباد كبير ملوك الأندلس في قبضته أسيرًا، ونقله إلى أغمات قرب مراكش وظل بها إلى أن مات ٤٨٨هـ/ ١٠٩٥م[3].

وما حدث مع عبد الله يختلف عما حدث مع المعتمد بن عباد، فقد قيد لحظة خلعه وأرسل إلى أغمات معتقلًا، وكان عزله إهانة وإذلال[4]، فحبس فيها وفعل أمير المسلمين به وأهله أفعال لم يسلكها أحد ممن قبله ولا يفعلها أحد ممن يأتي بعده إلا من رضى لنفسه بهذه الرذيلة، وسجنهم فلم يجر عليهم ما يقوم

---

(١)المراكشي، المعجب، ص١٢٢.

(٢)ابن سعيد، المغرب، ج١، ص٢٤٠؛ المقري، نفح الطيب، ج٢، ص٩٣-٩٤.

(٣)ابن سعيد، المغرب، ج١، ص٤٣٩.

(٤)ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٥، ص٣٢.

بهم، حتى كان بنات المعتمد بن عباد يغزلن للناس بأجرة ينفقونها على أنفسهم، على الرغم ما قدمه المعتمد بن عباد له بالأندلس[1] ، فاستولى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين على خزائن وذخائر المعتمد، وترك أولاده فقراء[2] ، وظل المعتمد بن عباد بالسجن إلى أن مات، ويحكى أنه يوم مات ٤٨٨هـ/ ١٠٩٥م نودي الصلاة على غريب[3].

٩ - عفو يوسف بن تاشفين عن المستعين بن هود صاحب سرقسطة

لم يستثني أمير المسلمين يوسف بن تاشفين من ملوك الطوائف سوى المستعين بالله بن هود[4] صاحب سرقسطة، فقد تشفع لأمير المسلمين يوسف ابن تاشفين بحكم موقع بلاده بالنسبة للنصارى فهي حاجز بين المسلمين والنصارى، وشفع له أمير المسلمين يوسف بن تاشفين وأبقاه في بلاده لموقعها، وأيضًا شفع له أمير المسلمين يوسف بن تاشفين بسبب المعارك التي خاضوها

---

(١)ابن دحية، المطرب، ص٢٥-١١٨،٢٧-١٢٠؛ ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص٤٦٩.

(٢)الذهبي، دول الإسلام، تحقيق د.حسن إسماعيل، د.محمود الارناؤوط، الطبعة الأولى، دار صادر، بيروت، ١٩٩٩م، ج١، ص٤١٥.

(٣)ابن أبي دينار، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، الطبعة الأولى، مطبعة الدولة التونسية، ١٨٦٩م، ص١٠٥.

(٤)كان ابتداء دولة بني هود عام ٤٣١هـ/ ١٠٥٣م، وكان بيت بني هود من ذوي النباهة ويعد سليمان بن هود الجذامي الملقب بالمستعين من كبار الجند بالثغر الأعلى في مدة الجماعة إلى حين الفتنة الشاملة، فتغلب على مدينة لاردة، وقتل قائدها أبا المطرف النجيبي في خبر طويل، واستولى على مدينة لاردة عام ٤٣١هـ/ ١٠٥٣م. (ابن عذاري، البيان، ج٣، ص٢٨٢).

ضد النورمانديين الصليبيين وانتصروا عليهم فيها خاصة عام ٤٥٧هـ / ١٠٦٥م(١)، واستطاع ابن هود أن يتحف أمير المسلمين ويهاديه بالنفيس من الذخائر واليواقيت والجواهر(٢).

ب - شفاعات لكبار رجال الدولة من نقمة الحكام

شهد عصر ملوك الطوائف العديد من الشفاعات والسعايات لكبار رجال الدولة منها:

١- شفاعة ووساطة الفقهاء والصالحين للقاضي ابن وافد

كان ابن وافد(٣) من كمال القضاة بالأندلس علمًا، وهديًا، ورجاحة، ودينًا، تقلد الشورى بعهد العامرية، وولي القضاء والخطبة(٤)، وكان من معاوني

---

(١)عندما سقطت بَربَشترُ Barbastro بالثغر الأعلى في أيدي النورمان والقوات الصليبية ٤٥٦هـ/ ١٠٦٤م، وما أعقب ذلك من أعمال السلب والحرق والقتل بالمسلمين بها، زحف إليهم من سرقسطة أميرها أحمد بن هود الملقب بالمقتدر وتمكن من هزيمتهم واستعادة مدينة بَربَشترُ. (ابن الأبار، الحلة السيراء، ج٢، ص٢٤٧-٢٤٨).

(٢)ابن عذاري، البيان المغرب، ج٤، ص١٤٥-١٤٦؛ مجهول، الحلل الموشية، ص٧٣-٧٦.

(٣)هو يحيى بن عبد الرحمن وافد اللخمي ولي القضاء سنة ٤٠١هـ/ ١٠١٠م فاستقل به خير استقلال على ما كان في ذلك الزمان من فتن واعتلال، وكان آخر ولاة القضاة بالأندلس علمًا، وهديًا، ورجاحةً، ودينًا جامعًا خلال الفضل، تقلد الشورى بعهد العامرية، فكان مبرزًا في أهلها وتقلد الصلاة بالزهراء مدة، ولما قامت فتنة البربر، كان ابن وافد أحد أشد الأعداء عليهم، وأكبر الناس نفارًا منهم. (ابن عذاري، البيان، ج٣،ص١٠٣).

(٤)عياض، ترتيب المدارك، ج٧، ص١٧٦-١٧٧؛ ابن سعيد، المغرب، ج١، ص١٥٥-١٥٦.

طلاب الرئاسة، ولقي من المهانة مالم يلقه قاضي قبله، وكانت سببًا في محنته أثناء الفتنة البربرية[1]، فقد كان من أشد المعارضين لهم، وخليفتهم المستعين سليمان، نافرًا من مبايعتهم والصلح معهم، فبعدما تغلب البرابرة على قرطبة، وخلعوا هشام المؤيد، بحثوا عن ابن وافد وجدوا في طلبه حتى قبض عليه، وأدخل على المستعين سليمان بن الحكم فوبخه، وأمر بصلبه، وعندما شرع في ذلك، وردت عليه شفاعات من الفقهاء والصالحين الذين لا يرى ردهم منهم القاضي ابن ذكوان، فقبل المستعين شفاعتهم، وأمر بحبسه، واستمر في محبسه إلى أن مات ٤٠٤هـ/ ١٠١٤م[2].

٢- تغير هشام المؤيد على القاضي ابن ذكوان

كان بنو ذكوان يميلون إلى السلم والصلح مع البربر في دولة هشام المؤيد في خلافته الثانية، فسعى واضح حاجب هشام المؤيد ومدبر دولته بابن ذكوان عند هشام، وقال أنه يميل إلى البربر والناس تتبعه في ذلك، فأمر هشام بإخراج بني ذكوان عن الأندلس ونفيهم، فخرج أبو العباس بن ذكوان وبنيه،

---

(١)مؤنس، شيوخ العصر، ص٩٦.

(٢)عياض، نفس المصدر السابق، ج٧، ص١٧٨-١٨١؛ ابن سعيد، المغرب، ج١، ص١٥٦-١٥٧؛ النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق، الطبعة الخامسة، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨٣م، ص٨٨-٨٩.

وقد سعى واضح بابن ذكوان، لأنه تحدث مع هشام فيه، فسعى واضح للتخلص منه[1].

٣- شفاعة للكاتب ابن سعيد التاكرني أبو عامر

تولى المنصور عبد العزيز بن عبد الرحمن شنجول(الناصر) بن المنصور العامري حكم بلنسية عام ٤١٧هـ/ ١٠٢٦م[2]، وكان ابن سعيد التاكرني[3] من أهل الأدب والبلاغة، وسكن بلنسية، وعمل في خدمة أميرها عبد العزيز ابن الناصر بعد الأربعمائة[4]، كان ابن سعيد التاكرني من الساعين على عبد الرحمن ابن أبي عامر مع المهدي محمد بن هشام بن عبد الجبار، وعندما ولي عبد العزيز حكم بلنسية عفى عن ابن سعيد التاكرني، وأصبح من كتاب رسائله، ومتولي تدبيره إلى أن مات[5].

٤- عفو يحيى بن حمود عن ذي الوزارتين ابن شهيد

---

(١)عياض، ترتيب المدارك، ج٧، ص١٧٣-١٧٤.

(٢)ابن الخطيب، أعمال الاعلام، ق٢، ص١٩٤-١٩٥.

(٣)كان ابن سعيد التاكرني يعمل في سلك مظفر ومبارك العامريين، وشاركهما في مراتب ملكهما، إلى أن أفضى ملكهما وملك بلنسية المنصور عبد العزيز بن المنصور العامري، فكان أحد كتابه، ومتولي تدبيره؛ والتاكرني نسبة إلى تاكرنا Takrna تقع بمقربة استجةÉcija. (ابن الأبار، إعتاب الكتاب، ص٢٠٢؛ الحميري، الروض المعطار، ص٩٠).

(٤)الحميدي، جذوة المقتبس، ص٦٠.

(٥)ابن الأبار، إعتابُ الكُتابِ، ص٢٠١-٢٠٢.

كان أبو عامر أحمد بن عبد الملك بن شهيد[1] من أعلم أهل الأندلس، من أهل الأدب البارع له قوة في البديهة، كان في أيام عبد الرحمن الناصر، وأول من سُمى بـ (ذي الوزارتين)[2].

سعي بابن شهيد في أيام خلافة يحيى المعتلي بن علي بن حمود في قرطبة، فنكبه يحيى المعتلي واعتقله، وظل يستعطف ابن حمود ويعتذر إليه بأبيات شعر منها[3]:

**قريبٌ بمحتلِّ الهوانِ بعيــدُ		يجودُ بشكوى حُزنِه فيُجيــدُ**

**بَغى ضُره عند الإمام فنالــه		عدوٌّ لأَبناءِ الكرام حســـودُ**

فصفح عنه وخلى سبيله، فقال قصيدة يشكره ويهنئه بفتحٍ أولها[4]:

---

(١)هو أحمد بن عبد الملك بن عمر بن محمد بن سعيد بن عيسى بن شهيد بن الوضاح الأشجعي، شاعر مفوه أوتي جوامع الكلام يقتصر على المفيد منه، ذا قريحة مطواعة، يرتجل الشعر والنثر دون الحاجة إلى اقتناء الكتب، له رسائل كثيرة في فنون الفكاهة وأنواع التعريض، يميز بسرعة البديهة وحضور الجواب. (ابن بسام، الذخيرة، م١، ق١، ص١١٨؛ ابن الأبار، الحلة السيراء، ج٢، ص١٣٦).

(٢)الحميدي، جذوة المقتبس، ص١٣١؛ الضبي، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، الهيئة المصرية للكتاب، ٢٠٠٨م، ص١٩٠؛ ابن بسام، الذخيرة، ق١، م١، ص١٩١-١٩٢؛ ابن الأبار، الحلة السيراء، ج١، ص٢٣٨؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج١، ص١١٦.

(٣)ابن الأبار، إعتاب الكتاب، ص٢٠٣.

(٤)ابن الأبار، إعتاب الكتاب، ص٢٠٤-٢٠٥.

فَريقُ العِدا من حدِّ عَزمِكَ يَفرَقُ		وبالدهرِ مما خافَ بَطشَكَ أَولَقُ

٥- عفو باديس عن أخيه بلقين وإعراضه عن الجرجاني

حاول يدير بن حباسة بن ماكسن ابن عم باديس بن حبوس أن ينتزع السلطة لنفسه في أوائل عهد باديس في الحكم ٤٢٨هـ/ ١٠٣٧م[1]، وكان من بين محرضيه ومؤيديه بلقين أخو باديس وأبو الفتوح ثابت بن محمد الجرجاني[2] من علماء المشرق الذين وفدوا على الأندلس أيام الفتنة، ولحق بغرناطة[3]، واكتشف باديس المؤامرة التي دبرت له عن طريق كاتبه أبي إبراهيم يوسف بن إسماعيل ابن نغرالة اليهودي، فقد اطلع باديس على كل شيء، وعندما علم المتآمرون بافتضاح تدبيرهم فروا إلى إشبيلية، وطلب بلقين من أخيه العفو عما أوقعه فيه الفاسق عمه يدير من مؤامرة ضد أخيه فعفا عنه باديس[4]، ورجع أبو الفتوح

(١)عنان، دول الإسلام، ج٢، ص١٢٧.

(٢)هو أبو الفتوح ثابت بن محمد بن الجرجاني العدوي، قدم الأندلس سنة ٤٠٦هـ/ ١٠١٦م، وكان مع الموفق أبي الجيش مجاهد العامري في غزوته سردانية، ثم رجع وجال في أقطار الأندلس، وبلغ إلى ثغورها ولقي ملوكها، وكان إمامًا في العربية متمكنًا في علم الأدب، مذكورًا بالتقدم في علم المنطق. (الحميدي، جذوة المقتبس، ص١٨٤).

(٣)ابن بشكوال، الصلة، ج١، ص١٢٣.

(٤)الأمير عبد الله، التبيان، ص٦٨-٧٠؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ج١، ص٤٥٥.

ثابت ابن الجرجاني إلى باديس طالبًا العفو والصفح عنه خاصة بعدما ألقى باديس زوجته وبنيه في السجن، فعاد أبو الفتوح طالبًا الأمان، فرفض باديس ووضعه في السجن مدة ثم قتله ٤٣١هـ/ ١٠٤٠م[١].

كان عفو باديس عن بلقين للأخوة التي كانت بينهما وما كانت بينهما من علاقة تجمعهما، وأعرض عن أبي الفتوح الجرجاني، ولم يقبل استعطافه وشفاعته، فقد كان من أكبر المحرضين والمشجعين على قتل باديس والتخلص منه[٢].

٦- وساطة أبي الوليد بن جهور للوزير الكاتب أحمد بن عباس

كان أبو جعفر أحمد بن عباس[٣] كاتبًا، غزير الأدب، قوي المعرفة، عالمًا في الفقة، ومشاركًا في العلوم، وزر لزهير العامري صاحب

---

(١)ابن الخطيب، الإحاطة، ج١، ص٤٥٦-٤٥٧.

(٢)عنان، دول الإسلام، ج٢، ص١٢٧.

(٣)كان أحمد بن عباس كاتبًا حسن الكتابة، مليح الخط، جيد الخطابة، غزير الأدب قوي المعرفة، شارعًا في الفقه، مشاركًا في العلوم، مقتبسًا للشعر من غير طبع فيه، حاضر الجواب، ذكي الخاطر، جامعًا للأدوات الملوكية، جميل الوجه، حسن الخلق، كلف الأدب، مؤثرًا له على سائر لذاته، جماعًا للدفاتر، مقتنيًا للجيد منها، مغاليًا فيها نفاعًا من خصبه بشيء منها لا يستخرج منه شيء للؤمه إلا في سبيلها أثرى كثير من الوراقين والتجار معه فيها، ويقول صاحب التبيان عنه أنه كان من أشد الناس حماقة واستخفافًا مثيرًا للبشر. (الأمير عبد الله، التبيان، ص٧٠؛ ابن بسام، الذخيرة، ق١، م٢، ص٤١٣؛ ابن عذاري، البيان، ج٣، ص١٧٢) .

المرية[1]، وكان أبو جعفر أحمد بن عباس له دور كبير فيما وقع بين أميره زهير، وبين باديس أمير غرناطة، فقد كان سببًا في فساد العلاقات بينهما وإثارة زهير العامري ضد باديس، وخرج زهير العامري من المرية في قواته، لقتال باديس، وعزم باديس على القتال، ووافقه قومه صنهاجه في ذلك[2].

واستطاع باديس هزيمة زهير العامري وقتله، ووقع معظم جيش زهير بين قتيل وأسير ٤٢٩هـ/ ١٠٣٨م، وأمر باديس بقتل القواد والفرسان من الأسرى، وكان من بين الأسرى عدد من الكتاب في مقدمتهم أحمد بن عباس، فأطلق باديس سراحهم جميعًا واستثنى ابن العباس وبعض الكتاب، زجهم في الأصفاد إلى المعتقل[3].

فأرسل أبو الحزم بن جهور رسولًا شافعًا في الأسرى، ومؤكدًا في شأن ابن عباس طالبًا له العفو، ولكن باديس أعرض عن تلك الشفاعة، وحاول ابن عباس التشفع بباديس، ويعرض عليه الأموال ويلاطفه فأعرض باديس عن

---

(١)عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة لكتاب الموصول والصلة، تحقيق د.محمد بن شريفة، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٣، السفر الأول، ص٢٧٧؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ج١، ص٢٥٩-٢٦٠.

(٢)ابن بسام، الذخيرة، ق١، م٢، ص٦٥٩؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ج١، ص٢٦٠.

(٣)ابن عذاري، البيان، ج٣، ص١٧٠-١٧١؛ عنان، دول الإسلام، ج٢، ص١٢٩.

ذلك وزاد غضبه[1]، كما أعرض باديس عن الوساطات والشفاعات التي بذلت لابن عباس، لدوره في إثارة الفتنة، وغضب باديس عليه[2]، فقام باديس بقتله خاصة بعد سعاية عبد العزيز صاحب بلنسية لينفرد بحكم المرية، وسعاية بلقين والإشارة بقتله[3].

٧- شفاعة أبي الوليد بن جهور للشاعر ابن زيدون

كان أبو الوليد أحمد بن زيدون من أهل قرطبة، شاعر بليغ، كثير الشعر، قبيح الهجاء، وكان من أبناء وجوه الفقهاء في قرطبة، وعلى مقدرة شعرية ممتازة ساعدته أن يبلغ مرتبة الوزارة[4]، ومن أسباب حقد بني جهور على ابن زيدون، اقتران اسمه باسم ولادة بنت المستكفي الأديبة الشاعرة، وانغماسه في حياة اللهو، وتخوف أبي الحزم بن جهور من ابن زيدون أدى إلى اعتقاله وسجنه[5].

---

(١)ابن عذاري، البيان، ج٣، ص١٧٢؛ حسين مؤنس، موسوعة تاريخ الأندلس، الطبعة الأولى، مكتبة الثقافة، القاهرة، ١٩٩٦م، ج١، ص٤٣١-٤٣٥.

(٢)الأمير عبد الله، التبيان، ص٧١.

(٣)ابن سعيد، المغرب، ج٢، ص٢٠٥-٢٠٦؛ رينهرت دوزي، المسلمون في الأندلس، ترجمة د.حسن حبشي، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٩٥م، ج٣، ص٢٩-٣٠.

(٤)الحميدي، جذوة المقتبس، ص١٣٠؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج١، ص١٣٩-١٤٠؛ إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين، الطبعة الأولى، دار الشروق، عمان، ١٩٩٧م، ص٦٦.

(٥)المقري، نفح الطيب، ج٤، ص٢٠٩؛ محمد زكريا عناني، تاريخ الأدب الأندلسي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٩م، ص٩٨.

وأعرض أبو الحزم عن شفاعته(1)، ومما ذكر أنه اصطدم في بداية عهده بالخدمة بأحد حكام قرطبة هو عبد الله بن أحمد المكوى فظفر به وأمر بسجنه، فلجأ ابن زيدون إلى طلب الشفاعة والعفو، فبعدما يأس من قبول أبي الحزم شفاعته، خاطب أبو الوليد بن جهور من معتقله برسالة طويلة يستشفع ويتوسل إليه العفو منها " وليت شعري ما الذنب ؟ الذي أذنبتُ، ولم يسعه العفو! ولا أخلو من أن أكون بريئًا، فأين العدل؟ أو مسيئًا فأين الفضل؟....."(2).

قد كان ابن زيدون يعبر عن شعره بمعاني لم يسبقه إليها شاعر، وبعبارات تملك النفوس وتستولي على القلوب(3)، فظل يخاطب أبا الوليد ابن جهور ويستشفعه، حتى أنه فكر في الفرار، وقبل أن يقدم عليه شفع له أبو الوليد، وأقاله من عثرته، فلما تولى أبو الوليد الأمر بعد أبيه قربه إليه، ورفع مكانته، ثم رحل إلى إشبيلية في دولة المعتضد بن عباد صاحب إشبيلية(4).

---

(1)ابن خاقان، قلائد العقيان، ج1، ص209؛ ابن سعيد، المغرب، ج1، ص63-64.

(2)ابن بسام، الذخيرة، ق1، م1، ص338-340؛ ابن الأبار، إعتاب الكتاب، ص207-208.

(3)محمد رجب البيومي، الأدب الأندلسي بين التأثر والتأثير، إدارة الثقافة، الرياض، 1980م، ص20.

(4)ابن الأبار، إعتاب الكتاب، ص212؛ عنان، دول الإسلام، ج2، ص25.

٨- سعاية بالفقيه أبي محمد عبد الله الأنصاري

كان أبو محمد عبد الله بن خميس بن مروان الأنصاري فقيهًا جليلًا، استقضاه بدانية وأعمالها إقبال الدولة علي بن مجاهد العامري ثم صرف عن القضاء، بسعاية محمد بن مبارك الصائغ عليه، وولى مكانه أبا عمر بن الحذا وتوفي ٤٤٤هـ/ ١٠٥٢م[1].

٩- غضب المعتضد بن عباد من ابنه إسماعيل

يقول ابن حيان: في عام ٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م وصلت الأنباء إلى قرطبة أن المعتضد ابن عباد دبر للهجوم عليها، وقد ندب لذلك ولده إسماعيل خليفته وولي عهده، وكان إسماعيل حاقدًا على أبيه ويفكر في معصيته، وقيل إنه يرى أن مهاجمة قرطبة أمر خطير يؤدي إلى هلاكه لقلة من معه، بالإضافة إلى العلاقة والتحالف بين بني جهور وباديس الذي سيسرع لإنقاذ حلفائه، وعندما عرض إسماعيل على أبيه الأمر، اغلظ له القول، واتهمه بالجبن، وألزمه بالخروج، وأوعده بالقتل، وبعد خروجه من إشبيلية مالبث أن عاد إليها، بعدما تظاهر أمام أصحابه أن كتابًا جاءه من عند والده يأمره بالرجوع فدخل إشبيلية، وانتهز فرصة غياب أبيه

[1] ابن الأبار، التكملة، ج٢، ص٢٤٣؛ عبدالملك المراكشي، الذيل والتكملة لكتاب الموصول والصلة، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٣م، السفر الرابع، ص٢٢٥.

في متنزهه في حصن الزاهر[1]، فجمع أموالًا كثيرة وذخائر ومتاع، وأخذ أمه وحرمه، وخرج من إشبيلية، وكان ممن حسن إليه الأمر وزير أبيه وكاتبه، أبي عبد الله محمد بن أحمد البزلياني[2]، وسار معه الوزير في طريق الجزيرة الخضراء حتى وصل إلى كورة شذونة، وطلب من حاكمها ابن أبي حصاد، أن يجيره، فاستقبله وأنزله بالقلعة هو ومن معه، وبادر حاكم القلعة وكتب إلى المعتضد ابن عباد بوجود إسماعيل، ووقوعه في يده وأنه يرجو العفو عنه، فسر المعتضد، وعاد إسماعيل إلى أبيه وقد عفى عنه، وعجل المعتضد بإعدام وزيره البزلياني لفرط حنقه عليه، وقتل نفر من رجال إسماعيل، واعتقل المعتضد ابنه في بعض الدور، وحاول اسماعيل أن يدبر مؤامرة أخرى، ولكنه سقط في يد أبيه، وعند ذلك قتله المعتضد رغم طلبه العفو[3].

---

(١)حصن الزاهر Al Zaher : يبعد أربعة كيلو مترات عن إشبيلية، ويعرف بالقصر الزاهر، ويقع بتاج الشرف من إشبيلية على الضفة اليمنى من الوادي الكبير. (الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، الطبعة الأولى، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٩م، م٢، ص٥٤٠؛ السيد عبد العزيز سالم، أسماء قصور بني عباد بإشبيلية الواردة في شعر ابن زيدون، مجلة الأوراق، يصدرها المعهد الأسباني العربي للثقافة، العدد الثاني، ١٩٧٩م، ص٤٠).

(٢)هو أبو عبد الله محمد بن أحمد البزلياني، أصله من مالقة Málaga، أحد شيوخ الكتاب، وجهابذة أهل الآداب، وكان في خدمة حبوس أولًا، ثم انتقل إلى بني عباد. (ابن بسام، الذخيرة، ق١، م٢، ص٦٢٤).

(٣)ابن بسام، الذخيرة، ق٣، م١، ص١٤٣-١٤٧؛ ابن عذاري، البيان، ج٣، ص٢٤٤-٢٤٩.

١٠- قتل عبد الملك بن جهور وزيره ابن السقاء ٤٥٥هـ/ ١٠٦٣م

قدم أبو الوليد بن جهور ابنه عبد الملك للحكم في قرطبة، فسرعان ما أستبد بالسلطة، وفوض عبد الملك إلى وزير أبيه إبراهيم بن يحيى المعروف بابن السقاء النظر في الأمور، فضبطها وأصلحها [١]، ثم سعى المعتضد بن عباد في التخلص من ابن السقاء لتحقيق هدفه بالسيطرة على قرطبة، فكان المعتضد يعلم أن وجود ابن السقاء يحول بينه وبين تحقيق هدفه، ثم توثقت العلاقة بين عبد الملك بن جهور والمعتضد بن عباد من مداخلات ومخاطبات[٢]، فاستغل المعتضد الفرصة، وسعى على ابن السقاء، وأوقع بين ابن السقاء وعبد الملك، حتى قام عبد الملك بقتله ٤٥٥هـ/ ١٠٦٣م[٣]، فقد حذر المعتضد عبد الملك من ابن السقاء، وأطماعه واستئثارة بالسلطة، وهنا بدأت عوامل الفساد تدب إلى جهاز الحكم في دولة بني جهور، وتحقق للمعتضد ما أراد بعد ذلك[٤].

١١- غضب المعتضد بن عباد على ابنه المعتمد

كانت اعتماد جارية المعتمد بن عباد من مشهورات الأندلس، وتزوجها المعتمد بن عباد بعدما أعجب بها من حسن ما أتت به، وتفوقها عليه وعلى

---

(١)ابن عذاري، البيان، ج٣، ص٢١٥؛ عنان، دول الإسلام، ج٢، ص٢٦.

(٢)ابن الخطيب، أعمال الاعلام، ق٢، ص١٤٩.

(٣)ابن الأبار، الحلة السيراء، ج٢، ص١٧٦.

(٤)عنان، دول الإسلام، ج٢، ص٢٦.

شاعره ابن عمار في البديهة والارتجال[1]، وهكذا شاء القدر أن تغدوا اعتماد الرميكية زوجة المعتمد بن عباد[2]وقد كان المعتمد بن عباد شديد الميل إليها، حتى تلقب المعتمد لينتظم حروف اسمه مع حروفها، وقيل إن المعتضد غاظه ما بلغه من غلبة اعتماد على المعتمد أول ما اشتراها، فتوجه إليه عازمًا على عقابه والتنكيل به، والمعتمد إذ ذاك واليًا على شلب[3]، وقد ولدت منه أكبر أولاده سراج الدولة عبادًا، فأمرها أن تقابله به، لتعطفه رؤيته عليها، وبالفعل عندما رأى المعتضد المولود الصغير رق له، وعفى عن المعتمد وزوجته اعتماد الرميكية، وامتنع عن الإيقاع به[4].

---

(١)المقري، نفح الطيب، ج٤، ص٢١١؛ محمد سعيد الدغلي، الحياة الإجتماعية في الأندلس، الطبعة الأولى، دار إشراقة، ١٩٨٤م، ص٤٩.

(٢)عنان، دول الإسلام، ج٢، ص٦٧.

(٣) شلب Silves: مدينة بغربي الأندلس بينها وبين باجة ثلاثة أيام، وهي غربي قرطبة، وهي قاعدة ولاية أشكونية، وبينها وبين قرطبة عشرة أيام للفارس المجد، وليس بالأندلس بعد إشبيلة مثلها، وبينها وبين شنترين خمسة أيام، وقل أن ترى من أهلها من لا يقول شعرًا ولا يعاني الأدب، وهم نبلاء خاصتهم وعامتهم، وأهل بوادي هذه البلدة في غاية من الكرم لا يجاريهم فيه أحد (انظر: الحموى، معجم البلدان، ج٣، ص٣٥٧؛ الحميرى، الروض المعطار، ص٣٤٢).

(٤)ابن الأبار، الحلة السيراء، ج٢، ص٧٠-٧١.

١٢- شفاعة المعتضد بن عباد صاحب إشبيلية لابن عبد البر

سعى ذو الوزارتين ابن زيدون للتخلص وإراقة دم ابن عبد البر[١]، فوشى به إلى المعتضد ابن عباد، فزعم ابن زيدون أن ابن عبد البر يطعن في الدولة[٢]، كان مركز ابن عبد البر غير مستقر في إشبيلية، ومعرضًا للخطر بحيث وصلت المكائد التي دبرها ضده ابن زيدون إلى محاولة اغتياله، وكانت علاقة ابن عبد البر بالمعتضد متوترة إلا أنه اتخذ موقف لينًا ومرنًا تجاه الحاكم الإشبيلي[٣]، فعندما سعى به ابن زيدون، تغير عليه المعتضد وحبسه، فسار أبوه العالم أبي عمر ابن عبد البر النمري من مستقره بشرق الأندلس حتى دخل على المعتضد ابن عباد، وهو ينادي بصوت عالي: " ابني يا معتضد " " ابني يا معتضد " شفعني فيه، فأحسن المعتضد استقباله وعفا عن ابنه وأكرمه وانصرفوا آمنين[٤]، فقد كان

---

(١)هو أبو محمد عبد الله بن أبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر، من الأدب البارع والبلاغة الذائعة والتقدم في العلم والذكاء، وله ولأبيه قبله لواء سبق، ولسان صدق، وكفى بأبيه علمًا لا يخفى. (ابن بسام، الذخيرة، ق٣، م١، ص١٢٥).

(٢)ابن بسام، الذخيرة، ق٣، م١، ص١٢٥؛ ابن سعيد، المغرب، ج٢، ص٤٠٢.

(٣)محمد بن عبود، جوانب من الواقع الأندلسي، ص١٧٩.

(٤)ابن خاقان، قلائد العقيان، ج٢، ص٥٣٨-٥٣٩؛ ابن الأبار، إعتاب الكتاب، ص٢٢٠.

قبول المعتضد بن عباد شفاعة أبيه لمكانته العلمية، فقد كان فقيه مالكي بارز، وعالم كبير، فعفا عن ابنه وأطلق سراحه، توفي ابن عبد البر ٤٧٤هـ/ ١٠٨١م[١].

١٣- سعاية ابن زيدون للتخلص من ابن غالب

سعى ابن زيدون في التخلص من أبي الحسن علي بن غالب، فوشى به إلى المعتضد ابن عباد، ففتك به المعتضد بن عباد، فقد كان ابن زيدون يسعى للتخلص من جميع منافسيه من أجل المكانة السياسية[٢].

١٤- إعراض المعتمد بن عباد عن السعاية بابن زيدون

كان ابن زيدون من أبناء وجوه الفقهاء بقرطبة، وبرع أدبه، وجاد شعره، وعلا شأنه، ثم انتقل ابن زيدون من خدمة بني جهور بقرطبة إلى المعتضد ابن عباد صاحب إشبيلية في سنة ٤٤١هـ/ ١٠٤٩م، فجعله من خواصه، فكان معه في صورة وزير[٣]، بعد وفاة المعتضد بن عباد انتقل الأمر إلى المعتمد، فتولى الحكم ٤٦١هـ/ ١٠٦٩م، فسعى به بعض ممن أوقع بهم ابن زيدون وسعى

---

(١)عبود، جوانب من الواقع، ص١٧٩-١٨٠.

(٢)ابن سعيد، المغرب، ج١، ص٢٥٠-٢٥١.

(٣)ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج١، ص١٤٠؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق عبدالقادر الأرناؤوط، محمود الارناؤوط، الطبعة الأولى، دار ابن كثير، بيروت، ١٩٨٩م، ج٥، ص٢٦٤.

عليهم في أيام المعتضد، فأغروا بنكبته وسعوا في طلبه، والتخلص منه وكتبوا، رقعة إلى المعتمد منها(1):

يأيها المَلِكَ المُعَلى الأَعظَـــــمُ اقطَعْوريدَيْ كُل باغٍ ينئِمُ

وعندما قرأ المعتمد الرقعة التي كتبوها، أعرض عنهم ونبذهم ومما قال لهم(2):

كَذَبتْمُنَاكُمْ، صَرحوا أو جَمجِمُوا الدِين أَمتَنُ والسجِيةُ أَكـــرَمُ

وعندما علم ابن زيدون بذلك شكره ومدحه(3)، فقد كان المعتمد شاعرًا بل وتلميذًا لابن زيدون، لذا لم تفلح كل المحاولات التي سعت لإيقاع ابن زيدون، ولم تنجح تلك السعايات(4)، وقد كان المعتمد بن عباد من الملوك الفضلاء والشجعان العقلاء مخالفًا لأبيه في القهر والسفك، ولم يكن يأخذ بأدنى سعاية(5)،

---

(1)ابن خاقان، قلائد العقيان، ج1، ص73-74.

(2)ابن خاقان، قلائد العقيان، ج1، ص76.

(3)ابن خاقان، قلائد العقيان، ج1، ص77.

(4)عناني، تاريخ الأدب الأندلسي، ص102.

(5)ابن الأبار، الحلة السيراء، ج2، ص54.

غير أن ابن زيدون كان مقربًا وعزيزًا على المعتمد بن عباد، كأنه وزير له، وتوفي ابن زيدون عام ٤٦٣هـ/ ١٠٧١م[١].

١٥- عفو المعتمد بن عباد عن عمه أبي طالب عبد الجبار

غضب المعتمد بن عباد على عمه أبي طالب عبد الجبار بن محمد بن إسماعيل ابن عباد، وهم بقتله لأمرٍ رابه منه، فاستحضر وزراءه، وكان من بينهم أبو رافع الفضل بن أبي محمد علي بن حزم الظاهري، فقال المعتمد لهم: "من يعرف منكم؟ من في الخلفاء أو ملوك الطوائف قتل عمه عندما هم بالقيام عليه؟ " فتقدم أبو رافع المذكور، وقال: "ما نعرف أيدك الله إلا من عفا عن عمه بعد قيامه عليه، وهو إبراهيم بن المهدي عم المأمون من بني العباس"، فقبله المعتمد بين عينيه وشكره، ثم أحضر عمه وبسطه وأحسن إليه وعفا عنه[٢].

١٦- غضب المعتمد بن عباد على ابنه الراضي

غضب المعتمد بن عباد على ابنه الراضي لتقاعسه عن الخروج إلى لورقة[٣] ومواجهة جيش المظفر بن الأفطس صاحب بطليوس، فعهد إلى أخيه

---

(١)الذهبي، العبر، ج٢، ص٣١٥.

(٢)ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٣، ص٣٢٩.

(٣)لورقة Lorca: مدينة حصينة منيعة كثيرة الخيرات من بلاد تدمير (انظر: الرشاطي وابن الخراط، الأندلس في اقتباس الأنوار وفي اختصار اقتباس الأنوار، تحقيق إيميليو مولينا وخاثينتو بوسك بيلا، المجلس العالي للأبحاث العلمية، مدريد، ١٩٩٠م، ص٥١٢؛ الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص٢٥-٢٦).

المعتد تلك المهمة، فخرج المعتد بالجيش وانهزم شر هزيمة، فاشتد غضب المعتمد على الراضي، واستمر الخلاف بين المعتمد والراضي مدة طويلة، حتى كتب إليه الراضي قصيدة طويلة أولها:

مَولايَ قَدْ أَصبَحتُ كَافِرْ   بجَميعِ مَا تَحوي الدفَاتِرْ

فما كان من المعتمد إلا أن قربه وأدناه، وصفح عما كان منه، وتقبل شفاعته[1].

١٧- السعاية بالوزير ابن الحديدي

أوصى المأمون قبل وفاته حفيده يحيى بن ذي النون، أن يعتمد على عون ابن الحديدي وزيره، وأخذ المواثيق على ابن الحديدي قبل وفاته أن يساند حفيده في الحكم ويثبته، ثم سعى أعداء ابن الحديدي عليه عند يحيى بن ذي النون، وأوغروا صدره عليه، فسعى للتخلص منه، فأخرج مجموعة من أعيان طليطلة من السجن، سجنهم جده المأمون بإيعاز ابن الحديدي، فاستعان بهم القادر يحيى ابن ذي النون على ابن الحديدي للتخلص منه، ودخل ابن الحديدي المجلس على يحيى بن ذي النون، فوقعت عينه عليهم، فأيقن بالهلاك، وتعلق ابن الحديدي بيحيى بن ذي النون يستجيره ويستغيث به، فقام القادر يحيى بن ذى النون من

(١)ابن خاقان، قلائد العقيان، ج١، ص١١٤-١١٩؛ ابن الآبار، الحلة السيراء، ج٢، ص٧١-٧٥.

المجلس مسرعًا، فقاموا إلى ابن الحديدي فتمكنوا منه وقتلوه ٤٦٨هـ / ١٠٧٦م[١].

وعلى هذا النحو وجدت هذه السعايات لديه مجالًا لتحقيق شهوته في الانفراد بالملك، وأعمى بصيرته عن إدراك الأمور ومعرفة حقيقة مساعي خاصته، فضرب بنصحيه جده عرض الحائط، وتخلص من ابن الحديدي[٢].

١٨- إكرام المتوكل بن الأفطس صاحب بطليوس لرجل من بني هود

فر شخص من أمراء بني هود إلى المتوكل بن الأفطس صاحب بطليوس بعد خلاف مع ابن عمه ملك سرقسطة، فآواه وأحسن إليه، واختبره المتوكل، فرآه أهلًا للولاية، فولاه، فقال له أحد وزرائه: كثير هذا يامولاي في تغيير قلب قريبه، كيف تسخط قادرًا في حق عاجز؟ وتفرط فيمن نحتاج إليه كما يحتاج إلينا؟، وتغتبط بمن لا نحتاج إليه بل هو كلٌّ علينا ؟ فقال له المتوكل ابن الأفطس، الذي قلت حق، ولكن كيف يكون اقتناء المكارم ؟، فأعرض المتوكل عن سعاية وزيره به، ورفع مكانته[٣].

---

(١)ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق٢، ص١٧٩.

(٢)شريفة محمد عمر دحماني، العلاقات السياسية بين الطائفتين الأندلسية والبربرية في جنوب الأندلس في عصر ملوك الطوائف، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ٢٠٠٦م، ص٢٥٨.

(٣)ابن سماك العاملي، الزهرات المنثورة، ص٢٤-٢٥.

١٩- غضب المتوكل بن الأفطس صاحب بطليوس على وزيره ابن الحضرمي

عامل ابن الحضرمي وزير المتوكل الناس معاملة سيئة وتجبر عليهم، فعزله المتوكل عن منصبه، فاستعطفه ابن الحضرمي، فعفا عنه وصفح إلا أنه جعله من جملة حاشيته دون أن يستعمله[١].

٢٠- إطلاق المعتصم بن صمادح صاحب المرية سراح أخي عبد الله بن الحداد

أنشد أحد الأدباء المعتصم فقال:

سامح أخاكَ إذا أتاك بزلة فخلوصُ شيء قلما يتمكنُ

وسأل المعتصم عن قائلها، فأخبر أنه عبد الله بن الحداد[٢]، فتبسم المعتصم، فقد اكتنفت ابن الحداد سعايات ففر من المرية، وقبض المعتصم على

---

(١)ابن خاقان، قلائد العقيان، ج١، ص١٣٣-١٣٤.

(٢)هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن الحداد شاعر أندلسي له ديوان شعر كبير مرتب على الحروف الأبجدية، وأصله من وادي آش سكن المرية وأصبح من شعراء بلاط المعتصم بن صمادح، فأكثر في مدحه، ثم حصلت بينه وبينهم جفوة اضطرته إلى الفرار لسرقسطة عام ٤٦١هـ/ ١٠٦٩م، فأكرمه المقتدر بن هود وابنه المؤتمن ابن هود، ثم عاد إلى المعتصم، وتوفي بالمرية ٤٨٠هـ/ ١٠٨٧م. (ابن بسام، الذخيرة، ق١، م١، ص٦٩١-٦٩٣).

أخيه فعندما كتب تلك الأبيات، تذكر المعتصم وأمر بإطلاق سراح أخيه ولحق به[1].

٢١- وساطات أم عبد الله بن بلقين للفقيه ابن القليعي

كان الفقيه أبو جعفر القليعي[2]، من أهل غرناطة، ومن أعيانها، قاضيًا ووزيرًا للأمير عبد الله بن بلقين، وضمن الوفد الذي أرسله الأمير عبد الله إلى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين، وعلت مكانة ابن القليعي عند أمير المسلمين يوسف بن تاشفين، وسعى ابن القليعي على الأمير عبد الله بن بلقين عند أمير المسلمين يوسف بن تاشفين مما أغضب الأمير عبد الله عليه، وسجنه في بعض بيوت قصره، فطلبت أم الأمير عبد الله من ابنها إطلاق سراحه والعفو عنه، ولاطفته في إخلاء سبيله، وتنفيذًا لرغبة أمه أطلق الأمير عبد الله سراح ابن القليعي الذي توجه على الفور إلى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين، وقد شكا الأمير عبد الله له[3].

---

(١)المقري، نفح الطيب، ج٣، ص٥٠٢-٥٠٤.

(٢)هو أحمد بن خلف بن عبد الملك الغساني القليعي من أهل غرناطة، ومن جلة أعيانها، فريد عصره، ووافر دهره في الخير والعلم والتلاوة، وله حزب من الليل، وكان سريع الدمعة، كثير الرواية، وقد ذكر بأن باديس جد الأمير عبد الله بن بلقين كان يتفرس فيه أن دولته تنقرض على يديه، ولذلك فإنه كان دائمًا يبحث عن ذريعة للتخلص منه. (ابن الخطيب، الإحاطة، ج١، ص١٤٩-١٥٠).

(٣)الأمير عبد الله، التبيان، ص١٣٣-١٣٤؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ج١، ص١٤٨.

وقد كان سبب وساطة أم عبد الله لابن القليعي، إقبال ابن القليعي بعد حبسه على العبادة والدعاء والتلاوة، كان جهير الصوت، حسن التلاوة، فارتج القصر، واقشعرت الجلود، وخافت أم عبد الله على ولدها الأمير عبد الله من دعاء الفقيه ابن القليعي عليه، فطلبت من الامير عبد الله أن يعفو عنه حتى لا يدركه عقاب من الله[1]، فعفا عنه الأمير عبد الله.

(١)ابن الخطيب، الإحاطة، ج١، ص١٤٩.

ثانيًا: شفاعات عن الأسرى والثوار

أ- العفو عن الأسرى

تولى حريز بن حكم بن عكاشة[1] قلعة رباح[2] للقادر بن ذي النون، فقام أهل فحص البلوط بأسره والقبض عليه، وسيق إلى المعتمد فمنَّ عليه وأطلقه، عفا عنه المعتمد بن عباد[3]، ولم تشر المصادر المتاحة إلى سبب عفو المعتمد عنه.

---

(١)كان أبوه حكم بن عكاشة من رجال ابن السقاء وزير أبي الوليد بن جهور رئيس قرطبة، فسجن عند قتله مع أصحاب الجرائم، إلى أن هرب من محبسه ولحق بالمأمون بن ذي النون فنصح له، وكان شهمًا صارمًا، فولاه بعض الحصون المجاورة لقرطبة، فدخلها بعد خلع بني جهور في خبر طويل، وقتل أميرها حينئذ عبادًا الملقب بسراج الدولة بن المعتمد محمد بن عباد، وبعث برأسه إلى المأمون وهو بلنسية في عام ٤٦٧هـ/ ١٠٧٤م، وبلغ ذلك المعتمد محمد بن عباد فأقبل في جموعه طالبًا بثأر ابنه عباد، وعلم ابن عكاشة أنه لا طاقة له به، فهرب عند ذلك وأسلم قرطبة فدخلها المعتمد، وأتبعه خيلًا لحقته فقتل وجيء له به. (ابن الأبار، الحلة السيراء، ج٢، ص١٧٦-١٧٨).

(٢)قلعة رباحCalatrava: بنيت مكان مدينة قديمة في الأندلس هي أوريط، تابعة لمدينة طليطلة، تقع في غرب طليطلة بين طليطلة وقرطبة. (انظر: الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص٢٣؛ الحميري، الروض المعطار، ص٦٦).

(٣)ابن الأبار، الحلة السيراء، ج٢، ص١٧٧-١٧٩.

ب-العفو عن الثوار المهزومين

١- ثورة كباب بن تميت قائد الأمير عبد الله بن بلقين بأرجذونة وأنتقيرة

ثار كباب بن تميت حاكم أرجذونة[1]وأنتقيرة[2] على الأمير عبد الله ابن بلقين صاحب غرناطة، فأرسل إليه الأمير عبد الله بن بلقين يعرض عليه التخلي عن المعقلين، ولكنه رفض، فجهز الأمير عبد الله بن بلقين جيشه وخرج لمواجهته، فأحس كباب في نفسه الضعف، فطلب من عبد الله بن بلقين العفو، فعفى عنه الأمير عبد الله بن بلقين وأمنه، وأبقاه من جملة أجناده تحت إحسان وإجمال، غير أنه لم يوليه معقل ولا أمكنه من صخرة[3]، أي لم يعتمد عليه الأمير عبد الله في أي أمر من الأمور.

٢- ثورة مؤمل وزير عبد الله بن بلقين في لوشة

كان مؤمل من عبيد باديس بن حبوس، أصيل الرأي، وجزل الكلمة، ومن وزراء عبد الله بن بلقين، وأحبار دولته، غضب عليه الأمير عبد الله ابن بلقين عندما أشار عليه بالخروج إلى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين إذا قرب،

---

(١)أرجذونة(أرشذونة) Archidona: مدينة برية بحرية بينها وبين مالقة ثمانية وعشرون ميلًا. (ابن حوقل، صورة الأرض، ص١٠٦؛ الحميري، الروض المعطار، ص٢٥).

(٢)أنتقيرةAntequera: حصن من أعمال مالقة يقع بين مالقة وغرناطة. (انظر: الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٢٥٩).

(٣)الأمير عبد الله، التبيان، ص١١٧-١٢٠؛ عنان، دول الإسلام، ج٢، ص١٤٥.

والتطارح عليه، فاستشاط الأمير عبد الله غيظًا على مؤمل، وهم به، فخرج مؤمل ومعه البراء الكاتب وغيره ممن اتفق معهم مؤمل، ومعهم بني مالك عمال لوشة[1]، فثاروا على عبد الله وانقلبوا عليه، وخاطبوا أمير المسلمين يوسف ابن تاشفين، ولكن استطاع الأمير عبد الله التغلب عليهم، وسيق مؤمل، ومن كان معه في الحديد، فأرسل أمير المسلمين يوسف بن تاشفين إلى عبد الله في حل اعتقالهم، فلم يستطع الأمير عبد الله مخالفته وأطلقهم، ونال مؤمل مكانة كبيرة عند أمير المسلمين يوسف بن تاشفين، فكان مسؤلًا عن تحصيل أموال الأملاك السلطانية أي مستخلص[2].

(١)لوشةLoja: من أقاليم إلبيرة، تقع غرب إلبيرة قبل قرطبة، بينها وبين إلبيرة ثلاثون ميلًا. (انظر: الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص٢٦ ؛ الحميري، الروض المعطار، ص٥١٣).

(٢)الأمير عبد الله، التبيان، ص١٤٧-١٤٩؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ج٣، ص٣٣١-٣٣٣.

ثالثًا: وساطات لقضاء الحاجات عند ولاة الأمور

أ- وساطة لقضاء الحاجات عند ولاة الأمور

لجأ بعض الأندلسيين إلى الوساطة عند ولاة الأمور لقضاء حاجاتهم المشروعة التي لا يؤدي حصولهم عليها إلحاق الأذى بغيرهم[1]، فقد تشفع الوزير أبو بكر القبطرنة إمام الفتوى لرجل عند المعتمد فمن كلامه للمعتمد: " وأن اشفع له عندك شفاعة حسنة، أدرك معها لدنك كرم الشفيع، ويجوز منك شرف العارفة والصنيع.... "، فكانت وساطة أبي بكر القبطرنة للرجل وشفاعته له بسبب كرم أخيه وفضل أخيه عليه، فتدخل أبو بكر لقضاء حاجة هذا الرجل عند المعتمد بن عباد[2].

وأيضًا توسط رجل صالح من أقارب أحد الأيتام في المرية لإعادة قطعة من الأرض أخذت منهم، وضماها المشتغلين ببناء قصور الصمادحية المعروفة في المرية للقصر دون علم المعتصم، فأرسل ذلك الرجل الصالح رسالة للمعتصم يذكره فيها بالله ويحذره أن الأرض ملك لأيتام، ووقعت عين المعتصم على الرسالة وقرأها، فسأل المشتغلين ببناء قصور الصمادحية، فقالوا: إن نقصها من الصمادحية يَعيبها في عين الناظر، فاستشاط غضبًا وقال: والله إن عيبها في عين

---

(١)أبو العلا، الشفاعات الدنيوية، ص٨٤.

(٢)ابن خاقان، قلائد العقيان، ج١، ص١٤١-١٤٢.

الخالق أقبح من عيبها في عين المخلوق، وأعاد الأرض إلى الأيتام، وأضر بقصوره الصمادحية ومنظرها، وقال المعتصم: والله إن هذه القطعة طراز هذا المنظر، ثم لاطف وزيره بعد ذلك الرجل الصالح والأيتام، واشترى منهم الأرض بما أرادوا من أموال بعد مدة طويلة، فاستقام بناء الصمادحية[1].

ب-شفاعات الغائبين عن بلادهم ووساطاتهم لذويهم

ارتحل الكاتب أبو المطرف عبد الرحمن بن مثنى من بلنسية إلى طليطلة، فاستوزره المأمون يحيى بن ذي النون صاحب طليطلة، وألقى إليه بأموره كلها، ولابن حيان ثناء عليه، فكتب رسالة إلى المنصور أبي الحسن عبد العزيز ابن أبي عامر صاحب بلنسية يُرققه على أهله وأبنائه، فأحسن المنصور إلى بنيه، ولحقوا به على ما أحب[2].

---

[1] المقري، نفح الطيب، ج٣، ص٣٦٦-٣٦٧.

[2] ابن الأبار، إعتاب الكتاب، ص٢١٥-٢١٧.

رابعًا: وساطات في نشر العلوم الدينية

قال ابن حيان عن أبي محمد بن حزم الظاهري: صاحب حديث وفقة وجدل، وله كتب كثيرة في المنطق والفلسفة، وكان شافعي المذهب، يناضل الفقهاء عن مذهبه ثم صار ظاهريًا[1] أي الأخذ بالمعنى الظاهري دون تأويل أو تخريج، فوضع الكتب في هذا المذهب، وثبت عليه إلى أن مات[2]، وكانت بينه وبين أبي الوليد الباجي مناظرات يطول شرحها، وكان كثير الوقوع في العلماء المتقدمين[3].

استهدفه الفقهاء وأجمعوا على تضليله، ورد قوله، وحذروا سلاطينهم من فتنته، ونهوا الناس عن سماعه، والأخذ عنه، وأقصاه الملوك عن قربهم، وطردوه من بلادهم، فعاد إلى بلده من بادية لبلة، وبها توفي ٤٥٦هـ/ ١٠٦٤م،

---

(١)المذهب الظاهري نسبة إلى الإمام أبو سليمان داود بن علي بن خلف الأصبهاني الأصل البغدادي الدار، المشهور بداود الظاهري نسبة إلى ظاهر الكتاب والسنة لتمسكه به، ويقوم مذهبه على منافاة كل اجتهاد وأي تأويل، إذ المعول عنده وعند أصحابه أن يأخذوا بظاهر نصوص الآيات والأحاديث، ويتلخص مذهبهم في أنهم جعلوا مدارك الشرع كلها منحصرة في النصوص والاجماع، وردوا القياس الجلي، والعلة المنصوصة إلى النص. (ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٢، ص٢٥٥-٢٥٧) .

(٢)الحميدي، جذوة الاقتباس، ص٣٠٨-٣٠٩؛ ابن بشكوال، ج٢، ص٤١٦-٤١٧؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٣، ص٣٢٥؛ عمر إبراهيم توفيق، صورة المجتمع الأندلسي في القرن الخامس الهجري، الطبعة الأولى، دار غيداء، عمان، ٢٠١١م، ص٢٤٣-٢٤٤.

(٣)ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٣، ص٣٢٧.

وكان بعد عودته قد استمر يبعث علمه عن طريق من جاءه من عامة المقتبسين من أصاغر الطلبة، لا يحس بهم أحد، فكان يفقهم ويدرسهم وكثرة تصانيفه حتى أصبح من مصنفاته الكثير من الكتب في فنون العلم حتى لأحرق بعضها بإشبيلية في عهد المعتضد بن عباد فقال[1]:

**فإن تحرقوا القِرطاس لا تحرقوا		الذي تضمنه القرطاس بل هو في صدري**

وشى الفقهاء وسعوا بابن حزم لانحرافه عن المذهب المالكي وتعاليمه، ورغم ما قاموا به من سعايات للتخلص منه وعلومه إلا أنه استطاع أن يؤلف الكتب ويستقطب أتباعًا ومريدين، وأن يدرس إلى نهاية حياته، وانتشرت علومه وأفكاره[2].

---

(١)ابن الخطيب، الإحاطة، ج٤، ص١١٥-١١٦؛ المقري، نفح الطيب، ج٢، ص٧٧-٨٠.

(٢)عبود، جوانب من الواقع الأندلسي، ص١٨٢-١٨٤.

خامسًا: شفاعات في الأوساط الاجتماعية الراقية

أ- شفاعات في الوسط العائلي

بذلت العديد من الوساطات للإصلاح بين الأزواج المنفصلين والمتخاصمين، فكان بعض الأزواج يلجأون إلى الوعاظ الصالحين ليصلحوا بينهم وأزواجهم، لحرصهم على دوام العشرة، وتدخل بعض الوسطاء للإصلاح بين الزوجين[1].

ب-شفاعات للعبيد والجواري ضحايا غضب ساداتهم

شاع في المجتمع الأندلسي بكافة طبقاته وطوائفه وملله تملك العبيد واقتناء الجواري من مختلف الأجناس، وقد استخدمهم الأندلسيون في قصورهم وبيوتهم، وأمور شتى، وقد تعرض بعضهم لغضب ساداتهم، لاقترافهم بعض الذنوب، وبسبب تغير مزاج هؤلاء السادة عليهم، فقاموا بتأديبهم[2]، وأمدتنا المصادر بروايات عن شفاعات بذلت لاستنقاذهم، والعفو عنهم، من ذلك إعراض ابن عمار وزير المعتمد بن عباد ووالي شلب عن حضور مجلس المؤتمن

(١)الونشريسي، المعيار المعرب، ج٣، ص١٣١.

(٢)أبو العلا، الشفاعات الدنيوية، ص١٠٦-١٠٧.

ابن هود (٤٧٤ - ٤٧٨هـ/ ١٠٨١ - ١٠٨٥م) صاحب سرقسطة، لسجنه غلام رومي من عبيده، أعجب به ابن عمار، وأحبه كأنه تبناه، وكتب للمؤتمن يقول[١] :

أنا المطبَقُ المسجونُ لا مَنْ سَجَنْتَـــــهُ وأطبقتَه فانظر لعبـــدكَ أو دعِ

حرامٌ حرامٌ أن تراني عينُ مَـــنْ تراه فإن شئتَ ارتجاعيَ فارجع

ويا حُسنَ حالِ الودِّ إن سمحت يدٌ ولقبتُ فيها بالشفيع المشفــــــــع

فضحك المؤتمن وأخرج ذلك الغلام وعفا عنه من أجل شفاعة ابن عمار وإرضائه[٢].

ومن الشفاعات عن العبيد ما ورد عن غلام وسيم لابن عمار يميل إليه، فعتب عليه ابن عمار في بعض الأمور، فخرج عنه الغلام إلى دار الوزير أبي المطرف ابن الدباغ[٣] وزير المعتمد، فتوسط وشفع له أبو المطرف برقعة وصلها ذلك الغلام إلى ابن عمار، فكتب ابن عمار إلى أبي المطرف يقول[٤]:

---

(١)ابن خاقان، قلائد العقيان، ج١، ص٢٥٧-٢٥٨؛ ابن بسام، الذخيرة، ق١، م١، ص٣٨٨.

(٢)ابن خاقان، قلائد العقيان، ج١، ص٢٥٨ ؛ ابن بسام، الذخيرة، ق١، م١، ص٣٨٨.

(٣)هو أبو المطرف عبد الرحمن بن فاخر المعروف بالدباغ، كان أحد من خُلي بينه وبين بيانه، وجرى السحر الحلال بين قلمه ولسانه، وكان استوحش من أمير بلده، ومقيم أوده المقتدر بن هود، فخرج عنه وفر، وفارق عز ذلك المقام، ولجأ إلى المعتمد بن عباد فرفع قدره ومنزلته. (ابن بسام، الذخيرة، ق٣، م١، ص٢٥١-٢٥٣) .

(٤)ابن بسام، الذخيرة، ق٢، م١، ص٣٩٢.

قرأتُ كتابك مستشفعـــــاً لوجهِ أبي الحسنُ مـــــن ردهِ
ومن قبلِ فضيَ خَتم الكتـــــاب قرأتُ الشفاعةَ في خـــــــده

فشفع ابن عمار له وعفا عنه قبل أن يقرأ رسالة أبي المطرف وأرسل له تلك الأبيات يعلمه بقبول شفاعته.

سادسًا: وساطات لشغل المناصب الرفيعة

تقدم لنا المصادر أخبارًا قيمة عن وساطات وشفاعات لشغل المناصب الرفيعة في الدول، فقد توسط هشام بن عبد الله بن أبي العباس عند القاضي ابن أدهم[1] ليجعله إمام البادية (الريف)[2]، كما وضع حبوس أكبر أبناء أبي العباس كاتبه في مكانه بعد وفاته، إكرامًا لأبيه ومكانته عنده، فرغم صغر سنه إلا أنه

(١)هو أحمد بن أدهم مولى بني مروان، من أهل جيان، وسكن قرطبة، ويكنى أبا بكر، ولي القضاء بالمرة لخيران العامري أميرها بالفتنة، وكان صائبًا في حكمه قويًا في فقهه وأدبه، ورجع قرطبة بعد مغيبة عنها مدة فحالفته بها العلة، وتوفي ٤٢٩هـ/ ١٠٣٨م. (ابن الآبار، التكملة لكتاب الصلة، ج١، ص٢٣).

(٢)أبو عبد الله بن عسكر وأبو بكر بن خميس، أعلام مالقة، تحقيق د.عبد الله المرابط الترغي، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي- دار الأمان، بيروت، ١٩٩٩م، ص٣٥٦.

عينه كاتب له تقديرًا لأبيه، وسعى أبو إبراهيم اليهودي مساعد أبيه به عند حبوس، للتخلص منه إلا أنه ظل كاتب حبوس طوال فترة حكمه(١).

وتقدم المصادر أخبارًا عن وساطات وسعايات لعزل بعض الأشخاص من مناصبهم، فعزل هشام المعتد المرواني عبد الرحمن بن بشر المعروف بالحصار(٢) من منصب القضاء لسعايات ومطالبات بعزله لميله إلى بني حمود(٣)، كما سعى القاضي أبي عبد الله بن الحسن النباهي بمالقة، بألا يتولى ابن السقاء مالقة، فقد أراد باديس أمير غرناطة أن يولي ابن السقاء مالقة، لولا سعايات أبي عبد الله المسيطر على الأمور في مالقة(٤).

---

(١)الأمير عبد الله، التبيان، ص٦٧-٦٨.

(٢)هو أبو المطرف عبد الرحمن بن أحمد بن سعيد بن محمد بن بشر بن غرسية، القرطبي المالكي، ابن الحصار، ويعرف بمولى بني فطيس ولاه متولي قرطبة علي بن حمود الحسني القضاء ٤٠٧هـ/ ١٠١٦م، فأحسن السيرة، ثم ولي للقاسم بن حمود القضاء مع الخطبة، وتوفي ٤٢٢هـ/ ١٠٣١م. (ابن بشكوال، الصلة، ص٣٢٦-٣٢٨).

(٣)ابن بشكوال، الصلة، ج٢،ص٣٢٦-٣٢٧؛ ابن سعيد، المغرب، ج١، ص١٥٨؛ النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، ص٨٧.

(٤)الأمير عبد الله، التبيان، ص٧٨؛ ابن الآبار، الحلة السيراء، ج٢، ص١٧٦؛ النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، ص٩٣.

ويمدنا المقري بخبر طريف عن الشاعر ابن مقانا الأشبوني[1]، فقد وفد على بني حمود الأدارسة في مالقة، وكانت تقاليد الخلافة عندهم إذا حضرهم شاعر أو زائر كان عليه أن يتكلم معهم من وراء حجاب أو ستر، والحاجب واقف عند الستر يجاوب بما يقوله الخليفة، وذلك تقليد خلفاء الشرق، فلما حضر الشاعر ابن مقانا الأشبوني أمام الخليفة إدريس بن يحيى الحمودي، وأنشده قصيدته النونية حتى قال[2] :

انظُرُونا نَقتَبِس من نوركم   إنه من نور ربِّ العالمينْ

عندئذ رفع الخليفة الستر وقال: انظر كيف شئت، وأجزل له العطاء والإحسان ورفع مكانته[3].

شهد عصر الطوائف وساطات لتولي منصب القضاء، على الرغم من الشروط التي وضعها العلماء لمتولي القضاء، فلا يصلح للقضاء أي شخص إلا بها، وأهم تلك الشروط العلم والورع، فإذا توافرا عند شخص، قدم للقضاء[4]،

---

(١)الأشبوني: نسبة إلى أشبونة (لشبونة) Lisboa من كور باجة Beja في غربها. (انظر: الحميري، الروض المعطار، ص٦١).

(٢)المقري، نفح الطيب، ج١، ص٤٣٤-٤٣٥؛ العبادي، تاريخ المغرب والأندلس، ص٩٥-٩٦.

(٣)المقري، نفح الطيب، ج١، ص٤٣٥ ؛ العبادي، تاريخ المغرب والأندلس، ص٩٦.

(٤)النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، ص٢.

استقضى أبو الحزم بن جهور بقرطبة بعد أبي بكر بن ذكوان، ابن المكوى عبد الله ابن أحمد بن عبد الملك بن هاشم[1]، واشتهر بقلة علمه ومعرفته، وكانت آثرة آثره بها، ثم صرفه ابنه أبو الوليد بن جهور[2]، كما استقضى أبو الوليد ابن جهور، أبا علي حسن بن محمد بن ذكوان، وكان يتولى أحكام الشرطة والسوق، ثم رقاه أبو الوليد إلى القضاء، رغم قلة علمه، وكانت آثرة آثره بها، ثم صرفه[3] وتشير الروايات إلى وساطات وشفاعات لهم لتولي القضاء رغم قلة العلم والمعرفة مما أصاب الجهاز القضائي بالضعف.

---

(١)هو عبدالله بن أحمد بن عبد الملك بن هاشم يعرف بابن المكوي، من أهل قرطبة، وهو ابن الفقيه أبو عمر الأشبيلي كبير المفتين بقرطبة أيام الجماعة، وتوفي عام ٤٤٨هـ/ ١٠٥٦م. (ابن بشكوال، الصلة، ج١، ص٢٧٦-٢٧٧).

(٢)ابن بشكوال، الصلة، ج١، ص٢٧٦-٢٧٧.

(٣)ابن بشكوال، الصلة، ج١، ص١٣٧-١٣٨.

سابعًا: شفاعات في منتقدي سياسة الحكام

كان الشعراء يحركون المشاعر ويرفعون أقوامًا ويخفضون آخرين كما يشاءون[1]، وقد عرفت الأندلس جماعات من مشاهير الأدباء والكتاب والشعراء دأبوا على الاستخفاف بالطاعة، وذم الحكام ونقد سياساتهم، وقد قبض على بعضهم، وتعرضوا لعقوبات شديدة، كالضرب المبرح، والسجن، والقتل، وفي حالات كثيرة شفع لهم، فقبلت بعض الشفاعات ورفض بعضها[2].

نقد ابن حيان أبا الوليد بن جهور بنقد لاذع شديد، ذكر فيه أنه ما كان يصلح لولاية الأمر في قرطبة، فثار عبد الملك بن أبي الوليد وحلف أن يسفك دم ابن حيان، ورفض أبو الوليد بن جهور أن يحدث ضرر لابن حيان، حتى لا يقال عليهم أنهم قتلوا شيخ الأدب والمؤرخين، ووعد ابنه أنه لو أصاب ابن حيان شيئًا، لن أتهم فيه غيرك[3].

وبلغ ابن طاهر عن بعض الشعراء بمرسية هجاء أبي بكر بن الحسن المرادي القروي، فبعث رجل من رجاله يعرف بابن المقدم فضربه، ووقع العداء بينهما[4]، وهجا ابن الحداد الأقطع الأمير تميم بن بلقين، فجد تميم في طلبه،

---

(١)غوستاڤلوپون، حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، الهيئة المصرية للكتاب، ٢٠٠٠م، ص٤٤٦.

(٢)أبو العلا، الشفاعات الدنيوية، ص١٢٥.

(٣)ابن حيان، المقتبس، ص٣٧؛ ابن سعيد، المغرب، ج١، ص١١٧.

(٤)ابن بسام، الذخيرة، ق٤، م١، ص٣٦٥.

والبحث عنه، فاختبأ ابن الحداد، ثم كتب قصيدة يستعطفه بها، وأنشده إياها، فصفح عنه وأحسن إليه[1].

كما أمر المأمون بن ذي النون صاحب طليطلة بسجن أبي مروان عبد الملك بن غصن الخشني الشاعر، لهجائه له بقوله[2]:

تلقبت بالمأمون ظلمًا، وإنني لآمن كلبًا حيث لست مؤمنَه

وفي سجنه ألف كتابه المسمى كتاب " السجن والمسجون والحزن والمحزون "، أودعها ألف بيت من شعره في الاستعطاف، فرق له المأمون، وأطلقه وعفا عنه[3]، ومما أورد عن عفو المأمون لعبد الملك بن غصن، أنه خاطب ابن هود واستعطفه وتشفعه في أن يخلصه من اعتقاله وسجنه، فرق له ابن هود، وتحيل حتى خلصه بشفاعته، فقدم على ابن هود، فخلع عليه ثوب وزارته، وجعله من أعلام سلطنته وإمارته[4].

---

(١)ابن الآبار، الحلة السيراء، ج٢، ص٢٣.

(٢)عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، تحقيق د. إحسان عباس، بيروت، دار الثقافة، ١٩٧٣م، السفر الخامس، ص٣١؛ شكيب أرسلان، الحلل السندسية، الطبعة الأولى، المطبعة الرحمانية، ١٩٣٦م، ج٢، ص٧٨.

(٣)ابن الأبار، إعتاب الكتاب، ص٢١٨؛ عبدالملك المراكشي، الذيل والتكملة، السفر الخامس، ص٣١.

(٤)ابن سعيد، المغرب، ج٢، ص٣٠؛ المقري، نفح الطيب، ج٣، ص٣٦٣-٣٦٤.

كما غضب المعتمد بن عباد على وزيره ابن عمار، فقد انتقد ابن عمار المعتمد ووالده المعتضد في قصيدة أرسلها له الوزير البلنسي أبو بكر ابن عبد العزيز، نقلها رجل يهودي دسه على ابن عمار، بالإضافة إلى ضياع مرسية من يد ابن عمار بعدما سيطر عليها رشيق، فاشتد غضب المعتمد بن عباد عليه[1]، فقبض مبارك صاحب حصن شقورة[2] على ابن عمار، وأرسله إلى المعتمد ابن عباد، وتشفع ابن عمار بأبناء المعتمد فلم يصغي أي منهم له، وتشفع بالمعتمد في قصيدة طويلة أولها[3] :

سجاياك إن عافيت أندى وأسمح وعذرك إن عاقَبت أجلي وأوضحُ

ظل ابن عمار مدة في محبسه يسترحم المعتمد، ويستشفعه، ويتعطفه، فأحضره المعتمد ووعده بالعفو عنه، ثم حدث ابن عمار الرشيد في أمر عفوه، ووصل الخبر إلى ابن زيدون، فتحدث ابن زيدون مع المعتمد في أمر عفوه عن

---

(١)مزيد عن تفاصيل أخبار ابن عمار انظر: ابن بسام، الذخيرة، ق٢، م١، ص٣٧١-٤٣٠؛ ابن الأبار، الحلة السيراء، ج٢، ص١٣١-١٥٤.

(٢) حصن شقورةSegura: مدينة بالأندلس شمالي مرسية من أعمال جيان، وجبل شقورة ينبت الورد الذكي العطر والسنبل الرومي الطيب، وبها كانت دار إمارة همشك، أحد الأمراء الثائرين في عهد عبد المؤمن بن علي ابن يوسف بن عبد المؤمن الموحدي. (انظر: الحموى، معجم البلدان، ج٣، ص٣٥٥-٣٥٦؛ الحميرى، الروض المعطار، ص٣٤٩).

(٣)ابن بسام، الذخيرة، ق٢، م١، ص٤٣٠؛ ابن الأبار، الحلة السيراء، ج٢، ص١٥٤.

ابن عمار، وأعلمه أن ابن عمار تحدث بذلك، فغضب المعتمد بن عباد على ابن عمار، وقام إليه وقتله[1]، كان سعي ابن زيدون على ابن عمار، للتخلص منه، فقد كان يعلم مدى غلبة ابن عمار على المعتمد ومنافسته له[2]، فرأى ابن زيدون في رجوع ابن عمار إقصاء له عما هو فيه بل ربما أدى ذلك إلى القبض عليه وقتله[3].

وممن سعى على ابن عمار، وجعل المعتمد يقوم إليه ويقتله، زوجته الرميكية، عندما علمت بأنه سيعفو عنه ويطلق سراحه ذكرته بهجائه فيها[4]:

تخيرتها من بناتِ الهجانِ رُميَكيةً ما تساوي عقالا

وقالت له: قد شاع أنك تعفو عنه، وكيف يكون ذلك بعدما نازعك ملكك، ونال من عرض حرمك؟ فثار عند ذلك المعتمد، فضربه بطبرزين شق رأسه، فقتله[5].

وبلغ المعتصم أن خلف بن فرج السمسير هجاه، فقبض عليه، فأقسم للمعتصم أنه لم يقل شيء، وأن من أشاع عليه ذلك الأمير عبد الله بن بلقين

(١)ابن خاقان، قلائد العقيان، ج١، ص٢٧١؛ ابن بسام، الذخيرة، ق٢، م١، ص٤٢٠.

(٢)ابن دحية، المطرب من أشعار أهل المغرب، ص١٦٩.

(٣)دوزي، المسلمون في الأندلس، ج٣، ص١١٩.

(٤)ابن سعيد، المغرب، ج١، ص٣٩٠-٣٩١؛ المقري، نفح الطيب، ج٤، ص٢١٢-٢١٣.

(٥)ابن سعيد، المغرب، ج١، ص٣٩١ ؛ المقري، نفح الطيب، ج٤، ص٢١٣.

صاحب غرناطة، لتقتلني، بعدما خرجت هربًا من بلاده، لهجائي له، فصفح عنه المعتصم وعفا عنه[1].

ومن الطريف في حكايات أهل الأندلس في العفو، أن المعتصم ابن صمادح كان قد أحسن للنحلي البطليوسي الشاعر، ثم إن النحلي سار إلى إشبيلية، فمدح المعتضد بن عباد بشعر قال فيه[2]:

أباد ابنُ عبادٍ البربـرا وأفنى ابنُ معنٍ دجَاج القرى

ثم نسي ما قاله، حتى حل بالمرية، فأحضره ابن صمادح لمنادمته، وأحضر للعشاء موائد ليس فيها غير دجاج، فقال النحلي: يا مولاي، ما عندكم في المرية لحم غير دجاج؟، فقال: إنما أردتُ أن أكذبك في قولك: " وأفنى ابنُ معنٍ دجاج القرى "، فطار فكر النحلي، وجعل يعتذر، فعفا عنه المعتصم وأجزل له العطاء، وخرج النحلي عن المرية خوفًا منه، ثم مدحه لعفوه، وحسن تصرفه معه[3].

---

(١)المقري، نفح الطيب، ج٣، ص٤١٢-٤١٣.

(٢)ابن بسام، الذخيرة، ق٢، م٢، ص٨٠٩؛ المقري، نفح الطيب، ج٤، ص٩.

(٣)ابن بسام، الذخيرة، ق٢، م٢، ص٨٠٩ ؛ المقري، نفح الطيب، ج٤، ص٩.

ثامنًا: التشفع إلى الله بالأعمال الطيبة وبالزهاد والصالحين

لجأ المسلمون إلى طلب الشفاعة من الله بالدعاء، وكانوا يلجأون إلى الزهاد والصالحين للدعاء لهم، لقضاء حاجاتهم، فقد كانوا يدركون أن دعوتهم وحدها غير كافية، فاستعانوا بالزهاد والصالحين، وكانوا يتقربون إلى الله بالأعمال الطيبة ويستشفعون بها، ليحقق لهم رجاءهم، ومنها:

أ- أوقات الكوارث الطبيعية

تشير المصادر إلى حدوث جدب في بطليوس في عهد المتوكل على الله ابن الأفطس دون تحديد سنة حدوثه، وكان شديدًا، فلجأ المتوكل إلى الأعمال الطيبة، والتشفع إلى الله، حيث أقلع المتوكل عن اللهو والشرب، فأظهر الخشوع، وأكثر السجود، ولجأ إلى دعاء الصالحين حتى نزل المطر[١]، كما حدث بإشبيلية قحط في بعض الأعوام، فلجأ أبو عبد الله بن منظور إلى الله بالدعاء وسأله، فما انقضى النهار حتى سقاهم الله تعالى، وانخفضت الأسعار[٢].

ب-تفريج الكُربات

اشتهر بعض الزهاد والفقهاء في الأندلس بإجابة الدعوة والبركة، مما يوضح أنه تم الاستعانة بهم للدعاء لهم لتفريج الكربات، وعرفوا بالخير

---

(١)ابن خاقان، قلائد العقيان، ج١، ص١٣٧؛ المقري، نفح الطيب، ج١، ٦٦٣.

(٢)ابن بشكوال، الصلة، ج٢، ص٥٤٨-٥٤٩.

والصلاح والتواضع، من هؤلاء الزهاد ابن الصيرفي عثمان المقريء بقرطبة(1)، وأبو الحسن علي بن خلف من علماء قرطبة(2)، وابن الفخار أبو عبد الله بن عمر، ظهرت إجابة دعوته في مواقف كثيرة (3)، وأبو عمرو معوز التاكرني الزاهد العابد(4)، وأبو محمد مكي بن أبي طالب، دعا على رجل كان يحصي سقطاته، فأقعد الرجل وما دخل الجامع بعد ذلك(5)، وممن اشتهروا بإجابة الدعوة، يحيى بن إبراهيم بن محارب بسرقسطة(6)، وأحمد بن محمد الأزدي الفقيه بغرناطة (7). كما كان الناس يتبركون ببعض الزهاد والصالحين ويلتمسون منهم البركة، لقضاء حاجاتهم، ويزدحمون عليهم، منهم: أحمد بن أيوب الإلبيري، الواعظ الورع، كان الناس يلتمسون منه البركة (8)، وكان أبو الوليد بن جهور يتبرك

---

(1)ابن بشكوال، الصلة، ج٢، ص٤٠٥-٤٠٧؛ ابن فرحون، الديباج المذهب، تحقيق د.محمد الأحمدي، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة، ١٩٧٢م، ج٢، ص٨٤-٨٥.

(2)ابن بشكوال، الصلة، ج٢، ص٤٢٣-٤٢٤.

(3)ابن بشكوال، الصلة، ج٢، ص٥١٠-٥١٢؛ ابن فرحون، الديباج المذهب، ج٢، ص٢٣٥-٢٣٦.

(4)ابن بشكوال، الصلة، ج٢، ص٦٢٥.

(5)ابن بشكوال، الصلة، ج٢، ص٦٣٢-٦٣٣.

(6)ابن بشكوال، الصلة، ج٢، ص٦٦٤-٦٦٥.

(7)عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، السفر الأول، ص٥٣٠.

(8)ابن بشكوال، الصلة، ج١، ص٤٩.

بالزاهد والصالحين، ويسألهم الدعاء، فكان يتبرك بسعيد بن عمر بن عبد النور من أهل قرطبة(١)، وأبي بكر مزين بن جعفر الزاهد(٢).

ج- رفع ظلم الحُكام وضرر الإخوان

لجأ أهل الأندلس إلى الله بالدعاء، والتشفع بالزهاد والصالحين، ليستشفعوا بدعائهم إلى الله أن يرفع الظلم والفساد عنهم، خاصة إذا كانوا لا يستطيعون دفعه(٣)، فلجأ أهل قرطبة إلى الله بالدعاء بعدما صب عليهم علي ابن حمود دروبًا من التنكيل والمغارم، فكان مقتله على يد ثلاثة من حاشيته من الصقالبة في حمام القصر ٤٠٨هـ/ ١٠١٨م(٤).

كما استغاث أهل بلنسية إلى الله لما وقع لهم من حكم مبارك ومظفر العامريين، واشتدوا عليهم في جباية الأموال، فهلك مبارك، وضعف مظفر

---

(١)ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، ج٤، ص١١٤-١١٥.

(٢)ابن الزبير، صلة الصلة، تحقيق د. شريف أبو العلا العدوي، الطبعة الأولى، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠٨م، ص٤٦-٤٧.

(٣)أبو العلا، الشفاعات الدنيوية، ص١٣٦.

(٤)مزيد من التفاصيل انظر: ابن بسام، الذخيرة، ج١، ق١، ص٩٧-١٠١؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ج٤، ص٥٦-٥٧؛ المقري، نفح الطيب، ج١، ص٤٨٢-٤٨٣؛ ابن عسكر -ابنخميس،أعلام مالقة،ص٢٩٦؛ لويس سيكو دي لوثينا، الحموديون سادة مالقة والجزيرة الخضراء، ترجمة د.عدنان محمد آل طعمه، الطبعة الأولى، دار شهد الدين، دمشق، ١٩٩٢م، ص٢١-٢٣.

وخرج عن بلنسية[1]، وتحققت أمنية أهل بلنسية وشاطبة بالتخلص منهما لحكمهم الظالم[2].

لجأ أبو الوليد بن جهور بالدعاء إلى الله واللجوء إليه، والاستغاثة به، بعدما غدر المعتمد بن عباد ببني جهور وأخرجهم عن قرطبة، فعندما توسط أبو الوليد بن جهور قنطرة خارج المدينة، رفع عينيه وهو يبكي، فقال: " اللهم إنك قد انتقمت منا فانتقم لنا "، ففعل أمير المسلمين يوسف بن تاشفين بالمعتمد ابن عباد ما فعله هو بابن جهور[3].

وقصد أهل قرية من نظر ابن هود في سرقسطة، رجل من الخير والصلاح، بعدما تضاعفت عليهم الأموال التي تجبى منهم، فدخل الرجل الصالح سرقسطة على المقتدر، ووعظه بما جاءه في الشرع، فاغتاظ ابن هود

---

(١)ابن سعيد، المغرب، ج٢، ص٢٩٩؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق٢، ص٢٢٢-٢٢٧.

(٢)سحر السيد عبد العزيز سالم، شاطبة الحصن الأمامي لشرق الأندلس في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٩٥، ص٨٧.

(٣)مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، تحقيق د.عبدالقادربوباية، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ، ص٢٦٢؛ ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج٢، ص١٠٠١؛ خليل إبراهيم السامرائي وعبدالواحد ذنون طه وناطق صالح مطلوب، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، الطبعة الأولى، دار الكتاب الجديدة، بيروت، بدون تاريخ طبع، ص٢٢٧.

لقوله، وأمر بقتله، فدعا عليه ذلك الرجل، فأصابته علة في جسده، أذهبت حسه وعقله، فيقال أنه مات حتى كان ينبح كما تنبح الكلاب، لدعوة الرجل عليه[1].

تاسعًا: الشفاعة في الحدود

اختلفت مواقف أهل الأندلس من الشفاعات في الحدود، رغم تحريم الإسلام الشفاعة فيه، ويدل على ذلك موقف أسامة بن زيد مع النبي صلى الله عليه وسلم، عندما شفع في المرأة المخزومية التي سرقت، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم " أتشفع في حد من حدود الله؟ "[2].

فنجد المعتمد بن عباد يعفو ويصفح عن السارق المشهور البازي، له في السرقة كل غريب، وعجيب، حتى أنه سرق، وهو مربوط على خشبة، إلا أن المعتمد عفا وصفح عنه بشرط، ألا يرجع إلى ذلك مرة أخرى، وأصبح من حرسه[3].

---

(١)ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص٢٢٩.

(٢)الوادعي، الشفاعة، ص٣١١.

(٣)مزيد من التفاصيل انظر: المقري، نفح الطيب، ج٤، ص١٢٨-١٢٩؛ الزجالي، أمثال العوام في الأندلس، تحقيق د.محمد بن شريفة، مطبعة محمد الخامس، فاس، ١٩٧١م، ق١، ص٢٦١؛ دوزي، المسلمون في الأندلس، ج٣، ص١٠٠-١٠١.

كما شفع أبو بكر الخولاني المنجم للأديب أبى الأصبغ عبد العزيز البطليوسي المعروف بالقلمندر بسبب شرب الخمر[1] عند المظفر بن الأفطس، الذي أمر بقطع لسانه لكثرة أذيته وسكره[2]، فشفع له المنجم عند ابن الأفطس.

(١)ابن بسام، الذخيرة، ق٤، م١، ص٣٥٧.

(٢)ابن سعيد، المغرب، ج١، ص٣٦٩.

الفصل الثاني

شفاعات كبار رجال الدولة من نقمة الحكام وسخطهم

١- ارتفاع مكانة الكاتب أبي بكر بن القصيرة عند أمير المسلمين يوسف بن تاشفين
٢- وساطة عند القائد المرابطي ابن عائشة لرد أملاك أبي عبد الرحمن محمد بن طاهر
٣- عزل أمير المسلمين علي بن يوسف للقاضي ابن منظور
٤- تغير أمير المسلمين علي بن يوسف على القاضي أبي عبد الله بن شِبرين
٥- سعاية القاضي أبي عبد الله بن حمدين بالفقيه أبي الحسن البرجي المقريء
٦- تغير أمير المسلمين علي بن يوسف على عماد الدولة بن هود صاحب سرقسطة
٧- غضب أمير المسلمين علي بن يوسف من القاضي أبي علي الصدفي
٨- سعاية بالوزير أبي الوليد بن سقبال عند أمير المسلمين علي بن يوسف
٩- سعاية بأبي بكر بن سعيد عند أمير المسلمين علي بن يوسف
١٠- تغير أمير المسلمين علي بن يوسف على الطبيب أبي العلاء بن زهر
١١- عزل القاضي أبي محمد عبد الله بن الوحيدي
١٢- تغير أمير قرطبة على أبي عبد الله الذهبي
١٣- تغير الأمير مزدلي على الوزير الكاتب أبي القاسم بن السقاط
١٤- تغير أمير المسلمين علي بن يوسف على الأمير مزدلي
١٥- تغير أمير المسلمين علي بن يوسف على والي غرناطة أبي عمر يناله اللمتوني
١٦- تغير عماد الدولة بن هود صاحب سرقسطة على القائد أبي عمرو بن ياسر
١٧- تغير ناصر الدولة حاكم ميورقة على أبي بكر بن اللبانة الداني
١٨- شفاعات لكبار رجال الدولة من نقمة الحكام لم تذكرها المصادر بشكل مباشر

الفصل الثاني

شفاعات لكبار رجال الدولة من نقمة الحكام وسخطهم

تعرض بعض ولاة الأقاليم، وقادة الجيوش، وكبار رجال الدولة والحاشية، والأدباء والشعراء، لغضب الحكام وسخطهم، لأسباب مختلفة، فأصدروا بحقهم عقوبات تأديبية بقدر ذنوبهم، تفاوتت بين الغضب والتوبيخ، والضرب، والهجر والإعراض، والعزل، والسجن، والقتل؛ وقد أشارت المصادر إلى شفاعات ووساطات بُذلت عند هؤلاء الحكام للعفو عنهم، والتجاوز عن خطاياهم، كما بُذلت بعض السعايات لبعض كبار رجال الدولة لإلحاق الأذى بهم، أو لعزلهم عن مناصبهم، أو لهجر الحكام لهم والإعراض عنهم.

١- ارتفاع مكانة الكاتب أبي بكر بن القصيرة عند أمير المسلمين يوسف ابن تاشفين

نشأ أبو بكر محمد بن سليمان بن القصيرة في دولة المعتضد بن عباد صاحب إشبيلية، وكان من أعلام دولته، وأشهر الكتاب فعمل على خدمة المعتضد، ثم في خدمة المعتمد بعد وفاة أبيه المعتضد، واعتمد عليه المعتمد ابن عباد في سفاراته بينه وبين ملوك الطوائف بالأندلس، وبينه وبين أمير المسلمين يوسف بن تاشفين، أول ظهور اللمتونيين، واستمر إلى أن خلع المعتمد بن عباد

٤٨٤هـ/ ١٠٩١م[١] فسلبت أموال أبي بكر بن القصيرة وترك بلا شيء، وكان من جملة من نُكب بهم، واستمر على ذلك ثلاثة أعوام، حتى تذكره أمير المسلمين يوسف بن تاشفين من حسن خليقته، وسداد طريقته، وكان سبب ذلك الذكر كتاب ورد عليه من صاحب مصر، من المرجح أن صاحب مصر هنا هو الخليفة المستنصر بالله الفاطمي (٤٢٧- ٤٨٧هـ/ ١٠٣٦- ١٠٩٤م)، كان فيه كلام عن أبي بكر بن القصيرة، فتذكره أمير المسلمين يوسف بن تاشفين، فاستدعاه، وولاه كتب دواوينه، ورفع شأنه وأعلاه، وفي عهد أمير المسلمين علي ابن يوسف أقره على ما كان يتولاه في عهد أبيه[٢].

اشتهر أبو بكر بن القصيرة بإجادة الكتابة، وبراعة الخط[٣]، وكان أحد رجال الفصاحة، والحائز قصب السبق في البلاغة، كان على طريقة قدماء الكتاب، من إيثار جزل الألفاظ وصحيح المعاني من غير التفات إلى الأسجاع

---

(١)ابن بسام، الذخيرة، ق٢، م١، ص٢٣٩-٢٤٠؛ ابن الأبار، إعتاب الكتاب، ص٢٢-٢٢٣.

(٢)ابن بسام، الذخيرة، ق٢، م١، ص٢٤٠؛ ابن الأبار، إعتاب الكتاب، ص٢٢٣؛

Bosch Villa (Jacinto)، Historia de Sevilla، La Sevilla Islamica، Sevilla، 1984، p.64.

(٣)عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة لكتاب الموصول والصلة، تحقيق د.إحسان عباس، الطبعة الأولى، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٣م، السفر السادس، ص٢٢٧؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ج٢، ص٥١٦-٥١٧؛ سعدون عباس نصر الله، دولة المرابطين في المغرب والأندلس (عهد يوسف بن تاشفين)، الطبعة الأولى، دار النهضة، بيروت، ١٩٨٥م، ص١٦٩.

التي أحدثها متأخرو الكتاب[١]، كان كتاب صاحب مصر سبب في تذكر أمير المسلمين يوسف بن تاشفين له، وبالتالي عفو أمير المسلمين يوسف بن تاشفين[٢] عنه،فبعدما سلبت أمواله وترك بلا شيء، أصبح أبو بكر غرة في جبين الملك، ودرة لا تصلح إلا لذلك السلك، باهت به الأيام، وتاهت في يمينه الأقلام[٣]، واشتملت عليه دولة أمير المسلمين يوسف بن تاشفين اشتمال الجفن على البصر، والأكمام على الثمر، والهالة على القمر، فعلا شأنه، وارتفع قدره في دولة المرابطين إلى أن توفي في مراكش ٥٠٨هـ/ ١١١٤م[٤].

---

(١)المراكشي، المعجب، ص١٤٤-١٤٥.

(٢)تذكر المصادر أن يوسف بن تاشفين يحب الصفح والعفو من ذلك ما أورده ابن الأثير عنه: فمن ذلك أن ثلاثة نفر اجتمعوا، فتمنى أحدهم ألف دينار يتجر بها، وتمنى الآخر عملا يعمل فيه لأمير المسلمين، وتمنى الآخر زوجته (زينب النفزاوية)، وكانت من أحسن النساء، ولها الحكم في بلاده، فبلغه الخبر، فأحضرهم وأعطى متمني المال ألف دينار، واستعمل الآخر، وقال للذي تمنى زوجته: يا جاهل، ما حملك على هذا الذي لا تصل إليه ؟ ثم أرسله إليها، فتركته في خيمة ثلاثة أيام تحمل إليه في كل يوم طعامًا واحدًا، ثم أحضرته وقالت له: ما أكلت في هذه الأيام ؟ قال: طعامًا واحدًا، فقالت له: كل النساء شيء واحد؛ وأمرت له بمال وكسوة وأطلقته (انظر: ابن الأثير، الكامل، ج٩، ص٩٩).

(٣)ابن خاقان، القلائد، ج١، ص٣٠٥-٣٠٦؛ ابن سعيد، المغرب، ج١، ص٣٥٠-٣٥١.

(٤)العماد الأصفهاني، خريدة القصر وجريدة العصر " شعراء المغرب والأندلس "، تحقيق آذرتاش آذرنوش، الطبعة الثانية، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٦م، ج٣، ص٣٨٣؛ نصر الله، دولة المرابطين، ص١٦٩.

٢- وساطة عند القائد المرابطي ابن عائشة لرد أملاك أبي عبد الرحمن محمد بن طاهر

كان ابن طاهر على مرسية، ثم انتزعها منه ابن عمار، واستَأثر بشئونها دون المعتمد بن عباد، وحبس ابن طاهر، واُعتُقل مدة حتى خلصه أبو بكر ابن عبد العزيز أمير بلنسية (كما أوضحنا في الفصل الأول) وعاش ابن طاهر في بلنسية طوال فترة حياته، وعاصر سيطرة المرابطين على الأندلس، وبعدما تولى القائد المرابطي أبو عبد الله محمد بن عائشة، أول حاكم لمرسية من المرابطين، وأصبحت قاعدة لتحركات الجيوش المرابطية(١)؛ فكتب الحاجب ذو الرياستين حسام الدولة أبو مروان بن رزين(٢) إلى القائد المرابطي بن عائشة، يطلب منه أن يرد المرابطون ما أخذوه من أملاك ابن طاهر عليه، فأعلمه ابن عائشة " أن أمير المسلمين يوسف بن تاشفين حد ألا يخوله شيئًا، ولا ينوله منها نفسًا ولا ريًا"(٣).

بذل ابن رزين سعايات ووساطات لإعادة أملاك ابن طاهر، غير أن موقف أمير المسلمين يوسف بن تاشفين صارم، وأوضح ابن عائشة أن أي مساعي مرفوضة في ذلك عند أمير المسلمين يوسف بن تاشفين؛ وكانت مساعي

---

(١)عنان، دول الإسلام، ج٢، ص١٨٣-١٨٦.

(٢)هو أبو مروان بن عبد الملك بن هُذَيل بن رزين الملقب بذي الرياستين حسام الدولة تولى إمارة السهلة (سهلة بني رزين) شنتمريةSanta Maria الشرق، عقب وفاة والده الحاجب عز الدولة هذيل ٤٣٦هـ/ ١٠٤٥م وينتمي بنو رزين إلى بربر هوارة. (ابن الأبار، الحلة السيراء، ج٢، ص١٠٨-١١٠).

(٣)ابن خاقان، قلائد العقيان، ج١، ص١٩٦؛ ابن بسام، الذخيرة، ق٣، م١، ص٤٨-٤٩.

ذي الرياستين ابن رزين لإعادة أملاك ابن طاهر، للعلاقة الطيبة والصداقة التي ربطت بينهما[1]، غير أن ذو الرياستين ابن رزين لم يوفق في رد أملاك ابن طاهر، وقد أثقلت السنون ابن طاهر، وهدمه الإعياء والمرض، فعاش أعوامًا في عزلة واعتكاف، ثم توفي ٥٠٧هـ/ ١١١٣م، وقد بلغ التسعون عام[2].

٣- عزل أمير المسلمين علي بن يوسف للقاضي ابن منظور

شكى الطبيب أبو العلاء بن زهر إلى أمير المسلمين علي بن يوسف، سوء حال القاضي ابن منظور معه عام ٥٠٣هـ/ ١١٠٩م – ١١١٠م، كان ابن منظور قاضي إشبيلية قد سخر من الطبيب أبي العلاء بن زهر أثناء مرضه، فقال " وطبيب ماهر يمرض!! " فانتقل كلامه إلى أبي العلاء بن زهر فقال[3]:

أن ابن منظورٍ تعجـــــبَ هازلًا لما مرضتُ فقلت: يعثر من مشى
قد كان جالينوسُ يمرضِ دائمًا فمنَ الفقيه المُرتَضى أكل الرُشـــا

فما أن اشتكى الطبيب أبو العلاء بن زهر، وسعى بالقاضي ابن منظور، حتى عزله أمير المسلمين علي بن يوسف عن قضاء إشبيلية[4]، لمكانة بني زهر من

---

(١)ابن بسام، الذخيرة، ق٣، م١، ص٤٧.

(٢)ابن خاقان، قلائد العقيان، ج١، ص١٩٩؛ الأصفهاني، خريدة القصر، ج٣، ص٣٦٤.

(٣)ابن عذاري، البيان، ج٤، ص٤٩.

(٤)ابن عذاري، البيان، ج٤، ص٤٩.

أمير المسلمين علي بن يوسف، فقد كان لأبي العلاء بن زهر مكانة عظيمة ومنزلة رفيعة في دولة المرابطين[1]، ما جعل أمير المسلمين لم يكن يرفض لبني زهر طلبًا[2].

٤- تغير أمير المسلمين على بن يوسف على القاضي أبي عبد الله بن شِبرين

تولى القاضي أبو عبد الله بن شِبرين القضاء بحصن مُرجيقMarjiq (حصن من حصون شلب بينهما أربعون ميلًا من الغرب)، ثم نقل إلى قضاء شلب، واستمر بها أعوامًا، إلى أن نقله الأمير سير بن أبي بكر والي إشبيلية، إلى قضاء إشبيلية، بعد عزل القاضي أبي القاسم بن منظور عن قضائها ٥٠٣هـ/ ١١٠٩-١١١٠م، فاستقر القضاء في مدة توليه، فكان صليبًا في الحق، نافذًا في أحكامه، لا تأخذه في الله لومة لائم، ثم سعى به أقوام، وبغوا عليه، حسدًا له عند أمير المسلمين علي بن يوسف فصرفه عن القضاء، ثم لم يلبث إلا نحو خمسة عشر يومًا، حتى رده إليه أحسن رد[3].

يبدو أن تلك السعاية التي لحقت بالقاضي أبي عبد الله بن شِبرين حسدًا له على مكانته، وصلابته في تنفيذ أحكام القضاء، وكان عدول أمير المسلمين عن

---

(١)ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، نشره أوجست مُلر، معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية، ألمانيا، ١٩٩٥م، ج٢، ص٦٤.

(٢)عصمت دندش، أضواء جديدة على المرابطين، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩١م، ص١٢٢.

(٣)المقري، أزهار الرياض، ج٣، ص١٥٥.

قرار عزله، لما عرف عن أبي عبد الله بن شِبرين من العلم والمعرفة وحسن السيرة، واستمر في قضاء إشبيلية إلى أن توفي في نفس عام توليه القضاء ٥٠٣هـ/ ١١٠٩ – ١١١٠م[1]، غير أن المصادر لم تشر إلى شخص وسيط شفع له عند أمير المسلمين علي بن يوسف، غير أنها أشارت إلى أن الوساطة التي بذلت وإعادته للقضاء كان علمه ومعرفته وحسن سيرته.

٥- سعاية القاضي أبي عبد الله بن حمدين بالفقيه أبي الحسن البرجي المقريء

أمر أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين في عام ٥٠٣هـ/ ١١٠٩ – ١١١٠م بإجماع قاضي قرطبة ابن حمدين، وفقهائها على حرق كتاب الإحياء للإمام الغزالي[2]، فأحرق على الباب الغربي من رحبة جامع قرطبة بجلوده بعد

---

(١)ابن بشكوال، الصلة، ج٢، ص٥٦٩.

(٢)يعتبر كتاب الإحياء لحجة الإسلام أبي حامد الغزالي (ت ٥٠٥هـ/ ١١١١م) من أهم المؤلفات التي شاعت، ولقيت رواجًا لدى جماهير من المتصوفة والصالحين، فمؤلفه من أعظم مفكري المسلمين، فقد كان متمكنًا من علوم الدين، وذكر المؤرخون أنه حدث بكتاب الإحياء، بعد عودته إلى بغداد من رحلته إلى بلاد الشام، أي بعد تلك الفترة التي عزفت فيها نفسه عن الدنيا، وزهدت فيها وقطع فيها العلائق بينه وبين الناس، وذكروا أنه كان يحدث بهذا الكتاب في مجالس الوعظ، وقد قسم الغزالي إحياء علوم الدين أربعة أقسام أو أربعة أرباع كما سماها: ربع العبادات، وربع العادات، وربع المهلكات، وربع المنجيات، وقد قدم الكتاب في فضل العلم والتعليم، وفي فنون العلم التي شغل بها معاصروه، وحكم كل علم منها (انظر: الغزالي، إحياء علوم الدين، ج١، ص٢٣- ٢٨؛ الذهبي، العبر، ج٢، ص٣٨٨).

إشباعه زيتًا، بمحضر جماعة من أعيان الناس ووجه إلى جميع بلاده يأمر بإحراقه، وتوالى الإحراق على ما اشتري منه ببلاد الغرب في ذلك الوقت[1].

وكان القاضي ابن حمدين أحد الساعين على إحراق كتاب الإحياء، وكان ممن عارض إحراقه أبو الحسن المقريء، وهو علي بن محمد بن عبد الله الجذامي، ويعرف بالبرجي[2]، مشاور في الأحكام، قاريء للقرآن والحديث، وهو الذي أوجب في كتب أبي حامد الغزالي، حين أحرقها أبو عبد الله بن حمدين بأمر أمير المسلمين علي بن يوسف، تأديب مُحرقها، وتضمينه قيمتها، لأنها مال مسلم، وقيل له: أتكتب بما قلته بخط يدك؟ قال: سبحان الله ﴿**كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ**﴾[3]، ثم كتب السؤال في النازلة أي في أمر حرق كتاب الإحياء، وكتب فتياه بعقبه، ودفع إلى أبي بكر بن عمر بن أحمد بن الفصيح، وأبي القاسم بن ورد، وغيرهما من فقهاء المرية ومشايخها فكتب كل واحد منهم فيه بخطه، وبه يقول فلان مُسَلمين لعلمه وزهده، فغاظ ذلك ابن حمدين لما بلغه، وغضب ابن حمدين من البرجي، وسعى ابن حمدين لقوة نفوذه في دولة المرابطين إلى عزل البرجي عن خُطة كانت بيده، فكتب ابن حمدين إلى قاضي المرية أبي

---

(١)ابن القطان، نظم الجمان، ص٧٠-٧١؛ ابن عذاري، البيان، ج٤، ص٥٩-٦٠.

(٢)البرجي: نسبة إلى مدينة برجة Berja بالأندلس من أعمال المرية Almería (انظر: الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٣٧٤؛ ابن الأبار، المعجم، ص٢٨٣).

(٣)القرآن الكريم، الصف: ٣.

عبد الملك مروان بن عبد الملك بعزله عن خُطه بيده، فأخبره أبو عبد الملك مروان بزهادته، وانقباضه عن أهل الدنيا فقال عند ذلك: فالله يُؤتي فَضله مَنْ يشاء، وتوفي بالمرية ٥٠٩هـ/ ١١١٥م(١).

كان زهد البرجي وورعه سببًا في عدم استجابة قاضي المرية لعزل البرجي من خُطة كانت بيده، ويبدو أنها كانت خُطة الشورى، من خطط قضاء العصر المرابطي، فقد أشار ابن الأبار أنه كان مشاورًا في الأحكام، وزاهد في الدنيا، وعلى رغم من سعايات ابن حمدين بأبي الحسن المقريء المعروف بالبرجي، ورغم نفوذه ومكانته في دولة المرابطين إلا أنه لم يستطع عزله(٢).

٦- تغير أمير المسلمين علي بن يوسف على عماد الدولة بن هود صاحب سرقسطة

تشير المصادر أن القائد المرابطي المقيم في غرناطة عبد الله بن فاطمة تحرك لغرض السيطرة عليها ذو القعدة ٥٠٣هـ/ مايو ١١١٠م، فخرج إليه وفد من سكان المدينة ليثنيه عن عزمه خوفًا من استعانة عماد الدولة بن هود بالنصارى، فقد شرط سكان سرقسطة على عماد الدولة عدم الاستعانة بالنصارى، وإلا سيخلعوه عن الحكم، لكنه أخل بالشرط، فتحالف مع

---

(١)ابن الأبار، المعجم، ص٢٨٣-٢٨٤.

(٢)ابن الأبار، المعجم، ص٢٨٤.

ابن رذمير (ألفونسو الأول المحارب)[1]، فكتب أهل سرقسطة إلى أمير المسلمين علي بن يوسف، لترغيبه في دخول المدينة، فأرسل قوة عسكرية بقيادة محمد ابن الحاج اللمتوني والي بلنسية، ووقعت معركة عنيفة بين المرابطين بمساعدة أهل سرقسطة والنصارى بمساعدة ابن هود، أسفرت عن مقتل العديد من الطرفين، وسيطرة المرابطين على المدينة[2].

فقد أشار الفقهاء على أمير المسلمين علي بن يوسف أخذ بلاد الثغر (سرقسطة) من يد عماد الدولة، فكاتبه في ذلك، فرغب إليه عماد الدولة أن يجري معه على ما كان عليه سلفه، ويتركه حاجزًا بينه وبين النصارى، فرفض أمير المسلمين علي بن يوسف، وأصر على دخول سرقسطة، فاستعان عماد الدولة بالنصارى الأراجويين، وخرج من سرقسطة، فملكها الملثمون، ثم حاصرها النصارى فأخذوها منهم ٥١٢هـ/ ١١١٨م، واعتصم عماد الدولة بمعقل

---

(١)ألفونسو الأول Alfonso El Batallador، لقب بالمحارب، وهو ملك أراجون، وهو الابن الثاني للملك سانشو راميريث، خلف ألفونسو شقيقه بيدرو الأول ملك أراجون في الحكم، وكانت أبرز نجاحاته العسكرية سيطرته على سرقسطة ٥١٢هـ/ ١١١٨م.(Antonio Preito R Vives : Los Reyes de Taifas، Madrid، 1926، P.49).

(٢)ابن الأبار، الحلة السيراء، ج٢، ص٢٤٨؛ ابن عذاري، البيان، ج٤، ص٥٣-٥٤؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق٢، ص١٧٥؛ عبد الوهاب خليل الدباغ، سرقسطة بوابة الأندلس الشمالية في عصر بني هود (٤٣٠ – ٥٠٣هـ/ ١٠٣٨ – ١١٠٩م)، الطبعة الأولى، صفحات للدراسات والنشر، القاهرة، ٢٠١٢م، ص١٠٥.

رُوطة،وأخذ النصارى الأراجونيون في تملك بلاد الثغر الأعلى شيئًا في شيء إلى أن ملكوا جميعه، وسقوط سرقسطة في يد ألفونسو المحارب ملك أراجون ٥١٢هـ/ ١١١٨م، ومات عماد الدولة بروطة(١).

كما أورد صاحب الحلل الموشية رواية أخرى حول سقوط بني هود، فمستشاري أمير المسلمين علي بن يوسف أشاروا عليه بخلع عماد الدولة ابن هود، والسيطرة على سرقسطة، لمسالمته للأعداء، فأخذ أمير المسلمين علي ابن يوسف برأيهم، وأمر بتوجيه قوة عسكرية بقيادة أبي بكر بن تيفلويت، ولما سمع ابن هود بقدومه، تحصن ببلاده، وكتب إلى أمير المسلمين علي ابن يوسف كتابًا بعثه إليه مراكش يقول فيه(٢) :

" وقد كان المستعين بالله، خاطب أباك أمير المسلمين يوسف ابن تاشفين، رحمة الله عليه، يسأله الدعة، ويرغب في الهدو، والاستعانة على العدو، فأقام وأقمنا معه مريحين، ومن تعب النفاق فرحين، فنعمنا بنور الهداية الساطع الإشراق، واغتنمنا الدعة والأمن في هذه الآفاق، ثم دهمنا من جهتكم داهم أبدى صفحته، ونسيم – بل عاصف – أهدى إلينا نفحته، ولا يمكننا تسليم ما

---

(١)رُوطة Rueda: حصن من أعمال سرقسطة على وادي شَلُون Jalón، ويمتاز بقوة حصانته (انظر: ابن سعيد، المغرب، ج٢، ص٤٣٨؛ الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص٩٥).

(٢)مجهول، الحلل الموشية، ص٩٨-٩٩؛ الدباغ، سرقسطة، ص١٠٥-١٠٦.

بأيدينا إليكم، فيتحكم فينا الإذلال، ويتمكن في محالنا الاستنقاص بالحقوق والاختلال، ولم تتقدم منا إليكم إساءة جهرت عليكم بالقول، ولا أشارت، ولا أخلت بجنابكم ولا عدت ولا أضرت، بل نفيض عليكم استمالتنا، ونستعطفكم في كل حال بمقالتنا، وقد كان لكم فيما فعله أبوكم أمير المسلمين أسوة حسنة، وأيام كانت بيننا وبينه مستحسنه فإن يكن الله أراد أمرًا أنفذه في خلقه، فلا راد لمشيئته، ولا حائد عن بليته، وسيعلم مبرم هذا الرأي عندكم سوء مغبته، وعظيم هيئته (مرتبته) في الفساد ورتبته، والله حسيب من بغى، وابتدأ بالتضريب بيننا وابتغى، وحسبنا الله وكفى، والسلام ".

وبعدما قرأ أمير المسلمين علي بن يوسف كتابه، غير رأيه وأرسل إلى أبي بكر بن تيفلويت، يأمره بالكف عن سرقسطة لكن رسالته، وصلت متأخرة، حيث دخل قائد الجيش إلى المدينة، وأنهى الحكم الهودي فيها[1]، وكان سعي مستشاري أمير المسلمين علي بن يوسف، وفتوى الفقهاء بخلع عماد الدولة ابن هود، لارتماء عماد الدولة بن هود في أحضان النصارى، ونجح المرابطون في دخول المدينة سنة ٥٠٣هـ/ ١١١٠م، واتخذوا منها قاعدة لغزو إمارة برشلونة[2].

---

(١)مجهول، الحلل الموشية، ص٩٩؛ الدباغ، سرقسطة، ص١٠٦.

(٢)عُبَادة بن عبد الرحمن رضا كَحيلة، المُغرب في تاريخ الأندلس والمغرب، الطبعة الثانية، جامعة القاهرة، ٢٠٠٠م، ص٢٥٢.

٧- غضب أمير المسلمين علي بن يوسف من القاضي أبي علي الصدفي السرقسطي

كان القاضي أبو علي الصدفي السرقسطي من المجاهدين في سبيل الله ضد النصارى، ويعرف بابن سُكرة، وبابن الدراج، ومن كبار علماء الأندلس، فطفق يدرس للناس في جامع سرقسطة، وبرع في الحديث وعلومه، وعلم القراءات والفقة، وقلد قضاء مرسية على كره من قبل أمير المسلمين علي ابن يوسف بن تاشفين سنة ٥٠٦هـ/ ١١١٢م[١].

كان إكراه أبي علي الصدفي على تولي قضاء مرسية[٢]، سببًا في استخفاءه عن الأنظار عدة شهور، لرفض أمير المسلمين علي بن يوسف على استعفاءه من القضاء، فتوارى أبو علي الصدفي عن الأنظار من آخر سنة ٥٠٧هـ/ ١١١٣م، وأوائل السنة التالية [٣]، مما أغضب أمير المسلمين علي بن يوسف عليه، ثم لم يلبث أمير المسلمين أن أعفاه من القضاء ورضي عنه.

---

(١)المقري، نفح الطيب، ج٢، ص٩٠-٩٢؛ محمد بن إبراهيم بن صالح الحسين أبا الخيل، جهود علماء الأندلس في الصراع مع النصارى خلال عصري المرابطين والموحدين (٤٨٣هـ/ ١٠٩٠م- ٦٤٠هـ/ ١٢٤٢م)،الطبعةالأولى،دار أصداء المجتمع،السعودية، ١٩٩٨م،ص٧٧-٨١.

(٢)ابن العماد، شذرات الذهب، ج٦، ص٧١.

(٣)المقري، نفح الطيب، ج٢، ص٩٢.

فكان القاضي أبو محمد عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن قاسم ابن منصور اللخمي يحسن له عند أمير المسلمين علي بن يوسف، ويبسط معاذره، إلى أن رضي عنه أمير المسلمين علي بن يوسف وأعفاه من قضاء مرسية[1]، فقد كان القاضي أبو محمد اللخمي من أشهر من تولوا منصب قاضي الجماعة في مراكش، ويسمى بقاضي القضاة بالمغرب[2]، وكان هذا القاضي أقرب الفقهاء إلى أمير المسلمين علي بن يوسف، وأدناهم منه مجلسًا، فقد كان عضوًا بمجلس الشورى، يستفتيه ولي الأمر في كل ما يعرض له من شئون[3]، لذا قبل أمير المسلمين شفاعته ووساطته للقاضي أبي علي الصدفي، واستشهد القاضي أبو علي الصدفي في موقعة قتندة ضد النصارى عام ٥١٤هـ/ ١١٢٠م، وهو من أبناء الستين[4].

٨- سعاية بالوزير أبي الوليد بن سقبال عند أمير المسلمين علي بن يوسف

قلد أمير المسلمين علي بن يوسف الوزير المشرف أبا الوليد بن سقبال النظر في مستخلص غرناطة، وعصب به أمره وناطه، اقتربت إلى الرفع عليه طائفة سحيقة، مشهورة بالبغي معروفة، حسدته فضله واعتداله، فأغرت به إدلاله، فكتب ذو الوزارتين أبو بكر بن القصيرة عن أمير المسلمين علي ابن

---

(١)ابن الأبار، المعجم، ص٢١٤.

(٢)حسين، الحضارة الإسلامية، ص٣٣٠.

(٣)ابن الأبار، المعجم، ص٢١٤؛ حسن محمود، قيام دولة المرابطين، ص٣٦٧.

(٤)الذهبي، دول الإسلام، ج٢، ص٢٠.

يوسف إليهم[1]: " أما بعد؛ نَزَع الله بكم عن سبيل الغي، وألهمكم ما نَسيتُموه مِنْ سديد الرأي، وحميد السعي، فَقَد بَلَغَنا ما قِبَلَكُمْ من الخَوض في الأباطيل، والتفرغ لما حَطّ في الاشتغال به لذوي النهي والتحصيل، والأخذ في جهة الوزير الأمين المُشرِفِ أبي الوليد بن سقبال خاصتنا – أَبقاه الله – من مُتَأكد الفضول. وقد كان نَولُكُمْلَوْأَنَّثَمَّ نَظَرًا وَبَصَرًا أَنْ يُرشِدَ كبيرِكُمْصغيرَكُمْ، ويَرحَمَ خيركُمْعَنْ قِبَلٍ إلينا شِريركم، نعتُكُم سواسيةً كأسنان الحمار، يتلهى شيوخُكُم بسفاهات فتيانكم، ويتهاونُ سَفَلَتُكم وغوغَاؤكم بأَخطار أعمالكم؛ حتى ضُربتْ بكم في هذه المُقدمات الأمثالُ، وكثر فيكم القيلُ والقال، وهانحننؤذنكم بالتثريب، وَنَكِمُكُم عن جماحكم بالتأنيب، فإنْ أغنى ذلك وأبرأكم من دَأبكم، وإلاَّ قابَلناكم بيومٍ من العقاب عصيب، فاتقوا الله وانزَعوا عن مواقِعِهِ ما لا يَرضى، وليُقبِلْكلٌّ واحدٍ على ما يعينه، دينًا ودُنيا، فهو أَلَيَقُ، وله أولى، واعَلموا أَنَّ لنا عَلَيكُمْ عيونًا تَرعى، وتَهتَبِلُ، وتراقبُ ولا تغفل، فالحِذارَ الحذارَ، وإياكم والتجاهُلَ والاغترارَ، ولا توفيق إلا بالله، والسلام على منٍ استقام ".

ومن خلال خطاب ذي الوزارتين أبي بكر بن القصيرة الموجه إلى الساعين على متخلص غرناطة الوزير أبي الوليد بن سقبال، نجد أن أمير المسلمين علي بن يوسف استخدم معهم التهديد الخفيف، وحذرهم من عاقبة

(١)ابن خاقان، قلائد العقيان، ج١، ص٣٠٨-٣٠٩.

الاستمرار في السعاية بالوزير أبي الوليد بن سقبال، لعلمه بسوء حالهم وبغيهم، وحسدهم له، وأعرض عن سعاياتهم.

وكان أمير المسلمين علي بن يوسف يعهد إلى شخص يسمى بالمستخلص، مهمة جباية الأموال عن الأملاك الخاصة به، وكان أمراء المرابطين يراقبون هؤلاء المستخلصين مراقبة دقيقة، ويشددون النكير عليهم، ويحاسبونهم إذا ما اعتزلوا الخدمة، ويعرضونهم لمصادرة الأموال والسجن إذا رأوا منهم تفريطًا أو تقصيرًا، وكانوا يحاسبون ورثة المستخلص إذا مات، ويثقلون عليهم، ويصادرون تركة المتوفي وأمواله إذا لزم الأمر(١).

وكان من بين من تولى تلك الوظيفة، أبو الوليد بن سقبال متولي مستخلص غرناطة، وقد كان إعراض أمير المسلمين عن سعاياتهم لعلمه بحسدهم، وفرض المرابطين رقابة دقيقة على المستخلصين.

٩- سعاية بأبي بكر بن سعيد عند أمير المسلمين علي بن يوسف

كان أبو بكر بن سعيد من سادة دولة الملثمين، وولوه بغرناطة الأعمال، وكانت له دار الرخام المشهورة بإزاء الجامع الأعظم بغرناطة (٢)، سعى به الشاعر

(١)الأمير عبد الله، التبيان، ص١٤٧؛ حمدي حسين، التاريخ السياسي والحضاري، ص٣١٨-٣١٩.

(٢)ابن الخطيب، الإحاطة، ج٣، ص٢١٥.

المخزومي الأعمى، فكتب إلى أمير المسلمين علي بن يوسف في شأنه بما كان سبب عزله ونكبته(١):

إِليك أَميرَ المؤمنين نصيحـــــــــــــةً ... يجوزُ بها البحرَ المُجعجعَ شاعرُ

بغرناطةَ وليتَ في الناسِ عاملًا ... ولكن بما تُحويه منه المــــــــــــــــآزرُ

وأَنتَ ما تُخفى عليك خَفِيـــــــــــةٌ ... فسل أَهلَها فالأَمرُ للناسِ ظاهـــــــــــــرُ

وما لإِلآةُ العرشِ تفنيه حَمــــــــدةَ ... وزينبُ والكأسُ الذي هو دايـــــــــــــرُ

وكان أبو بكر بن سعيد مفتونًا بالشاعرة نزهون القلاعي وبحمدة وزينب بنتي زياد المؤدب من أهل وادي آش(٢)، وكان الشاعر المخزومي الأعمى شديد الشر، معروفًا بالهجاء، مسلطًا على الأعراض، سريع الجواب، سابقًا في ميدان الهجاء، وقدم على غرناطة أيام ولاية أبي بكر ابن سعيد، وبدأه بالتأنيس والإحسان، وحدث هجاء بين المخزومي الأعمى ونزهون القليعي، وتدخل أبو بكر بن سعيد وحلف ألا يزيد أحدهما على الآخر في هجوه كلمة(٣)، وكانت نزهون شاعرة ماجنة كثيرة النوادر(٤)، وما لبث المخزومي الأعمى أن سعى بأبي بكر بن سعيد عند أمير المسلمين، بتلك الأبيات، مستغلًا فرصة فتون

---

(١)ابن الخطيب، الإحاطة، ج٣، ص٢١٦.

(٢)ابن الخطيب، الإحاطة، ج٣، ص٢١٦.

(٣)المقري، نفح الطيب، ج١، ص١٩٠-١٩٢.

(٤)ابن سعيد، المغرب، ج٢، ص١٢١.

أبى بكر بن سعيد بزينب بنت زياد، فنكب وعزل أمير المسلمين علي بن يوسف والي غرناطة أبا بكر بن سعيد.

١٠- تغير أمير المسلمين علي بن يوسف على الطبيب أبي العلاء بن زهر

كان الطبيب أبو العلاء بن زهر من أشهر الأسر الأندلسية، وكانوا يتمتعون بالوظائف العالية في خدمة الدولة، وقد استطاعوا تكوين ثروات ضخمة، علاوة على الممتلكات من العقارات والأراضي والضياع[١].

كان أبو العلاء بن زهر بن أبي مروان عبد الملك مشهورًا بالمهارة والمعرفة في صناعة الطب، وكانت له نوادر في مداواته المرضى، ومعرفته لأحوالهم[٢]، وكان القاضي أبو الوليد ابن رشد يثني عليه، ويفضله في صناعة الطب على غيره من أهل عصره، ويرفع به، ويشهد بمهارته،وأدركت أبا العلاء

---

(١)ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ج٢، ص٦٤؛ صلاح خالص، إشبيلية في القرن الخامس الهجري، بيروت، ١٩٨١ م، ص٤٢ -٤٦ ؛

Levi–Provencal Histoire de L'Espange musulmane t III Paris 1967 pp. 188–192.

(٢)ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ج٢، ص٦٤.

ابن زهر سعايات ومطالبات عند أمير المسلمين علي بن يوسف، كانت سبب اعتقاله ونكبته بسجن مراكش مدة[1].

وتشير المصادر إلى أن السعايات والمطالبات التي بذلت في حق ابن زهر، كانت حسدًا على مكانته، فيقول ابن الأبار[2]: " لم يكن لأحد من أهل الأندلس في وقته، وكانت له رياسة بلده، ومشاركة ولاته في التدبير، وكان مع إمامته في الطب مقدمًا في الأدب، معروفًا بذلك ".

طالت أبا العلاء بن زهر العديد من السعايات، لمكانته في دولة المرابطين من الناحيتين الفكرية والسياسية في الأندلس، فمن الساعين والحاقدين عليه ابن خاقان، فكتب رسالة إلى أمير المسلمين علي بن يوسف يشكوه فيها، ويتهمه بالمكر وإضرار الناس وإيذائهم، وإنه لا يخاف الله. فقال[3]: " وهذا ابن زهر الذي أجرَرتَه رَسَنا، وأوضحتَ له إلى الاستطالة سنَنَا، لم يتعد من الأضرار إلا حيث انتهيته، ولا تمادى على غيه إلا حين لم تنهه أو نهيتَه، ولما علم أنك لا تنكر عليه نكرًا، ولا تغَير له متى ما مكر في عباد الله مكرًا، جرى في ميدان الأذية مِلءَ عِنَانه، وسرى إلى ما شاء بعدوانه، ولم يراقب الذي خلقه وأمدّ في الخطوة

(١)عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، السفر الخامس، ص١٨-١٩.

(٢)ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، ج١، ص٢٦٨.

(٣)ابن خاقان، مطمح الأنفس، ص٤٥-٤٦؛ المقري، نفح الطيب، ج٢، ص٢٤٥.

عندك طلقه.... "، ثم يقول: " فكيف أرسلت زمامه حتى جرى من الباطل في كل طريق وأخفَق به كل فريق، وقد علمت أن خالقك الغيور، يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور " وقد تجاوز الفتح في رسالته هذه الحدود في التحدي والتهديد، فقال مخاطبًا أمير المسلمين: فبمَ تحتج معي لديه، إذا وقفتُ أنا وأنتَ بين يديه أَتُرى ابن زهر ينجيك في ذلك المقام، ويحميك من الانتقام؟ " وقد أوضحتُ لك المحجة لتقوم عليك الحُجة.

كما سعى القاضي الزهري بالطبيب أبي العلاء بن زهر عند أمير المسلمين علي بن يوسف، بعدما فسد ما بينهما من علاقة صداقة وصهر في عام ٥١١هـ/ ١١١٧م – ١١١٨م، فقد وقع حادث كبير بين الطبيب أبي العلاء ابن زهر، وبين صديقه وصهره القاضي أبي الحسن علي بن الزهريقاضي إشبيلية، المعروف بنزاهته، ونصرة المظلوم، وإرهاب الظالم[١].

كان الخلاف بين القاضي الزهري، وابن زهر سببه، محاولة ابن زهر استرداد أملاك جده الفقيه أبي بكر محمد بن مروان[٢] التي استصفاها ابن عباد

(١)ابن الزبير، صلة الصلة، ص٢٧٢ ؛دندش، أضواء جديدة، ص١٢٨.

(٢)هو أبوبكر محمد بن مروان بن زهر، شيخ زمانه وعالم عصره، وهو أول من رفع من شأن هذه العائلة؛ فقد كان عالمًا فقيهًا جليلًا في بلاد الأندلس، توفي ٤٢٢هـ/ ١٠٣١م. (ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ج٢، ص٦٣-٦٤).

أو التي أنزلها الفقيه أو حبسها لبعض أهل إشبيلية أو نواحيها عند اضطراره لمغادرة إشبيلية، وعرضت القضية على قاضي إشبيلية ابن منظور، الذي لم يستطع أن يدلي فيها برأي قاطع، نظرًا لنفوذ الطبيب أبي العلاء ومنزلته عند أمير المسلمين علي بن يوسف، فعرض الأمر على قضاة قرطبة الذين قضوا برفض دعوى ابن زهر، وعدم أحقيته في استعادة هذه الأملاك التي مضى عليها زمن طويل، وهو لا يملك ما يؤكد هذه الملكية، وأراد أبو العلاء أن يضغط على الزهري للحكم في هذه القضايا لصالحه مستغلًا ما بينهما من علاقة صداقة وصهر، فرفض الزهري لما اتصف به من نزاهة(١)، فأطلق ابن زهر لسانه على الزهري، ووبخه وأهانه، فقد وصف ابن زهر ببذاءة لسانه(٢)، فسعى به القاضي الزهري عند أمير المسلمين علي بن يوسف.

وسعى بابن زهر أيضًا، الوزير مالك بن وهيب، جليس ومستشار أمير المسلمين علي بن يوسف، بعد مقالته وصلته في حقه وحق صديقه الفيلسوف ابن باجة يقول فيها(٣):

لا بد للزنديق أن يُصلَبا شاء الذي يعضُدُه أو أبى

(١)ابن زهر، التيسير في المداواة والتدبير، تحقيق د. ميشيل خوري، المنظمة العربية للتربية والعلوم، دمشق، ١٩٨٣م، ص١٩٠؛ دندش، أضواء جديدة، ص١٢٨-١٢٩.

(٢)ابن أبي أصيبعة، عيون الأنبياء، ج٢، ص٦٥.

(٣)المقري، نفح الطيب، ج٣، ص٤٧٩؛ عصمت دندش، أضواء جديدة، ص١٢٩

وكان الذي يعضد ويساند الفيلسوف ابن باجة، مالك بن وهيب[1].

وهاجم أبو العلاء الوزير مالك بن وهيب بأشعار منها[2]:

**دولةٌ لابن تاشفين علـــــــي غير		طهرت بالكمال من كلِّ عيبِ**

**أن الشيطانَ دسَّ إليها		من خباياه مالك بن وهيـــــبِ**

كل تلك السعايات والمطالبات، كانت كافية لتغير أمير المسلمين علي ابن يوسف على ابن زهر، ويشد غضبه عليه، وتوفي أبو العلاء بن زهر منكوبًا بقرطبة، واحتمل إلى إشبيلية، فدفن بها عام ٥٢٥هـ/ ١١٣١م[3].

وأبو مروان بن أبي العلاء يذكر في كتابه التيسير أن غضب أمير المسلمين علي بن يوسف بسبب مقالة لأبيه؛ يقول[4]: " نالني تنكيد شديد بامتحان أمير المسلمين علي بن يوسف لنا لقولة حقدها على الشيخ أبي – رحمه الله – فأمر فينا بكل وجه من وجوه الانتقام، ونالني نكد عظيم على غير اعتياد

---

(١)المقري، المصدر السابق، ج٣، ص٤٧٩؛ عصمت دندش، أضواء جديدة، ص١٢٩.

(٢)المقري، المصدر السابق، ج٣، ص٤٧٩؛ عصمت دندش، أضواء جديدة، ص١٢٩.

(٣)ابن الأبار، التكملة، ج١، ص٢٦٩.

(٤)ابن زهر، التيسير، ص٢٣٣.

"؛ وربما تكون تلك المقالة الشعر الذي قاله أبو العلاء في حق الفيلسوف ابن باجة، وصديقه الوزير مالك بن وهيب[1].

١١- عزل القاضي أبي محمد عبد الله بن الوحيدي

تولى أبو محمد عبد الله بن أحمد بن عمر القيسي المعروف بالوحيدي، قضاء بلده مالقة مدة في عهد أمير المسلمين علي بن يوسف[2]، واستمال قلوب العامة[3]، وكان من أعلام زمانه، وله نباهة، وجزالة، ووجاهة[4]، تألب بنو حسون على القاضي الوحيدي، فخرج العالم الأصولي أبو عبد الله بن الفخار في حقه إلى حضرة الإمارة مراكش، وقام في مجلس أمير المسلمين علي بن يوسف، وقال: إنه لمقام كريم، نبدأ فيه بحمد الله على الدنُوّ منه، ونصلي على خيرة أنبيائه محمد الهادي إلى الصراط المستقيم، وعلى آله وصحابته نجوم الليل البَهِيم، أما بعد: فإنا نحمد الله الذي اصطفاك للمسلمين أميرًا، وجعلك للدين الحنيفي نصيرًا وظهيرًا، ونفزع إليك مما دَهَمنا في حِماك، ونبثُّ إليك ما لحقنا من الضيم، ونحن تحت عُلاك، ويأبى الله أن يُدهم من احتمى بأمير المسلمين، ويصاب بضيم من ادرَعَ بحصنه الحصين، شكوى قمت بها بين يديك في حق أمرك الذي

---

(١) عصمت دندش، أضواء جديدة، ص١٢٩.

(٢)ابن بشكوال، الصلة، ج١، ص٢٩٦.

(٣)ابن سعيد، المغرب، ج١، ص٤٣١.

(٤)النباهي، تاريخ قضاة الأندلس، ص١٠٤.

عضده مؤيده، لتسمع منها ما تختبره برأيك وتنقده، وإن قاضيك ابن الوحيدي الذي قدمته في مالقة للأحكام، ورضيت بعَد له فيمن بها من الخاصة والعوام، لم يزل يدلُّ على حسن اختيارك بحسن سيرته، ويُرضي الله تعالى ويرضي الناس بظاهره وسريرته، ما علمنا عليه من سوء، ولا دَرَينا له موقف خِزي، ولم يزل جاريًا على ما يرضي الله تعالى، ويرضيك ويرضينا إلى أن تعرضت بنو حسون إلى الطعن في أحكامه، والهد من أعلامه، ولم يعلموا أن اهتضام المقدم، راجعٌ على المقدم، بل جَمَحوا في لجاجهم فعموا وصموا، وفعلوا وأمضوا ما به هَموا، ثم قال[1]:

وإلى السحب يرفع الكف من قد جف عنه مسيل عين ونهر

فملأ سمع أمير المسلمين علي بن يوسف ببلاغته حتى نصره ونصر بنى حسون، وأيده على القاضي ابن الوحيدي[2] فعزل القاضي أبا محمد الوحيدي، ونجح أبو عبد الله بن الفخار في مهمته لحسن بلاغته، ويبدو أن السعاية كانت حسدًا للقاضي ابن الوحيدي.

١٢- تغير أمير قرطبة على أبي عبد الله الذهبي

(١)المقري، نفح الطيب، ج٣، ص٣٩٢.

(٢)المقري، نفح الطيب، ج٣، ص٣٩٢.

كان أبو عبد الله محمد بن نجاح الذهبي القرطبي، فقيهًا متقدمًا في علم الأحكام، وحفظ المسائل ومحدث، لقى أبو عبد الله الذهبي معاملة سيئة من والي قرطبة نتيجة سعاية أهلها به، لسوء عملهم، وقلة اهتمامهم، وعلمهم بالدين، وتوفي أبو عبد الله الذهبي في عام ٥٣٢هـ/ ١١٣٨م(١)، ولم تشر المصادر المتاحة إلى اسم أمير قرطبة.

١٣- تغير الأمير مَزدلَي على الوزير الكاتب أبي القاسم بن السقاط

يقول ابن خاقان عن الوزير الكاتب أبو القاسم بن السقاط(٢): "مُستعذب المقاطع، كأنما صور من نور ساطع، أبهى من مُحيا الظبي الخجل، وأحلى من الأمن عند الخائف الوجل، يهب عطرا نشره، ولا يغب حينًا بِشرُهُ، تجتليه الدهر بسامًا، وتنتضيه حُسامًا، إن واخاك أو وافاك، إبرم عقد إخائه، وله أدب، لو نشر لكان بردًا محبرًا " وكان الأمير مزدلي(٣) من كبار قادة المرابطين،

---

(١)الضبي، بغية الملتمس، ص١٣٣.

(٢)ابن خاقان، قلائد العقيان، ج٢، ص٥٠٥.

(٣)هو الأمير أبو محمد مزدلي بن سلنكان أو نيلكانترجوت ابن عم يوسف بن تاشفين وأحد كبار قواده. وقد ظهر اسم الأمير مزدلي أول الأمر بالمغرب عندما استولى على إقليم ملوية في عام ٤٦٥هـ/ ١٠٧٣م، ثم تلمسان في عام ٤٦٨هـ/ ١٠٧٥م، أما في الأندلس فهو الذي استرجع مدينة بلنسية في عام ٤٩٥هـ/ ١١٠٢م من أيدي جنود السيد القنبيطور بعد وفاته. وقد تولى مزدلي العديد من المناصب القيادية والولاية في الأندلس مثل ولايات غرناطة وقرطبة والمرية سنة ٥٠٥هـ/ ١١١١- ١١١٢م، كذلك قاد حملات عديدة ضد المسيحيين الأسبان مثل حملته على برشلونة سنة ٤٩٥هـ/ ١١٠٢م وحملته على طليطلة سنة ٥٠٧هـ/ ١١١٤م، غير أن الأمير مزدلي لم

تغير عليه، وأحس الوزير الكاتب أبو القاسم في جانبه بمطالبة كدرت صفوة، وقصرت خطوة، وأحنقه عليه، وصورته جانيًا لديه، أيام خُطة الإشراف، واستشعر الخوف على نفسه فكتب إليه يستعطفه ويستلطفه[1] :

زَعَمَ العَدُوُّبأَنَّ مَبنَى إِثرَتـــــــي عِندَ الأَميرِ – بسَعيِهِ – يَتَهَــدمُ

كَذَبَ العَدُوُّ وخَابَ جاهِدُ سَعيِهِ فالطبعُ أَشرَفُ والخَلَائِقُ أَعظَمُ

أَنىَ يُهدمُ بَيتُ جَاهٍ شـــــــادَهُ مِنهُ التَطولُ والفِعالُ الأَكـــــــرَمُ

أَنَا دَوحَةٌ بِنَدَى يَدَيهِ مُجُـــــودَةٌ شُكرِي عَلَيها طائرٌ يَتَرَنـــــــمُ

إِنْأَخطَأَتْ لِلبِشرِ مِنهُ غَمَامَـــــةٌ فَعَقيبُهَا أخرَى بِنُعمَى تُنجَـــــمُ

طلب الوزير الكاتب أبو القاسم من القائد المرابطي مزدلي أن يعفو عنه، ويصفح عنه، ويعرض عن الساعين به، وألا يشمت به الأعداء، وإذا صح عنده خطأه يعاقبه سرًا، لا في العلانية، ومما قاله أبو القاسم للأمير مزدلي في طلب الشفاعة له[2]: " ولستُ أُجملُ مَطلَبي لَدَيكَ أَحَداً، وَلَا أَمُدُّ بِضَرَاعَتِي سِوَى يدي نَحوَكَ يَدَا، ولا أَتَشَفعُ بِبَشَرٍ إليك، وَلَا أَتوسلُ بمخلوقٍ بين الكريمتين

يلبث أن استشهد في السنة التالية في معركة أخرى مع القشتاليين بالقرب من حصن مستنا Mastana بنواحي طليطلة سنة ٥٠٨هـ/ ١١١٥م، وقد خلفه ولداه عبد الله ومحمد على حكم غرناطة وقرطبة. (ابن القطان، نظم الجمان، ص١٩).

(١)ابن خاقان، قلائد العقيان، ج٢، ص٥١٥-٥١٦.

(٢)ابن خاقان، قلائد العقيان، ج٢، ص٥١٦.

يَدَيك "، غير أن المصادر، لم تتحدث عن قبول أو رفض الأمير مزدلي شفاعته، والصفح عنه.

١٤- تغير أمير المسلمين علي بن يوسف على الأمير مزدلي

سعي بالأمير مزدلي عند أمير المسلمين علي بن يوسف في عام ٥٠٦هـ/ ١١١٢م – ١١١٣م، وتشير المصادر إلى تعرض الأمير مزدلي إلى سعاية، غيرت عليه أمير المسلمين علي بن يوسف، وبذلت الوساطات والشفاعات عند أمير المسلمين للصفح عن الأمير مزدلي، حتى انكشف الحق وعفى عنه أمير المسلمين[١].

كان عفو أمير المسلمين عن الأمير مزدلي لوساطة أبي علي دون أن تحدد المصادر من هذا الشخص، ويبدو أن قبول أمير المسلمين العفو عن الأمير مزدلي لمكانة أبي علي، ودور الأمير مزدلي في دولة المرابطين، كقائد ووالي، فقد استرد من أيدي النصارى بلنسية ٤٩٥هـ/ ١١٠٢م، وتولى تلمسان ٤٩٧هـ/ ١١٠٣م، وفي سنة ٥٠٥هـ/ ١١١٢م عين على قرطبة وغرناطة والمرية[٢]، استشهد الأمير أبو

(١)ابن عذاري، البيان، ج٤، ص٥٦.

(٢)ابن عذاري، البيان، ج٤، ص٦٠.

عبد الله مزدلي ٥٠٨هـ/ ١١١٥م أثناء قتال عنيف وقع مع النصارى للدفاع عن سرقسطة[١].

١٥- تغير أمير المسلمين علي بن يوسف على والي غرناطة أبي عمر يناله اللمتوني

كانت سياسة المرابطين في إدارة الأقاليم تدعو إلى حسن معاملة الوالي لرعيته، وطاعة الرعية له، كما كانت تدعو إلى أن يعاقب الوالي أو يعزل إذا قصر أو أهمل أو أساء السيرة في الرعية[٢]، وظهر ذلك عندما اشتكى أهالي غرناطة سوء معاملة والي غرناطة لهم، أبي عمر يناله اللمتوني، الذي تولى غرناطة في عام ٥٢٠هـ/ ١١٢٦م، ثم عزله أمير المسلمين علي بن يوسف بعد سعايات واستغاثة أهلها به، فعزله في جمادي الأولى ٥٢٢هـ/ ١١٢٨م، بعدما ثبت له ظلمه وجوره عليهم بما فيهم النصارى المعاهدين[٣]، فأجبر على العودة إلى مراكش، فحبس

---

(١)ابن الخطيب، الإحاطة، ج٣، ص٢٧٥؛ حسين مؤنس، الثغر الأعلى الأندلسي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٩٩٢م، ص٢٦.

(٢)حسين، التاريخ السياسي والحضاري، ص٢٦٥.

(٣)ابن عذاري، البيان، ج٤، ص٧٥-٧٧.

نتيجة لظلمه لأهالي غرناطة خاصة النصارى، وبذلك لم يستمر أبو عمر في منصبه طويلًا[1].

١٦- تغير عماد الدولة بن هود صاحب سرقسطة على القائد أبي عمرو بن ياسر

وقد وقعت شفاعة في عصر دولة المرابطين بالأندلس في أماكن لم تكن في سلطانهم، حيث جرت على القائد أبي عمرو بن ياسر مولى عماد الدولة ابن هود صاحب سرقسطة نكبة منه، وأطال عماد الدولة سجنه، فأكثر مخاطبته بالشعر فسرحه [2]، ولم توضح لنا المصادر سبب النكبة التي تعرض لها القائد أبو عمرو بن ياسر، غير أن هناك إشارات توضح أن القائد أبا عمرو تعرض لسعايات ووشايات أدت إلى نكبته وسجنه، فقد سعى به الحكيم ابن باجة، والدليل على ذلك ما قاله يخاطب عماد الدولة في شأن الحكيم ابن باجة وقد حصل في سجنه[3]:

أَعمادَ دولة هاشمٍ قد أَسعد الـ ... مقدارُ في أَسر العدو الكافـــــرِ

لا تنس منهُ كلَّ ما كابَـــــددتَهُ ... من سوءِ أَقوالٍ وسوء سرائـــــرِ

لولاهُ ما أَضحت قواعـــدُ ثَغرنا ... كالطلِّ يَسقُطُ من جناح الطائِر

---

(١)ابن عذاري، البيان، ج٤، ص٧٥-٧٧؛ عبد الحكيم الذنون، آفاق غرناطة، الطبعة الأولى، دار المعرفة، القاهرة، ١٩٨٨م، ص٣٨.

(٢)ابن سعيد، المغرب، ج٢، ص٤٤٣.

(٣)ابن سعيد، المغرب، ج٢، ص٤٤٣.

كان سعي الحكيم ابن باجة في سرقسطة سبب نكبة أبي عمرو، غير أن عماد الدولة صاحب سرقسطة عفا وصفح عنه بعدما مدحه بأبيات من الشعر، ومخاطبته بالشعر، فأطلق سراح القائد أبي عمرو بعدما طال سجنه، وعلى ما يبدو أن سعاية الحكيم ابن باجة بالقائد أبي عمرو لحسد ابن باجة له على مكانته ومركزه في سرقسطة.

١٧- تغير ناصر الدولة حاكم ميورقة على أبي بكر بن اللبانة الداني

كما وقعت شفاعة في عصر دولة المرابطين في أماكن لم تكن على سلطانهم، فقد كان أبو بكر بن اللبانة الداني، أديب من جلة الأدباء وعظمائهم، وفحول الشعراء، له تصانيف عديدة في الآداب[1]، كان أبي بكر بن اللبانة الداني (نسبة إلى مدينة دانية) سعي به عند ناصر الدولة مبشر بن سليمان حاكم ميورقة، فهجره، وغضب عليه، وأقام ابن اللبانة الداني في ميورقة كالحائر المضطرب، وكانت عادة ناصر الدولة في غير طاريء، ولا ضيفٍ السيف أو القتل، فلم يفتح

(١)الذهبي، العبر، ج٢، ص٣٩١.

مع أبي بكر في أحدهما باب، ولا أغبه جزع، ولا ارتياب، فكتب إليه يستصرخه[1]:

عَسَى رَأفَةٌ في سَراحٍ كــريمٍ أَبُلُّ بِبَرْدِ نَدَاهُ الغَليــلَا

وَعَلي أُراحُ مِنَ الطَّالبيــنَ فَأَسكُنُ لِلأَمنِ ظِلا ظَلِيــلَا

وَمَنْ بَلَّهُ الغَيثُ في بَطنِ وادٍ وَبَاتَ فَلَا يَأمَنَ السيــولَا

لَقَدْ أَوقَدوا لِيَ نِيرانَهُــمْ فَصَيرَني اللهُ فيها الخَلَيــلَا

أَفِرُّ بنفسي –وإنْ أصبَحَــتْ مَيورقَةُ مِصرًا وَجَدو لك نيــلَا

وكان بين أبي بكر بن اللبانة ووزير ناصر الدولة، أبي القاسم، وفاق وذمام ائتلاف، غير أنه قعد عن مساعدة أبي بكر بن اللبانة، ولم يساعده في تغير ناصر الدولة عليه، وتنكر له، فلاذ بالفرار، وخرج من ميورقة، واحتمى ببني حماد[2]، وجعل يستنزله، ويستعطفه ويستلطفه، ولكن ناصر الدولة لم يرد عليه، ولم يعفو عنه، ولم يلتفت إليه[1].

---

(١)ابن خاقان، قلائد العقيان، ج٢، ص٧٨٣-٧٨٤.

(٢)تنسب إلى حماد بن بلقين (٣٩٧- ٤١٩هـ/ ١٠٠٩ - ١٠٢٨م) –مؤسس الدولة الحمادية–الذي يرجع نسبهإلى زيري بن مناد،وتولى حكم آشير بالجزائر من قبل بنو أعمامه الزيريين حكام إفريقية، بنى عاصمته القلعة ٣٩٧هـ/ ١٠٠٩م، ثم أعلن الدعوة العباسية عام ٤٠٥هـ/ ١٠١٥م، واستقل بالحكم، إلا أنه لم يتم الاعتراف

١٨- شفاعات لكبار رجال الدولة من نقمة الحكام لم تذكرها المصادر بشكل مباشر

لم تشر المصادر بشكل مباشر إلى صور من الشفاعات لكبار رجال الدولة من نقمة الحكام وسخطهم، وقد استدللنا على بعضها من تحليل النصوص الواردة فيها واستنطاقها. فهي تشير إلى ذنوب بعض أصحاب المراتب العليا وتجاوزاتهم، والعقوبات الصادرة بحقهم، ثم الصفح عنهم، دون أن تذكر أسباب ذلك، فقد أشار ابن الأبار إلى تغير أمير المسلمين علي بن يوسف على القاضي أبي بكر غالب بن عطية قاضي غرناطة، فقد تولى أبو بكر غالب بن عطية القضاء في عهد أمير المسلمين يوسف بن تاشفين بالجزيرة الخضراء، ثم نقله إلى قضاء غرناطة ٤٩٠هـ/ ١٠٩٧م، واستمر في القضاء إلى شهر ربيع الآخر عام ٥٠٨هـ/ سبتمبر ١١١٤م، ثم صرف عن القضاء لمشاجرة بينه وبين فقهاء غرناطة، بالإضافة إلى حدته ومنافسته الحكام، ويدل ذلك على بذل العديد من السعايات التي أدت إلى صرفه عن القضاء، فغُرب عن وطنه، وتوفي بتلمسان ٥٢٤هـ/ ١١٣٠م[٢].

بدولته إلا بعد حروب كثيرة خاضها ابنه القايد (٤١٩- ٤٤٥هـ/ ١٠٢٨- ١٠٥٤م) مع الزيريين. (ابن عذاري، البيان، ج١، ص٣٤٠-٣٤٥) .

(١)ابن خاقان، قلائد العقيان، ج٢، ص ٧٨٥-٧٨٦.

(٢)ابن الأبار، المعجم، ص٢٧٠-٢٧١.

كما تغير الأمير أبو الطاهر تميم بن يوسف بن تاشفين على الشاعر ابن خفاجة، وسعى ابن خفاجة في طلب العفو عنه، واستعان الشاعر ابن خفاجة إلى بعض الأميرات المرابطيات لقوة نفوذهن، فلجأ إلى الأميرة مريم بنت إبراهيم، فمدحها وتقرب إليها، ليلتمس الشفاعة له عند الأمير أبي الطاهر تميم[1] ومما قاله ابن خفاجة في مدح الأميرة مريم بنت إبراهيم مستشفعًا بها[2]:

يَممتُ من عَلياكَ خيرَ مُيَمـــمِ وحلَلتُ منَ مَغناكَ دارَ مُخَيَـــم

فخلَعتُ عن عُنقِي حِمِيلةَ صارمٍ وأَرَحتُ نفسي مِن حُمالة مَغرَمِ

ونزَلت من خِصبٍ بأمرَعِ مَنــزِلِ وحَللتُ من أَمنٍ برأس يَلَملَـــم

لم توضح المصادر أسباب تغير الأمير أبي الطاهر تميم على ابن خفاجة، ولم تشر المصادر إلى قبول أو رفض الأمير لشفاعة ابن خفاجة عنده، غير أنها ذكرت لجؤ ابن خفاجة إلى الأميرة مريم لتتوسط له عند الأمير ليصفح عنه.

(١)حسن محمود، قيام دولة المرابطين، ص٤١٦.

(٢)ابن خفاجة، ديوان ابن خفاجة، ص٢١٣-٢١٤.

وتشير المصادر إلى تعرض دراج الصقلبي لسعاية، ووساطات، أدت إلى إخراجة عن بلدة قرطبة، ووفاته بالمشرق[1] دون أن توضح تفاصيل تلك السعاية.

وممن غرب عن الأندلس، واعتقل وسجن بمراكش أيام أمير المسلمين علي بن يوسف، الفقيه المحدث أبو عبد الله الشَبوقي محمد بن خلف بن أحمد ابن علي بن حسين اللخمي، وكان ظاهري المذهب، وله أخبار مجموعة في التصوف كتبه بسجن مراكش، وفرغ منه آخر يوم من رمضان ٥٢٩هـ/ يوليو ١١٣٥م[2]، لم تشر المصادر إلى أسباب اعتقال أبي عبد الله الشَبوقي، غير أن تلك الفترة شهدت السعي بفقهاء الصوفية عند السلاطين، فشيوخ المتصوفة ومريديهم كانوا ملتزمين في أقوالهم بالكتاب والسنة، وتصوفهم قائم على إيمان وعلم وتقوى وورع، لذلك لم يجد الفقهاء سوى العمل على تخويف السلاطين منهم، بسبب التفاف الناس حولهم، وأنهم مصدر خطر على الدولة حسب إدعاءاتهم على هؤلاء المتصوفة[3]، فربما كان ذلك سبب في تغريب أبي عبد الله بن الشبوقي عن بلاد الأندلس وحبسه في مراكش.

---

(١)ابن بشكوال، الصلة، ج١، ص١٨٣.

(٢)عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، السفر السادس، ص١٨١-١٨٢.

(٣)حسين سيد عبد الله مراد، المتصوفة في المغرب الأقصى في عصر المرابطين والموحدين (٤٥٤هـ-٦٦٨ه/ ١٠٦٢م-١٢٦٩م)، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، القاهرة، ١٩٩٤م، ص٥٠.

الفصل الثالث
شفاعات للمعاهدين والثوار
في عهد أمير المسلمين علي بن يوسف

أولًا: سعايات للنصارى المعاهدين بالأندلس

ثانيًا: شفاعات عن الثوار

١- ثورة أبي بكر بن علي بن يوسف في غرناطة٥٠٠هـ/ ١١٠٦م

٢- ثورة ابن الحاج في قرطبة عام ٥٠٠هـ/ ١١٠٦م

٣- تمرد أهالي غرناطة ٥٠٧هـ/ ١١١٤م

٤- تمرد أهالي إشبيلية ٥١٢هـ/ ١١١٨م

٥- ثورة أهل قرطبة ٥١٤هـ/ ١١٢٠م

٦- ثورة أهالي الجزائر الشرقية (ميورقة) ٥٢٠هـ/ ١١٢٦م

الفصل الثالث

شفاعات للمعاهدين والثوار في عهد أمير المسلمين علي بن يوسف

شهدت فترة حكم المرابطين، شفاعات وسعايات للنصارى المعاهدين بالأندلس، والعفو عن الثوار، وتقبل شفاعاتهم، قامت العديد من الثورات في تلك الفترة، انتهت بعفو أمير المسلمين عن الثوار وقادتهم.

أولًا: سعايات للنصارى المعاهدين بالأندلس

توجه الفقيه أبو الوليد بن رشد إلى المغرب ٥٢٠هـ/ ١١٢٦م، ليبين لأمير المسلمين علي بن يوسف، أوضاع الأندلس، وإطلاعه على مخالفة النصارى المعاهدين وخيانتهم للمسلمين بتحريض ألفونسو المحارب ملك أراجون على المسلمين، خاصة نصارى غرناطة الذين كانوا يدلونه على مسالك الطرق وعورات البلاد وخيراتها، فكان أول تحركه من سرقسطة إلى بلنسية ثم إلى مرسية، ثم سار إلى غيرها من مدن المسلمين وقراها دون أن يتصدى له أحد، حتى وصل نهاية المطاف إلى قرية بلش من إقليم مالقة، ثم عاد إلى بلاده[1].

---

(١)مجهول، الحلل الموشية، ص٩٧-٩٨؛ المقري، أزهار الرياض، ج٣، ص٦١؛ خالد بن عبد الله الشريف، مدينة مالقة منذ عصر الطوائف حتى سقوطها (٤٢٢هـ -٨٨٢هـ)، الطبعة الأولى، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ٢٠٠٩م، ص٨٤-٨٥؛

Simonet Historia de Los Mozarabes de Espana Madrid 1897 p. 790 &AguadoBleye Manual de historia de Espana t I Madrid 1947 p. 589

فالنصارى المعاهدون الذين كانوا يعيشون في ذمة المسلمين يتمتعون برعاية الحكم الإسلامي، وتسامحه لم يكونوا يشعرون نحو الدولة الإسلامية بأي ولاء بل كانوا على العكس من ذلك يمثلون خطرًا داخليًا حقيقيًا على الأندلس[1]، فأفتى ابن رشد بتغريبهم، وإجلائهم عن أوطانهم، وهو أخف ما يؤخذ به من عقابهم، ونفذ بذلك عهده، وأزعج منهم إلى مراكش[2]، وبذلك رحل معظمهم إلى المغرب، وأسلم بعض هؤلاء، وعاد بعضهم الآخر إلى الأندلس بعد قيام دولة الموحدين[3]، فكانت لسعاية الفقيه ابن رشد على النصارى المعاهدين، لخيانتهم ونقضهم العهد، تغريبهم وإخراجهم عن الأندلس في عهد أمير المسلمين علي بن يوسف.

---

(١)محمد أحمد أبو الفضل، شرق الأندلس في العصر الإسلامي، بدون رقم طبع، دار المعرفة، الإسكندرية، ١٩٩٦م، ص٧٠.

(٢)ابن الخطيب، الإحاطة، ج١، ١١٤؛ عبد الرحمن علي حجي، التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، الطبعة الثانية، دار القلم، بيروت، ١٩٨١م، ص٤٣٦.

(٣)كحيلة، المغرب، ص٢٥٤.

ثانيًا: شفاعات عن الثوار

تعرضت دولة المرابطين بالأندلس لقيام العديد من الثورات خاصة منذ أن تولى أمير المسلمين علي بن يوسف الحكم ٥٠٠هـ/ ١١٠٦م، واستخدم أمير المسلمين علي بن يوسف التسامح الشديد معهم، وفي بعض الأحيان التهديد الخفيف، وفي بعضها لجأ إلى القتال والحصار ثم العفو عنهم، من ذلك:

١- ثورة أبي بكر بن علي بن يوسف في غرناطة ٥٠٠هـ/ ١١٠٦م

ثار أبو بكر بن علي بن يوسف في غرناطة، فانقلب على قومه لأمر رابه، فأعرض عنه قومه، وحاربوه، حتى قبضوا عليه، ووجهوه إلى أمير المسلمين علي ابن يوسف، فآثر الإبقاء عليه، وعفا عنه، واستعمله بسرقسطة(١).

ولم تفصل المصادر في أسباب ثورة أبي بكر في غرناطة، غير أنها تشير فقط إلى أن أبا بكر بن علي بن يوسف ثار لأمر رابه، ولكنه لم يجد له مؤيدين من قومه، بل كانوا له بالمرصاد، وأحبطوا محاولته، وألقوا القبض عليه، وأرسلوه إلى والده على مراكش، إلا أن أمير المسلمين علي بن يوسف صفح عنه، وعفا عنه، ثم عينه واليًا على سرقسطة(٢).

---

(١)ابن الخطيب، الإحاطة، ج١، ص٤٠٧-٤٠٨.

(٢)سلامة محمد سلمان الهرفي، الأحوال السياسية وأهم مظاهر التطور الحضاري لدولة المرابطين في عهد علي ابن يوسف بن تاشفين (٥٠٠هـ - ٥٣٧هـ)،رسالةماجستيرغيرمنشورة نوقشت في كلية الشريعة والدراسات الإسلامية جامعة أم القرى، ١٩٨٢م، ص٧٥-٧٦.

وكان أبو بكر بن علي أكبر أخوته، وكان يتمتع بقسط وافر من الذكاء، ولعله قام بهذه الحركة من أجل لفت الانتباه إليه، وإثبات وجوده، وتنبيه والده إلى أنه الأجدر بولاية أفضل الولايات، ويظهر أن والده فهم إيماءاته فعينه واليًا على سرقسطة [1]، وعفا عنه، وأعطى له الفرصة.

غير أن أبا بكر بن علي بن يوسف، لم يستغل فرصة شفاعة والده وعفوه عنه، فقد عارض والده في اختيار أخيه سير وليًا لعهده بدلًا منه بسعاية حظيته قمر والدة سير، التي سعت بالأمير تاشفين عند أمير المسلمين علي بن يوسف فعزله عن الأندلس[2]، فأبو بكر بن علي، كان أكبر أبناء أمير المسلمين علي ابن يوسف سنًا، والأكثر خبرة ودراية في أمور السياسة بحكم توليه أكثر من ولاية في حياة والده مثل سرقسطة وإشبيلية، غير أن والده عزله عن إشبيلية، لموقفه المعارض لبيعة أخيه سير على ولاية العهد[3]، فلم يجد والده بدًا من نفيه إلى الجزيرة الخضراء[4]، فمرض أبو بكر، ولم تطل مدته في محبسه حتى مات ٥٣٧هـ/ ١١٤٣م[5].

---

(١)الهَرفي، الأحوال السياسية، ص٧٦.

(٢)ابن عذاري، البيان، ج٤، ص٩٨.

(٣)ابن القطان، نظم الزمان، ص١٤٩.

(٤)مجهول، الحلل الموشية، ص٨٤.

(٥)ابن عذاري، البيان، ج٤، ص١٠١.

يقول ابن الخطيب عن ثورة أبي بكر في غرناطة، أن الذي قام بها أبو بكر ابن إبراهيم، صهر أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين، زوج أخته، ويورد ابن الخطيب في الإحاطة أنه كان متوليًا غرناطة عام ٥٠٠هـ/ ١١٠٦م وأن أهالي غرناطة قبضوا عليه، وسلموه ليوسف بن تاشفين، فصفح عنه وولاه سرقسطة، غير أن ذلك يتنافى مع باقي المصادر التي تسند الثورة إلى أبي بكر بن علي ابن يوسف[١].

٢- ثورة ابن الحاج في قرطبة عام ٥٠٠هـ/ ١١٠٦م

بعدما توفي أمير المسلمين يوسف بن تاشفين عام ٥٠٠هـ/ ١١٠٦م، رفض أبو عبد الله محمد بن الحاج داود اللمتوني أمير قرطبة أن يبايع أمير المسلمين علي بن يوسف، وإنحاز له الملأ من أهل قرطبة، ويبدو أن العمل في قرطبة بدأ ضد الحكم المرابطي منذ عام ٥٠٠هـ/ ١١٠٦م، عندما قام ابن الحاج أحد قادة المرابطين والنائب عن أمير المسلمين في حكم قرطبة بالاتصال مع بعض الأعيان والشخصيات البارزة في قرطبة بشأن الخروج على الحكم المرابطي، وممن استشارهم في هذا الصدد القاضي ابن حمدين، فلم يشجعه على ما هو عازم عليه[٢].

---

(١)ابن الخطيب، الإحاطة، ج١، ص٤٠٤-٤٠٨.

(٢)ابن بسام، الذخيرة، ق٢، م١، ص٥٣٣؛ الهَرفي، الأحوال السياسية، ص٧٦-٧٧.

ومن الشخصيات البارزة التي تأثرت بثورة ابن الحاج وانضمت إليه، ابن أبي الخصال، أفضل أصدقاء ابن الحاج، ولزمه في الشدة والرخاء، وتنقل مع ابن الحاج في جميع الولايات التي تولاها حتى استشهاده، ومع أبي بكر الكاتب المعروف بابن المرخي[١].

كان ابن الحاج شخصية ذات قيمة ووزن في الدولة المرابطية، فكان من النخبة الممتازة في عهد أمير المسلمين يوسف بن تاشفين، وله تجربة وشهرة في الجهاد في الأندلس، ولعله اعتمد على كل هذه المقومات في شخصيته ليقوم بمثل هذا الدور، وفكر ابن الحاج في أفضل وقت للقيام بهذه الثورة، فلم يجد أفضل من وقت وفاة أمير المسلمين يوسف بن تاشفين، فكان أمير المسلمين علي ابن يوسف ما يزال في مقتبل العمر، وخبرته في أمور الحرب والسياسة لا تقاس بخبرة هذا القائد المجرب ابن الحاج[٢].

شارك في ثورة ابن الحاج جمع من أهل قرطبة، وبعض الفقهاء وأعيان المدينة، لكن سرعان ما أنطفأت دون أن تمدنا المصادر بتفاصيل عن كيفية القضاء عليها، غير أن بن خاقان يقول[٣]: " كانت ترد عليهم من قبله – أيده الله – كتب

---

(١)ابن الأبار، المعجم، ص١٣٧-١٣٨.

(٢)الهَرفي، الأحوال السياسية، ص٧٧.

(٣)ابن خاقان، قلائد العقيان، ج٢، ص٥١٩.

تحل ما ربطوه، وتروعهم مما تأبطوه، فلم يكن لهم بد من إدنائه، لحسن منابه في المراجعة عنهم وغنائه ".

وبعد فشل ثورة ابن الحاج هرب إلى خارج قرطبة، ولحق به أعوانه، ثم عفى أمير المسلمين علي بن يوسف عنه وعن أخيه وقومه، وولاه مدينة فاس، وما إليها من أعمال المغرب، ثم ولاه سرقسطة مع بلنسية، حتى استشهد في موقعة البورت(١) ٥٠٨هـ/ ١١١٤م(٢).

بعد عفو أمير المسلمين علي بن يوسف عن ابن الحاج، عاد أبو بكر ابن المرخي من شرق الأندلس إلى صحبة ابن الحاج، وأصبح مقربًا من اللمتونيين، وانتفع به الناس لحسن وساطته لديهم، وظل أبو بكر بن المرخي مع ابن أبي الخصال بجوار ابن الحاج إلى استشهاده(٣).

---

(١)كانت معركة البورت أي الباب مع نصارى قطالونيا في سنة ٥٠٨هـ/ ١١١٤م، حيث خرج القائد المرابطي الكبير أبو عبد الله محمد بن الحاج والي سرقسطة على رأس حملة موجهة ضد إمارة برشلونة، وكانت هذه الإمارة تابعة آنذاك للأمير رامون بيرنجير الثالث Roman Berenger III وانضم القائد المرابطي محمد بن عائشة إلى قوات ابن الحاج في تلك الغزوة، وفي أثناء زحفها إلى برشلونة، مرت هذه القوات بحصن ثرفيراCervera فخربته، كما أغارت على ظاهر برشلونة وغنمت غنائم كثيرة ولكنها أخفقت في الاستيلاء على برشلونة لحصانتها، ثم واصل ابن الحاج زحفه غربًا بعد أن أرسل السبي والغنائم مع القسم الأكبر من جيشه لتعود من الطريق الرئيسي الكبير في حين سلك هو بمن معه من العسكر طريقًا جبلية ضيقة تؤدي مباشرة إلى سرقسطة ولكنه ما كاد يقطع مسافة من هذا الطريق حتى أطبق عليه عدد كبير من قوات النصارى ترصدت له في كمين، فقاتلهم قتالًا ضاريًا حتى سقط سريعًا، فاستشهد كما استشهد معه معظم قواته، ولم ينج سوى ابن عائشة في قلة من أصحابه. (ابن عذاري، البيان، ج٤، ص٦١؛ حسين، التاريخ السياسي والحضاري، ص٢١٥-٢١٦).

(٢)ابن الأبار، المعجم، ص١٣٨؛ أرسلان، الحلل السندسية، ج٢، ص١١٠.

(٣)ابن بسام، الذخيرة، ق٢، م١، ص٥٣٣؛ ابن الأبار، المعجم، ص١٥٢.

٣- تمرد أهالي غرناطة عام ٥٠٧هـ/ ١١١٤م

يبدو أن غرناطة لم تتوقف عن الشغب والخروج على أمير المسلمين علي ابن يوسف، فعلى الرغم من أن المصادر تبخل علينا في تفاصيل المشاغبات التي حدثت فيها خاصة في السنوات الأولى من حكم أمير المسلمين علي بن يوسف، إلا أن بعض رسائل أمير المسلمين لأهالي هذه الناحية توضح لنا أنه كانت هناك حركات مستمرة في التمرد على والي أمير المسلمين الأمير مزدلي والي غرناطة، ومن كبار قادة المرابطين(١).

ففي يوم الجمعة ١٩ رمضان عام ٥٠٧هـ/ ٢٦ فبراير ١١١٤م، كتب أبو القاسم بن أبي الجد(٢) عن أمير المسلمين علي بن يوسف إلى أهالي غرناطة، يعاتبهم ويؤنبهم، ويحذرهم من كثرة التمرد على واليه عليها القائد مزدلي الذي خلف عبد الله بن فاطمة في حكمها عام ٥٠٤هـ/ ١١١٠-١١١١م، وأضيف إليه حكم قرطبة والمرية، وعلى الرغم من جهود مزدلي المتواصلة من أجل الإبقاء على ولايته هادئة آمنة من خطر الإسبان النصارى إلا أن أهل غرناطة لم يدخروا وسعًا في انتهاز الفرص للشغب والخروج عليه(٣).

---

(١)الهَرفي، الأحوال السياسية، ص٧٩.

(٢)أبو القاسم محمد بن عبد الله بن الجد الفهري، من أسرة بني الجد من أعيان مدينة لبلة وإشبيلية، التحق في بداية أمره بخدمة دولة ابن عباد، ولما ذهبت دولتهم تولى خطة الشورى ببلده لبلة، ثم استدعاه أمير المسلمين علي بن يوسف ليتولى الكتابة في ديوان رسائله، واستمر يؤدي دوره في بلاط أمير المسلمين إلى أن توفي في عام ٥١٥هـ/ ١١٢١م (انظر: ابن خاقان، القلائد، ج١، ص٣٢٢؛ ابن دحية، المطرب، ص١٩٠).

(٣)الهَرفي، الأحوال السياسية، ص٧٩.

فجاءت رسالة ابن أبي الجد عن أمير المسلمين علي بن يوسف تستنكر وترفض تصرفاتهم تلك، ومما جاء في الرساله قوله لهم: " كتابُنا عَصَمَكُمُ اللهُ بتقواهُ، ويسركم لِمَا يَرضاهُ وجنَبكُمْ ما يُسخِطُهُ وَيَنعَاهُ، من حضرةِ مَراكش – حرسها الله - يوم الجُمُعة التاسعِ عشر من شهر الصومِ المُعَظم، سنة سَبعٍ وخمسِمائةٍ، وقَدْ اتصَلَ بنا أَنكُمْ من مُطالَبَةِ ((فُلانٍ)) على أَولِكُمْ، وفي عُنفوانِ عَمَلِكُمْ، وأَنهُ لا يَعدَمُ تَشغيبًا وتأليبًا، وَتَجِدونَ في الغَلَب، وتَقرَعُون النبعَ بالقِرَبِ، لقد آن لحَركتِكُمْ في أَمرِهِ أَنْ تَهدَأَ، وللنائرة بَينكُمْأَنْ تَطفَأَ، ولِذاتِ بينكم أَنْ تَصلُحَ، ولوُجوهِ المراشِدِ قِبَلِكُم أَنْ تَتضِحَ؛ فإذا وَصَل إليكم خِطابُنَا هذا، فاتركُوا مُتابَعَةَ الهَوَى، واسلكُوا مَعَهُ الطريقةَ المُثلَى، ودَعوا التنافُسَ على حُطَام الدنيا، وليُقبِلْكُلُّ واحدٍ مِنكُمْ على ما يَعنيه، ولا يَشتَغِلْ بِمَا يُنصِبُهُ ويُعَنيه، ولا بُدَّلِكُلِّ عَمَلٍ، من أَجَلٍ، ولِكُلِّ ولايةٍ من غايةٍ، ولَنْ يَسبقَ شَيء أَنَاهُ، وإِذا أرادَ اللهُ أمراً سَناهُ، ﴿**وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُون**﴾[١]، وفقكم الله لما فيه صَونُ أديانكم وأَعراضِكُمْ، وسَدَاد أنحائِكُم وأَغراضِكُمْ[٢].

---

(١)القرآن الكريم، البقرة: ٢١٦.

(٢)ابن خاقان، قلائد العقيان، ج١، ص٣٣٣-٣٣٤؛ الأصفهاني، خريدة القصر، ج٢، ص٤٠١.

في تلك الرسالة نعى فيها أمير المسلمين على بن يوسف اختلاف أهل غرناطة، وتنازعهم ومطالبتهم ببذل الطاعة لواليهم، وعدم الخروج عليه[1]، وتوضح الرسالة مدى التسامح الشديد الذي استخدمه أمير المسلمين علي ابن يوسف مع متمردي غرناطة، فقد تهاون أمير المسلمين علي بن يوسف في الضرب على أيدي مثيري الشغب في غرناطة، وثورتهم على القائد العظيم مزدلي، فكل ما فعله أمير المسلمين علي بن يوسف هو إرسال ذلك الخطاب الموجه إليهم فيه تهديد خفيف لهم[2]، وتأتي تلك السياسة مخالفة لما فعله أمير المسلمين علي بن يوسف مع ثورة أهل قرطبة ٥١٤هـ/ ١١٢٠م (كما سنرى)، ربما كان سبب التناقض في سياسة أمير المسلمين علي بن يوسف، هو أن تمرد أهالي غرناطة كان تمردًا خفيفًا، لم يصب دولة المرابطين ولا دورهم في الأندلس بسوء كما فعل أهالي قرطبة.

٤- تمرد أهالي إشبيلية عام ٥١٢هـ/ ١١١٨م

وكما فعل أمير المسلمين علي بن يوسف مع تمرد غرناطة، فعل مع تمرد أهالي إشبيلية، اكتفى بالتهديد الخفيف، رغم ثورتهم على الأمير المرابطي أبي إسحق إبراهيم، فأرسل رسالة مشابهة إلى أهل إشبيلية في جمادي الأولى عام

---

(١)حمدي حسين، التاريخ السياسي والحضاري، ص١٧٦.

(٢) عصمت دندش، الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٨م، ص٣٥.

٥١٢هـ/١١١٨م، يهددهم ويتوعدهم، ويحذرهم نتائج شغبهم، كتبها أبو القاسم بن أبي الجد، ومما جاء فيها " وقد بَلَغنا ما تَأَكدَ بَينَ أعيانكم من أسباب التباعد والتبايُن، ودواعي التحاسد والتضاغن، واتصال التباغض والتدابُر، وتمادي التقاطع والتهاجر، وفي هذا على فُقهائكم وصُلحائكم مَطعَنٌ بَينٌ، وَمَغمَزٌ لا يَرضَاهُ مُؤمِنٌ دَينٌ، فهلا سَعَوا في إصلاح ذات البَين سَعي الصالحين، وجَرَوا في إبطال أعمال المفسدين، وبَذَلوا في تَأْليف الآراءِ المختلفة وجَمع الأهواء المفترقة، جُهدَ المجتهدين وَرَأَيْنا واللهُ الموفق للصواب، أن نُعذِرَ إليكم بهذا الخطاب، فإذا وَصَلَ إليكم، وقُرِيءَ عليكم، فآقمعوا الأَنفسَ الأَمارَة بالسوء، وارغبوا في السكون والهدُوء، ونكبوا عن طريق البَغي الذميم المَشنوء، واحذروا دواعي الفِتَن، وعواقب الإحَن، وما يَجُرُّ رَدَاءَ الضَمائر، وفَسادَ السرائر، وعَمَى البصائر، وَوخيمَ المَصَائر، وأشفِقُوا على أديانكم وأعراضكم، وتوبوا إلى الصلاح في جميع أغراضكم، وأَخلِصوا السمعَ والطاعَةَ لوالي أموركم، وخليفَتِنَا في تَدبيركم، والقيام بالدقيق والجليل من أموركم، وسياسة جُمهوركم، أخينا الكريم علينا، أبي إسحق إبراهيم أَبقَاهُ الله، وأدام عِزهُ بتقواهُ، واعلَمُوا أَنَّ يَدَهُ فيكم كَيَدِنَا، ومَشهَدُهُ كَمَشهَدِنا، فَقِفُوا عِندَما يَأْمُرُكُمْ بهِ، ويدعوكم إليه، ولا تَختَلِفُوا في أمرٍ من الأُمور عليه، وانقادوا أسلَسَ قِيادٍ لحُكمِهِ وَعَزمِهِ، ولا تُقيموا على ثَبَجِ عِنادٍ بَينَ حَدهِ وَرَسمه، واللهُ تَعالى يَفِيءُ بكُم إلى الحُسنَى، ويُيسركم إِلى ما فيهِ صَلاحُ الدين والدنيا، بقُدرتَه[1].

---

(١)ابن خاقان، قلائد العقيان، ج١، ص٣٢٤-٣٢٥؛ الأصفهاني، خريدة القصر، ج٢، ص٣٩٧-٣٩٨.

من خلال رسائل أمير المسلمين علي بن يوسف إلى أهل غرناطة وإشبيلية، نجد أنه استخدم التسامح الشديد مع مثيري الشغب في بلد لا يستقيم أمره إلا بالعنف[1]، حيث استخدم أمير المسلمين علي بن يوسف أسلوب التهديد الخفيف[2] في خطابه إلى أهل إشبيلية كما فعل مع أهل غرناطة.

فرغم إساءاتهم إلى ولاة المرابطين، الأمير مزدلي والي غرناطة، والأمير أبي إسحاق إبراهيم والي إشبيلية، وخروجهم على طاعتهم، وتمردهم، استخدم معهم أمير المسلمين علي بن يوسف التسامح، والصفح، على عكس ما فعله مع عامة قرطبة وثورتهم ٥١٤هـ/ ١١٢٠م، فجاز إليهم أمير المسلمين علي ابن يوسف إلى الأندلس، وحاصر قرطبة، وقاتلهم، ولم ينصرف عن قرطبة إلا بعدما شفع الفقهاء لديه، وتذكيره بوصية أبيه لأهل قرطبة[3]، وكان تسامح أمير المسلمين عن تمرد أهل غرناطة وإشبيلية يعود إلى سياسة التسامح الشديد االتي اتبعها أمير المسلمين علي بن يوسف مع الثوار في الأندلس، ويبدو أن تسامح أمير المسلمين مع أهل غرناطة وإشبيلية في تمردهم، وقتاله لأهل قرطبة وثورتهم (كما سنوضح ذلك في ثورتها)، أن تمرد غرناطة وإشبيلية لم يخرج عن إطار شغب عادي، لم يحدث فيه أي إضرار للمرابطين، على غير ما حدث في قرطبة، فقد أحرق الثوار دور المرابطين، ونهبوا أموالهم، وأخرجوهم من قرطبة على أقبح

---

(١)عصام الدين عبد الرؤوف الفقي، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٩م، ص٢٦٠.

(٢)دندش، الأندلس في نهاية المرابطين، ص٣٥.

(٣)مجهول، الحلل الموشية، ص٨٦-٨٧.

صورة[1]، فكان رد الفعل من أمير المسلمين قتالهم وحصار قرطبة واستخدام الشدة والترويع ثم كان في النهاية عفوه وصفحه عنهم، وربما ماعرف به عامة قرطبة في الأندلس بروح الثورة والا نتقاد، وشدة الشغب، فقد كان يضرب بهم المثل ما بين أهل الأندلس في القيام على الملوك والأمراء، والتشنيع على الولاة، وقلة الرضا بأمورهم[2]، سببًا في استخدام أمير المسلمين علي بن يوسف الشدة والترويع والتهديد لهم (كما سنوضح ذلك).

٥- ثورة أهل قرطبة ٥١٤هـ/ ١١٢٠م:

كانت ثورة قرطبة من مظاهر رد الفعل الأندلسي ضد دولة المرابطين، في أواخر سنة ٥١٤هـ/ ١١٢٠م، وأوائل سنة ٥١٥هـ/ ١١٢١م[3]، وسببها أن أمير المسلمين علي بن يوسف استعمل عليها أبا بكر يحيى بن روادة، فلما كان يوم عيد الأضحى خرج الناس متفرجين[4]، ووافق ذلك أن أمير المسلمين علي ابن يوسف، أمر بإحياء المجانيق والآلات الحربية، فلما كمل ما أنشىء بقرطبة خرج الوالي لمشاهدة التجربة، ثم جاء العوام من السواد الأعظم، وحضر أهل قرطبة من كل حدب وصوب، فكثر التزاحم والتدافع[5]، فاستغل عبدٌ عند والي قرطبة الأمير أبي بكر الفرصة، ومد يده إلى امرأة فأمسكها، فاستغاثت بالمسلمين

(١)ابن الأثير، الكامل، ج٩، ص١٨٧-١٨٨؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢٤، ص١٥١.

(٢)الزجالي، أمثال العوام، ج١، ص٢٢٥-٢٢٦.

(٣)ابن الأثير، الكامل، ج٩، ص١٨٧؛ صلاح أحمد عيد خليفة، عامة قرطبة منذ بداية الفتنة حتى نهاية عهد المرابطين (٣٩٩- ٥٤٣هـ/ ١٠٠٩ – ١١٤٨م)،رسالةدكتوراةغيرمنشورة نوقشت في كلية الآداب جامعة المنيا، ١٩٩٦م، ص١٠٩.

(٤)ابن الأثير، الكامل، ج٩، ص١٨٧.

(٥)خليفة، عامة قرطبة، ص١٠٩.

فأغاثوها فوقع بين العبيد وأهل البلد فتنة عظيمة، واستمرت الحرب طوال النهار حتى أدركهم الليل فتفرقوا، فاجتمع الفقهاء والأعيان مع والي قرطبة أبي بكر وقالوا له: الأفضل أن تقتل واحدًا من العبيد الذين أثاروا الفتنة، فأنكر ذلك، وغضب منهم، ولم يستخدم الوالي عقله، وأصبح من الغد، وأظهر السلاح والعدة يريد قتال أهل البلد، فركب الفقهاء والأعيان والشبان من أهل البلد، وقاتلوه، فهزموه وتحصن بالقصر فحصروه، وتسلقوا إليه، فهرب بعد مشقة وتعب فنهبوا القصر، وأحرقوا جميع دور المرابطين، ونهبوا أموالهم، وأخرجوهم من البلد على أقبح صورة، ووصل الخبر بأمير المسلمين علي ابن يوسف فكره ذلك، واستعظمه وجمع العساكر من صنهاجة وزناتة والبربر وغيرهم، فاجتمع منهم جمع عظيم فعبر إلى الأندلس متوجهًا إلى قرطبة عام ٥١٥هـ/ ١١٢١م، وحصر مدينة قرطبة فقاتله أهلها قتال من يريد أن يحمي دمه وحريمه وماله، فلما رأى أمير المسلمين شدة قتالهم دخل السفراء بينهم، وسعوا في الصلح فأجابهم إلى ذلك، على أن يعوض أهل قرطبة، المرابطين عما نهبوه من أموالهم، واستقرت القاعدة على ذلك وعاد عن قتالهم[1].

كان استخدام أمير المسلمين علي بن يوسف الشدة في البداية مع أهل قرطبة، والترويع والتهديد[2]، لما عرف عنهم خاصة عامة قرطبة بالقيام على الملوك والولاة، فخرج أمير المسلمين علي بن يوسف إليهم لقتالهم، فتأهب أهل قرطبة للدفاع عنها، وفي نفس الوقت، استفتى أهل قرطبة الفقهاء فأفتوا بأنه

(١)ابن الأثير، الكامل، ج٩، ص١٨٧-١٨٨؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢٤، ص١٥١.

(٢)ابن القطان، نظم الجمان، ص٧٨.

متى عرضت حقائق الموقف على أمير المسلمين علي بن يوسف، وتبين منها أن الأمر لم يكن عدوانًا من أهل قرطبة، وإنما كان موقفهم دفاعًا عن الحرم والدماء والأموال، فإن أصر أمير المسلمين علي بن يوسف على موقفه وأصغى لنصح المفسدين، وجب القتال في هذه الحاله دفاعًا عن النفس والحرم[1]؛ وحقيقة الأمر أنه لم يحدث قتال على الإطلاق، وكل ما في الأمر أن أهل قرطبة بحكم طبيعتهم، وما تميزوا به من آباء، لم يقبلوا تهديد المرابطين لهم وآثروا أن يمتنعوا داخل أسوار مدينتهم، كما تأهبوا للقتال إذا اضطر الأمر ذبًا عن الحريم والدماء والأموال، كذلك لم يشأ أمير المسلمين علي بن يوسف أن يقتحم المدينة عنوة، وكان بإمكانه أن يفعل، لاسيما وأنه كانت لديه الإمكانات لتحقيق هدفه، ولكنه جنح إلى السلم حقنًا للدماء، وآثر أن ينهي الأمر سلميًا[2]، حتى تستقر الأمور مرة أخرى.

فلم يلبث علماء قرطبة وكبار شيوخها، أن توسطوا عند أمير المسلمين علي ابن يوسف[3]، وكان قاضي قرطبة حينذاك أبو الوليد بن رشد، جد الفيلسوف الكبير، فدافع عن أهل قرطبة أمام الأمير الذي استجاب لدفاعه وصفح عنهم[4]، وكان فقهاء قرطبة تشفعوا عند أمير المسلمين علي بن يوسف، وذكروه بوصية أبيه أمير المسلمين يوسف بن تاشفين قبل وفاته "أن يقبل من محسن أهل

---

(١)مجهول، الحلل الموشية، ص٨٦-٨٧؛ أبو الفضل، شرق الأندلس، ص٦٤.

(٢)ابن القطان، نظم الجمان، ص٧٨؛ حسين، التاريخ السياسي والحضاري، ص١٤٤.

(٣)مجهول، الحلل الموشية، ص٨٦-٨٧؛ سالم، قرطبة حاضرة الخلافة، ج١، ص١٤٥.

(٤)ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص٢٩٠؛ أحمد فكري، قرطبة في العصر الإسلامي (تاريخ وحضارة)، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، بدون تاريخ طبع، ص١٣٦.

قرطبة، ويتجاوز عن مسيئهم "، فصفح عنهم أمير المسلمين علي ابن يوسف، لشفاعة الفقهاء، وعملًا بوصية أبيه له قبل وفاته، واتفق على تعويض المرابطين عما نهب، فرضى ورضوا[1]، وعادت الأمور في قرطبة مرة أخرى إلى طبيعتها، واستقرت الأوضاع، وتسامح أمير المسلمين علي بن يوسف، وتجاوز عما فعله أهل قرطبة، بعدما توسط عنده الفقهاء، وأوضحوا له الأمور، وسألوه العفو والصفح، فكانت وصية أمير المسلمين يوسف بن تاشفين لابنه قبل وفاته سببًا، في عفو وصفح وتسامح أمير المسلمين علي بن يوسف عن أهل قرطبة، وتجاوزه لهم عما ألحقوه من ضرر بقصور ودور المرابطين بقرطبة.

٦- ثورة أهالي الجزائر الشرقية عام ٥٢٠هـ/ ١١٢٦م:

كما رأينا كانت سياسة المرابطين، تدعو أن يعاقب الوالي أو يعزل إذا قصر أو أهمل أو أساء السيرة في الرعية، ويظهر ذلك في موقف أهالي الجزائر الشرقية[2] من واليهم وانور بن أبي بكر، أول والي عليها من قبل المرابطين، وكان

---

(١)مجهول، الحلل الموشية، ص٨٧.

(٢)أطلق اليونان ومن بعدهم الرومان اسم البليار على مجموعة من الجزر في غرب البحر المتوسط، وتتكون من خمس جزر رئيسية، هي ميورقة، ومنورقة، ويابسة، وفرمنتيرة، وقبريرة، بالإضافة إلى حوالي مائة جزيرة صغيرة وكتلة صخرية تتناثر حولها وما بينها، وتتميز هذه الجزر بموقع استراتيجي خطير بين سواحل شرق إسبانيا وجنوب فرنسا وغرب إيطاليا، وسواحل بلاد المغرب الشمالية. وقد أطلق المسلمون عليها اسم الجزائر الشرقية، لوقوعها شرق الأندلس، ويعتبر الزهري جزر البليار أندلسية، لأن أخلاق أهلها وطبائعهم كطبائع أهل الأندلس، وأمزجتهم واحدة. وكان غزاة البحر الأندلسيون يخرجون منها للجهاد في سواحل غربي البحر المتوسط وجزره. وهي جزائر خصب وسعة، وتتمتع بجمال طبيعي باهر، ومناخ معتدل، وتنوع في التضاريس. وقد أطلق الرومان Majorica أي الجزيرة الكبرى على ميورقة واسطة العقد وكبرى جزر البليار، فمساحتها تعادل ثلاثة أرباع مساحة جزرها بأجمعها. وقد عربها المسلمون فأطلقوا عليها ميورقة، وميرقة، وكذلك مايرقة.

ظلومًا صارمًا عصف بأهالي الجزائر الشرقية[1]، فاشتد في إرهاقهم وظلمهم، حتى سخطوا عليه[2]، من ذلك أنه أراد بناء مدينة أخرى بعيدة من البحر داخل الجزيرة، أي أراد إرغامهم على ترك ثغر ميورقة، فاندلعت الثورة بالجزيرة،

والأكثر شيوعًا هو ما ذكره خليفة بن خياط في تاريخه، وياقوت الحموي في معجمه، وهو ميورقة، لأنها الأقرب إلى اللفظ اللاتيني. وهي من أخصب بقاع الأندلس، وأكثرها زرعًا ورزقًا، وأعدلها هواء وأصفاها جوًا، ويصل فاضل خيرها إلى غيرها، ولأهلها ظرف وذمة، وفيهم حلاوة ورقاعة، وهم من أهل الحُسن والجمال، وقد وصف أحد الشعراء مدى جمالها، ونظافة ساحتها، وعذوبة نهرها، فقال:

بلدٌ أعارته الحمامةُ طوقَها وكساه حلة ريشهِ الطاووسُ

وكأنها تلك المياهُ مدامة وكأن ساحاتِ الديارِ كؤوسُ

وقد فتحها المسلمون في سنة ٢٩٠هـ/ ٩٠٢م، إلى أن تغلب عليها صاحب برشلونة، وخربها في سنة ٥٠٨هـ/ ١١١٤م، وكان فيها من الحضارة والتمكن والتمصر، وعظم البادية ما يغنيها. (لمزيد من التفاصيل، راجع: ابن حوقل، صورة الأرض، ص١٠٤، ١٨٤-١٨٥؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، م٢، ص٥٨٢؛ ابن عميرة المخزومي، تاريخ ميورقة، تحقيق د.محمد بن معمر، دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٧م، ص٩٥؛ الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص٢١٦؛ ابن سعيد، المغرب، ج٢، ص٤٤٦؛ ابن سعيد، كتاب الجغرافيا، حققه ووضع مقدمته وعلق عليه د.إسماعيل العربي، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٧٥م، ص١٦٨؛ شيخ الربوة، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٨م، ص١٩٠؛ الحميري، الروض المعطار، ص١٨٥، ١٨٨-١٩١؛ المقري، نفح الطيب، ج٤، ص٢١٠،٢٠٧؛ عصام سالم سيسالم، جزر الأندلس المنسية (التاريخ الإسلامي لجزر البليار)، الطبعة الأولى، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٤م، ص١٥-٢٦؛ إبراهيم عبدالمنعم سلامة أبو العلا، عمان معبرًا لتجار الأندلس وعلمائها إلى بلاد فارس وشرق أفريقيا (ق٣-٥هـ/ ق٩-١١م)، الطبعة الأولى، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، ٢٠١٥م، ص١٠٢-١٠٣).

(١)ابن خلدون، العبر، ج٢، ص١٠٠٥.

(٢)ابن خلدون، العبر، ج٢، ص١٠٠٥؛ عنان، عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، الطبعة الثانية، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٠م، ج١، ص١٥٣.

وغلب الثوار واليهم وانور، وقبضوا عليه، ووضعوه في الأصفاد، وبعثوا إلى أمير المسلمين علي ابن يوسف يشرحون أحوالهم وظلاماتهم، ويستشفعون به ويسألوه الاستجابة لهم، فاستجاب أمير المسلمين علي بن يوسف لصريخهم، وعين واليًا جديدًا للجزائر الشرقية، هو محمد بن غانية المسوفي، وكان عندئذ يتولى النظر على بعض أعمال قرطبة، فقدم إلى الجزائر الشرقية عام ٥٢٠هـ/ ١١٢٦م، وأقر أهلها على ما فعلوه بواليهم السابق وانور، وبعثه مصفدًا إلى مراكش لينظر في أمره[١].

تفهم أمير المسلمين علي بن يوسف موقف أهالي ميورقة من واليهم الظالم وانور، بل نصرهم وأيدهم على ما فعلوه بواليهم، لحرص المرابطين على ضرورة معاملة الرعية معاملة طيبة، وعدم الإضرار بهم، وفي نفس الوقت حرصت على أن يلتزم الرعية الطاعة للوالي أو الحاكم عليهم، غير أن ظلم وانور الذي أراد إجلاء أهالي ميورقة عن الثغر، وإنشاء مدينة أخرى داخل الجزيرة بعيدة عن البحر، الأمر الذي يضر بمصالح أهالي الجزيرة، فربما يعمل منهم عدد كبير بحرفة الصيد وحرف أخرى ترتبط به، مما يضر بأرزاقهم فثاروا على واليهم وانور، الأمر الذي تفهمه أمير المسلمين علي بن يوسف، فشفع لهم، وصفح عنهم، وأيدهم في ذلك، وأرسل لهم واليًا جديدًا إلى ميورقة، لتستقر الأوضاع، وتعود المياه إلى مجراها مرة أخرى.

---

(١)الحميري، الروض المعطار، ص٥٦٧؛ ابن خلدون، العبر، ج٢، ص١٠٠٥.

الفصل الرابع

وساطات لقضاء الحاجات عند ولاة الأمور والقضاة وأعوانهم بالأندلس

أولًا: وساطات لقضاء الحاجات عند ولاة الأمور بالأندلس

ثانيًا: وساطات لإسقاط المغارم والديون أو تخفيفها

ثالثًا: وساطات عند القضاة وأعوانهم

الفصل الرابع

وساطات لقضاء الحاجات عند ولاة الأمور والقضاة وأعوانهم بالأندلس

أولًا: وساطات لقضاء الحاجات عند ولاة الأمور بالأندلس

اقتضت الضرورات أن يلجأ بعض الأندلسيين إلى الوساطات عند ولاة الأمور، لقضاء حاجاتهم التي لا يؤدي حصولهم عليها إلحاق الأذى بغيرهم، فقصدوا بعض رجال الدولة والفقهاء والزهاد، لإعانتهم على قضائها، فسعوا في منفعتهم بحسب قدرتهم؛ فقد كانوا يعتبرون ذلك من حق الأخوة الإسلامية[1]. فقد كان علي بن عبد العزيز بن الإمام الأنصاري، من أهل سرقسطة، أحد كتاب الزمان من أهل البلاغة والفصاحة والكرم، وصاحب معارف كثيرة، وزر للأمير أبي الطاهر تميم بن يوسف بن تاشفين صاحب غرناطة، فحمدت وزارته، وشكرت مقاصده، ووساطته عند أمير المسلمين علي ابن يوسف، وكان من أهل المروءات، تشكى إليه بعض إخوانه القرطبيين من حادث غريب وعجيب، وأمر فادح أرهقه، وأن النفاق ببلده أخرجه عن ماله، وفرق بينه وبين ولده وعياله، وأناله أكرم ما عهد من إخائه، وخرج إلى المسجد الجامع بغرناطة، وأشهد على نفسه أنه قد وهبه الربع من أملاكه، وكتب بذلك عقدًا ودفعه إليه، وقال له: يا أخي أرجو أن هذا سيصلح حالك، وحالي لا تتسع

---

(١)أبو العلا، الشفاعات الدنيوية، ص٨٤.

لأكثر من هذا، فأعذر أخاك، وكان الذي وهبة يساوي أكثر من ألف دينار مرابطية[1].

وكان للقاضي أبي علي الصدفي، منزلة عالية عند ملوك أوانه، وشفعته في مطالب إخوانه، فأوسعته رعيًا، وأحسنت فيه رأيًا[2]، فاستخدم في خدمة الناس والسعي فيما ينفعهم[3]، والتوسط لهم عند ولاة الأمور، وقضاء حاجاتهم، وعظمت مكانته عند العامة والخاصة، ومن تلك الوساطات التي قام بها أبو علي الصدفي، شفاعته وساطته في رد أملاك أبي محمد العربي عند القاضي أبي بكر ابن ليلى، قاضي إشبيلية، فتم ذلك[4]، وردت أملاك أبي محمد العربي.

كما كان أمير المسلمين علي بن يوسف يراقب سير الأمور في الولايات المختلفة، مخافة أن يستبد أمير من الأمراء بأمر ولايته، أو يسيء معاملة رعيته، فكان إذا ولى أحد الولاة، أرسل إليه رسالة يرسم له فيها السياسة التي يجب أن يتبعها في معاملة رعاياه، ويتمثل ذلك في الرسالة التي كتبها أبو القاسم بن الجد عن أمير المسلمين علي بن يوسف إلى أبي محمد بن فاطمة واليه على إشبيلية عام

---

(١)ابن الزبير، صلة الصلة، ص٢٥٧.

(٢)المقري، نفح الطيب، ج٢، ص٩١.

(٣)محمد محمود عبد الله بن بيه، الأثر السياسي للعلماء في عصر المرابطين، رسالة ماجستير غير منشورة نوقشت في كلية الشريعة والدراسات الإسلامية في جامعة أم القرى، ١٩٩٧م، ص١٥٨.

(٤)ابن الأبار، المعجم، ص٥٥.

٥١٠هـ/ ١١١٦م جاء فيها: "وقد رأينا والله ولي التوفيق، والهادي إلى سواء الطريق، أن نجدد عهدنا إلى عمالنا بالتزام أحكام الحق وإيثار أسباب الرفق لما نرجوه في ذلك من الصلاح الشامل والخير العجل، والله تعالى ييسرنا لما يرضيه في قول وعمل وأنت – أعزك الله – ممن يستغنى بإشارة التذكرة ويكتفي بلمحة التبصرة لما تأوي إليه من السياسة والتجربة، واتخذ الحق أمامك وملك يده زمامك، وأجر عليه في القوي والضعيف أحكامك، وأرفع لدعوة المظلوم حجابك، ولا تسد في وجه المظلوم بابك، ووطيء للرعية حاطها الله أكنافك، وأبذل لها انصافك واستعمل عليها من يرفق بها ويعدل فيها وأطرح كل من يحيف عليها و يؤذيها ومن سبب عليها من عمالك زيادة أو خرق في أمرها عادة أو غير رسمًا أو بدل حكمًا، أو أخذ لنفسه منها درهمًا ظلمًا، فأعزله عن عمله، وعاقبه في بدنه، وألزمه رد ما أخذ متعديًا إلى أهله وأجعله نكالًا لغيره، حتى لا يقدم منهم أحد على مثل فعله إن شاء الله وهو تعالى ولي تسديدك، وتأييدك، لا إله غيره ولا خير إلا خيره "[1].

ومن خلال تلك الرسالة يتبين مدى وساطة وتشديد أمير المسلمين علي ابن يوسف على حسن معاملة الوالي وأولى الأمر بالأندلس لرعاياهم، ويأمرهم

---

(١) ابن خاقان، قلائد العقيان، ج١، ص١١٣؛ ابن عذاري، البيان، ج٤، ص٦٣-٦٤؛ حسين، التاريخ السياسي والحضاري، ص٢٦٤-٢٦٥.

بتطبيق العدالة، والتزام جانب الحق في معاملة الرعية، فقد كان أمير المسلمين علي بن يوسف دائم الاهتمام بالولايات المختلفة، حيث دعا ولاته إلى ضرورة استخدام تجاربهم لخدمة رعاياهم .

ثانيًا: وساطات لإسقاط المغارم والديون أو تخفيفها

تعرض بعض أهل الأندلس لغرامات على أملاكهم وأموالهم، كما كانت الحكومة تفرض أنواعًا من المغارم يؤدونها إليها سنويًا، وقد انتهز هؤلاء الغارمون الفرص والوساطات لدى الحكام أو أولي الأمر لتخفيفها أو إلغائها، وربما توسط جماعة وتحملوا سداد دين عن صاحبه حتى لا يسجن، ويتعرض للعقاب؛ فتشير النوازل إلى قضاء رجل عن رجل دين كان عليه، فتكفل لصاحب الدين أن يدفعه إليه إذا لم يحضر الرجل إلى الغد، فلما لم يأت به، دفع الرجل الدين عن ذلك الرجل، فقد كان عليه مائة إردب قمح، فدفع إليه مائة درهم[1].

(١) ابن رشد، البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل في مسائل المستخرجة، تحقيق أ. محمد العرايشي-، الطبعة الثانية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٨م، ج١١، ص٣٧٠.

كما سعى أناس بالصلح والعفو عن رجل عليه دين عند الرجل المدين[1]، كما قضى رجل دين لابن أخيه، وسدده إلى صاحب الدين بعدما ارتفع الأمر إلى السلطان، فتدخل العم، ودفع الدين عن ابن أخيه حتى لا يسجن[2]، ويتعرض للعقاب.

كانت دولة المرابطين في البداية، نظرًا لنشأتها الدينية، وتأثرها بتعاليم الفقيه عبد الله بن ياسين، اتبعت حكم الشريعة الإسلامية في جباية الضرائب، فكان أمير المسلمين يوسف بن تاشفين يلتزم بتحصيل ما تجيزه الشريعة من الفروض مثل الزكاة والإعشار وأخماس الغنائم وجزية أهل الذمة[3]، فلم يوجد في بلد من بلاده ولا في عمل من أعماله على طول أيامه رسم مكوس ولا معونة ولا خراج في حاضرة ولا بادية إلا ما أمر الله تعالى به وأوجبه حكم الكتاب والسنة من الزكاة والأعشار وجزية أهل الذمة وأخماس غنائم المشركين[4]، ولكن عندما اتسعت رقعة الدولة، وتضاعفت جيوشها ومسئولياتها، ولا سيما بعد

---

(١) ابن رشد، فتاوى ابن رشد، ج٣، ص١٤٧٢؛ الونشريسي، المعيار، ج٦، ص٥١٨.

(٢) ابن رشد، البيان والتحصيل، تحقيق أ. أحمد الحبابي، الطبعة الثانية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٨م، ج٣، ص١٠٠.

(٣) ابن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب، ص٩٤؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ج٣، ص٣٨١؛ حسين، التاريخ السياسي والحضاري، ص٣١٧.

(٤)الفاسي، الأنيس المطرب، ص١٣٧.

افتتاح الأندلس واتساع عمليات الجهاد في شبة الجزيرة، لم تعد هذه الموارد الشرعية المتواضعة تكفي لمواجهة تلك المسئولية الجديدة(١).

فاضطر أمير المسلمين يوسف بن تاشفين إلى فرض ضرائب جديدة على أهل المغرب والأندلس(٢)، وحاول أمير المسلمين يوسف بن تاشفين إجبار العامة على أدائها، غير أن أحد الفقهاء تجرأ على معارضته(٣)، فقد استغاث أهل المرية بالقاضي أبي عبد الله بن الفراء قاضي بلدهم، بأن يرد على أمير المسلمين يوسف ابن تاشفين في طلب ضريبة المعونة منهم، وذكر أمير المسلمين يوسف بن تاشفين في خطابه إلى أهل المرية أن جماعة من الفقهاء أفتوه بجواز، طلب ذلك اقتداء بعمر بن الخطاب رضي الله عنه، فكتب أبو عبد الله بن الفراء رسالة إلى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين يقول فيها: " أما بعد ما ذكره أمير المسلمين من اقتضاء المعونة وتأخري عن ذلك، وأن أبا الوليد الباجي وجميع القضاة والفقهاء بالعُدوة والأندلس أفتوا بأن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه اقتضاها، وكان صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وضجيعه في قبره ولا يشك في عدله، فإن كان الفقهاء والقضاة أنزلوك بمنزلته في العدل فالله سائلُهم عن تقلدهم

(١)حسين، التاريخ السياسي والحضاري، ص٣١٧.

(٢)حسين، التاريخ السياسي والحضاري، ص٣١٧.

(٣)إبراهيم القادري بوتشيش، مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، دار الطليعة، بيروت، ١٩٩٧م، ص٢٠٨.

فيك، وما اقتضاها عمر حتى دخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وحلف أن ليس عنده درهم واحد من بيت مال المسلمين ينفقه عليهم، فلتدخل المسجد الجامع هنالك بحضرة أهل العلم، وتحلف أن ليس عندك درهم واحد، ولا في بيت مال المسلمين، وحينئذ تستوجب ذلك، والسلام "(١).

فطلب ابن الفراء من أمير المسلمين يوسف بن تاشفين أن يقسم في الجامع بحضرة أهل العلم بأن ليس له درهم واحد في بيت المال، جعله يفكر، ويتراجع عنها، فلم تجب هذه الضريبة في تلك السنة، لكنها أقرت في عهد ابنه أمير المسلمين علي بن يوسف(٢).

وكان أبو بكر عيسى بن الوكيل اليابُري(٣) الكاتب يعمل في غرناطة في الدولة اللمتونية، فكثرت ديونه وارتفعت، فبلغت عشرة آلاف دينار، فقبض عليه وأشخص منكوبًا إلى مراكش، فعندما وصل الموكلون به مدينة سلا(٤)، وبها

---

(١)المقري، نفح الطيب، ج٣، ص٣٨٦ -٣٨٧.

(٢)المقري، نفح الطيب، ج٣، ص٣٨٦-٣٨٧.

(٣)اليابري: نسبة إلى يابرة Evora من كور باجة بالأندلس و هي مدينة قديمة متوسطة وتقع بالقرب من بطليوس من بلاد غربي الأندلس (انظر: مجهول، تاريخ الأندلس،، ص١٠٣؛ الحميري، الروض المعطار، ص٦١٥).

(٤)سلا Salé: مدينة قديمة ببلاد المغرب في جنوب غرب مراكش على ساحل البحر (انظر: الحموى، معجم البلدان، ج٣، ص٢٣١؛ الحميرى، الروض المعطار، ص٣١٩).

بنو القاسم المعروفون ببني عَشرةَ، أصحاب السماح والأمداح، فسأل أبو بكر اليابري، قاضي سلا علي بن القاسم بن محمد بن عشرة الصفح والعفو، فأرسل إليه قصيدة يمدحه ويستجير به ويستعطفه قال في أولها[1] :

سلِ البرقَ إِذ يَلتاحُ من جانب البَلقا أَقِرطَي سُليمى أم فؤادي حَكى خَفقا

ولِمَ أسبَلَت تلك الغمامةُ دمعَها أَرِيعت لوِ شكِ البَين أم ذاَقتِ العِشقا

فبادر القاضي علي بن القاسم عند الوقوف عليها إلى المخاطبة بتضمن المال وتحمله، وسؤال الصفح عنه، والإبقاء عليه بإعادته إلى عمله، فعفى عن أبي بكر اليابري، وعاد ابن الوكيل إلى غرناطة[2].

كما كان محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد مرسى الخشني، يعرف بمرسى أبي جعفر بن أبي جعفر فقيهًا حافظًا مستبحرًا في علم الرأي، حريص على طلب العلم والترغيب فيه، أصيلًا، وجيهًا كامل المروءة، مشهور الوفاء، وكان أول ظهوره أن أباه أبا محمد لما ألزم أداء ضريبة كان الناس يؤدونه على ضياعهم ورباعهم، أنف من ذلك وأبى من أدائه، حتى عطلت عليه أملاكه، ومنع من غلتها، فكان يختم كل يوم مجلسه بالدعاء على الوالي الذي

(١)ابن الأبار، إعتاب الكتاب، ص٢٢٤-٢٢٥؛ الحميري، الروض المعطار، ص٦١٦-٦١٧.

(٢)ابن الأبار، إعتاب الكتاب، ص٢٢٥ ؛ الحميري، الروض المعطار، ص٦١٧.

عطلها عليه، ويقسم ألا يؤدي درهم مغرم بباطل أبدًا، فتوجه ابنه أبو جعفر هذا إلى القاضي أبي الوليد بن رشد بقرطبة طالبًا منه مخاطبة أمير المسلمين علي ابن يوسف بمراكش في ذلك، لما اشتهر من مكانة أبي الوليد عند ولاة الأمر اللمتونيين، واحترامهم جانبه وإجلالهم إياه وقبول شفاعته، والوقوف عند آرائه وإشاراته، فكتب له بما رغب فيه، وقصد إلى مراكش، وأنهى كتاب القاضي أبي الوليد إلى أمير المسلمين علي بن يوسف، فكتب له منشور تنويه وإكرام، وكتب إلى الوالي حينئذ بمرسية أن يرفع الطلب عنه بما ذكر، ويحاشيه من إلزام شيء من تلك الضرائب، ولا يعرض له إلا بأحفلِ المبرة، فأقبل به، ولم يكن ذلك عن رأي أبيه ولا تعرض له، وإنما كان ذلك امتعاضًا من أبي جعفر هذا، ولم يزل أمره في الجلالة والظهور يتمادى حتى انتهت إليه رئاسة بلده وأحوازه[1].

(١)عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، السفر السادس، ص٣٠٨.

ثالثًا: وساطات عند القضاة وأعوانهم

وجه أمير المسلمين يوسف بن تاشفين القاضي أبي القاسم أحمد ابن محمد بن علي بن محمد بن عبد العزيز التغلبي قاضي الجماعة في الأندلس إلى ضرورة اتباع الحق في الأحكام دون أن يعرف في الله لومة لائم، فكتب له[1]: "ولا تبالِ برغم راغم وتشفق من ملامة لائم، فآس بين الناس في عدلك ومجلسك حتى لا يطمع قوي في حيفك ولا ييأس ضعيف في عدلك، ولا يكن عندك أقوى من الضعيف حتى تأخذ الحق له، ولا أضعف من القوى حتى تأخذ الحق منه...".

كما كان أمير المسلمين علي بن يوسف يوصي عند تعيين القاضي أن يكون عادلًا حازمًا، لا تأخذه في الله لومة لائم[2]، كما تمتعت السلطة القضائية باستقلال كبير عن السلطة التنفيذية[3]، وفي رسالة من أمير المسلمين علي ابن يوسف إلى الوحيدي قاضي مالقة أوضح فيها ضرورة التأكد من الأحكام قبل

(١)ابن بسام، الذخيرة، ق٢، م١، ص١٠٦؛ إيناس حسني البهجي، تاريخ المغرب والأندلس " في عصر المرابطين والموحدين وحتى سقوط دولة بني الأحمر "، دار التعليم الجامعي، الإسكندرية، ٢٠١٥م، ص٢٠٦.

(٢)محمود علي مكي، وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين، صحيفة معهد الدراسات الاسلامية، مدريد، المجلد السابع، العدد ١-٢، ١٩٥٩م، ص١٧١؛ حسين، التاريخ السياسي والحضاري، ص٢٨٤.

(٣)مكي، وثائق تاريخية جديدة، ص١٤٠؛ حسين، التاريخ السياسي والحضاري، ص٢٨٥.

الفصل فيها، وضرورة تمييز الحقائق فقال موضحًا معنى القضاء: "لرفع المشكلات وتمييز الحقائق من المتشابهات، والفصل بعد التبرم في الدعاوى والمنازعات"[1]، وعندما ارتفعت مكانة الفقهاء في دولة المرابطين خاصة في عهد أمير المسلمين علي بن يوسف، فكان يأمر القضاة بألا يقطعوا أمرًا ولا يبت حكم في صغير من الأمور ولا كبير إلا بمحضر أربعة من الفقهاء، فارتفعت مكانة الفقهاء، وكثرت أموالهم، وارتفع قدرهم، والتف الناس حولهم متقربين، وقصدهم أصحاب الحاجات يلتمسون الوساطة والشفاعة[2]، فقد خاطب أحد الفقهاء، وهو الفقيه أبو جعفر بن أبي متشفعًا لأحد الأعيان عند القاضي أبي الحسن بن أضحى فتلقى ابن أضحى شفاعته بالقبول، ويدل ذلك على قبول القضاة الشفاعات والوساطات في بعض الأمور[3].

كما كان أبو الحسن عبد الله بن مروان بن محمد بن عبد العزيز (ت ٥٣٥هـ/ ١١٤١م)، قاضي بلنسية، تولى القضاء بعد أبي الحسن محمد ابن واجب، وكان أبو الحسن عبد الله بن عبد العزيز أول قضاة بني عبد العزيز، وأقام في ولايته نحو عشر سنين، ثم صرف بأبي محمد ابن جحاف، وكان حسن

---

(١)مكي، وثائق تاريخية جديدة، ص١٧١؛ عنان، عصر المرابطين والموحدين، ص٤٣١؛ حسين، التاريخ السياسي والحضاري، ص٢٨٤.

(٢)المراكشي، المعجب، ص١٥٠؛ حسن أحمد محمود، قيام دولة المرابطين، ص٣٧٢.

(٣)ابن خاقان، قلائد العقيان، ج٢، ص٦٤٧-٦٤٨؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ج٤، ص٨٤.

السيرة، فلما صرف عن القضاء، كان له حق عند ابن جحاف[1]فقال: يأتي إلى مجلسي حتى أعتذر إليه، وكان أبو حفص عمر بن أبي الحسن بن واجب واقفًا، وكان بينه وبين ابن عبد العزيز من التهاجر أشد ما يكون بين اثنين، ولكن عمر ابن أبي الحسن أدركته الحفيظة، فأشار بخلاف ذلك، حفاظًا على أصحاب المناصب، وقال أتوجه أنا وأبوعامر بن شروية، وهو يومئذ الخطيب إلى داره حتى نعتذر إليه فأقنع ذلك ابن جحاف، وعلم عبد الله بن عبد العزيز، فخرج لهما متلقيا وبهما متحفيًا والتقوا بالمسجد الذي يلي موضعه، واحكما كل ما ألزمته الأحكام معه، واصطلحا، وشكر له أبو الحسن هذا ما صنعه، ثم لم يمض وقت طويل حتى صرف ابن جحاف بابنه مروان بن عبد الله بن عبد العزيز، واحتاج في حكومته إلى ما احتاج إليه أبوه فقال: مروان يحضر مجلسي حتى أعتذر إليه، وكأنما سمع قوله فرد عليه، وحضر ذلك أيضًا أبو الحسن بن واجب، فقال ليس

---

(١)هو أبو جعفر بن بن عبد الله بن جحاف المعافري قاضي بلنسية وقائد حركة المقاومة في المدينة ضد الاستعمار القشتالي وأتباعه أمثال السيد القنبيطور وحليفه القادر بن ذي النون الذي تخلى عن مملكة طليطلة لملك قشتالة الفونسو السادس مستعيضًا عنها بولاية بلنسية؛ ولقد انتهز ابن جحاف فرصة غياب السيد القنبيطور عن بلنسية وقام بثورته في سنة ٤٨٥هـ/ ١٠٩٢م. وقتل القادر بن ذي النون واستولى على أمواله، ولم يلبث أن اختير ابن جحاف رئيسًا للجماعة في المدينة فتولى زمام أمورها،ثم أحرقه السيد القنبيطور واستشهد في سنة ٤٨٨هـ/ ١٠٩٥م. (ابن الأبار، الحلة السيراء، ج٢، ص١٢٣-١٢٦).

هذا من الأدب معه، وقد سلفت له قبل أبيك يد وذكر القصة إلى آخرها، فقال: والله لا يكون الحكم إلا في داره دون توكيل ولا مكتوب، ثم نهض إليه فاصلًا تلك الحكومة، ومخلدًا هذه الأكرومة[1].

(١)ابن الأبار، المعجم، ص٢٢٢-٢٢٣.

الفصل الخامس

وساطات لنشر العلوم الدينية الجديدة النافعة للناس

أولًا: السعاية بالفقيه أبي القاسم أصبغ الأزدي

ثانيًا: حرق كتاب إحياء علوم الدين للإمام الغزالي

ثالثًا: السعاية بابن العربي وعلومه

الفصل الخامس

وساطات لنشر العلوم الدينية الجديدة النافعة للناس

قامت سياسة المرابطين على تعاليم مذهب الإمام مالك، ومؤسسو الدولة الأولون هم تلاميذ لأبي عمران الفاسي وعبد الله بن ياسين، والأول كان على رأس المالكية بالقيروان، والثاني درس على المالكية بقرطبة وأتم دراسته على وجاج بن زلو، فلا غرابة أن يتشبع أمراء المسلمين المرابطين بتعاليم المذهب المالكي، وأن يحترموا فقهاء هذا المذهب حتى لا يصدروا إلا عن رأيهم فالفقهاء هم الذين استقدموا المرابطين للجهاد بالأندلس، وكان خلع أمير المسلمين يوسف بن تاشفين لملوك الطوائف بفتوى من الفقهاء وحينما فكر أمير المسلمين علي بن يوسف في تسوير مراكش استفتى الفقهاء بالمغرب والأندلس، وعندما قرر أن يغرب النصارى المعاهدين بغرناطة إلى المغرب، استصدر في ذلك فتوى من ابن رشد[1]، ولم يزل الفقهاء على ذلك، حتى عظم أمرهم في دولة المرابطين، وزاد نفوذهم، وزادت أموالهم، واتسعت مكاسبهم[2]، وتصارعهم على السلطة، وتنافسهم فيما بينهم، والوشاية ببعضهم.

---

(١)ابن الخطيب، الإحاطة، ج١، ص١١٤ ؛ حركات، المغرب عبر التاريخ، ج١، ص١٦٩.

(٢)المراكشي، المعجب، ص١٥٠.

كان لتعصب فقهاء المالكية، خاصة فقهاء قرطبة لكل ما ينتسب إلى مذهب مالك من غير أي مناقشة[1]، سببًا في السعاية ببعض العلماء والفقهاء والإضرار بهم ومؤلفاتهم ومحاربتهم بمختلف الوسائل، من ذلك:

أولًا: السعاية بالفقيه أبي القاسم أصبغ الأزدي

لحقت أبا القاسم أصبغ بن محمد بن أصبغ الأزدي كبير المفتين بقرطبة سعاية ألزمته داره آخر عمره، فقد كان أبو القاسم أصبغ الأزدي من أعظم العلماء، وكبار الفقهاء، وحافظًا للفقه على مذهب مالك وأصحابه، عالمًا بالفتوى، ومقدمًا للشورى، وحافظًا للقرآن العظيم، كثير التلاوة له، مجودًا لحروفه، حسن الصوت به، وكان لا يداهية أحد من أصحابه في ذلك، وتولى الصلاة بالمسجد الجامع بقرطبة،ولم تشر المصادر إلى أسباب السعاية والوشاية التي أدت إلى حرمان الناس منفعة علمه،وربما كانت تلك السعاية حسدًا له، لعلمه ومكانته في قرطبة، فلزم داره إلى أن توفي صفر ٥٠٥هـ/ أغسطس ١١١١م[2].

---

(١)حركات، المغرب، ج١، ص١٦٩.

(٢)ابن بشكوال، الصلة، ج١، ص١٠٩-١١٠.

ثانيًا: حرق كتاب إحياء علوم الدين للإمام الغزالي

أمر أمير المسلمين علي بن يوسف عام ٥٠٣/ ١١٠٩ -١١١٠م بإجماع قاضي قرطبة ابن حمدين وفقهائها على حرق كتاب الإحياء فأحرق على الباب الغربي من رحبة جامع قرطبة بجلوده بعد إشباعه زيتًا بمحضر جماعة من أعيان الناس، ووجه إلى جميع بلاده يأمر بإحراقه، وتوالى الإحراق على ما اشتري منه ببلاد الغرب في ذلك الوقت، فكان إحراقه له سببًا لزوال ملكهم وانتشار سلكهم، وعندما علم الإمام الغزالي بخبر حرق كتاب الإحياء في المغرب والأندلس قال[١]: " اللهم مزق ملكهم كما مزقوه واذهب دعوتهم كما حرقوه ".

كان فقهاء قرطبة قد اتفقوا على إغراء أمير المسلمين علي بن يوسف بإحراق كتاب إحياء علوم الدين للغزالي، لما كان صاحب هذا الكتاب يحاول التوفيق بين الفقه وعلم الكلام، ويتخذ المنطق سبيلًا إلى تحليل المعتقدات، فقد تزعم حركة الفقهاء المضادة القاضي ابن حمدين[٢]، من أبرز الفقهاء والقضاة في دولة المرابطين، وكان محببًا للناس، وحاز مكانه لم يحزها غيره ممن سلف، وكان أمير المسلمين علي بن يوسف لا يخالفه في شيء[٣]، وكان له الدور الأكبر في حرق

---

(١)ابن القطان، نظم الجمان، ص٧٠-٧١ ؛ ابن عذاري، البيان، ج٤، ص٥٩-٦٠.

(٢)ابن القطان، نظم الجمان، ص٧٣؛ حركات، المغرب، ج١، ص١٦٩.

(٣)ابن القطان، نظم الجمان، ص٧٤.

كتاب الإحياء، والسعاية عليه عند أمير المسلمين علي بن يوسف، حتى أمر بإحراقه.

فقد كان الإحياء من أهم المؤلفات التي شاعت في عصر المرابطين، ولقيت رواجًا لدى جماهيره من المتصوفة والصالحين، فمؤلفه من أعظم مفكري المسلمين، فقد كان متمكنًا في علوم الدين، والمساهمة الأساسية التي قدمها الغزالي هو أنه استطاع أن يجعل التصوف جزءًا من الدين ومقبولًا لدى علمائه، فهو الذي جعل للتصوف مكانة راسخة لدى أهل السنة(١)، غير أن الفقهاء أصحاب النفوذ الكبير في دولة المرابطين، انصرفوا إلى محاربة كتب الغزالي والحديث عنها، ولم يقوموا بدورهم في المجتمع بتوجيه الرعية التوجيه السليم، وتركوا الأمور الجوهرية تنتشر في البلاد كالشعوذة والمهدية(٢)، والأعجب من ذلك أن القاضي ابن حمدين قال: بتكفير كل من قرأ كتاب الإحياء(٣).

وتحدثت المصادر والمراجع عن الكثير من الأسباب التي جعلت الفقهاء يحرضون ويقومون بحرق كتاب الإحياء للإمام الغزالي منها:

---

(١)مراد، المتصوفة، ص٢٣.

(٢)الفقي، تاريخ المغرب والأندلس، ص٢٦١.

(٣)المراكشي، المعجب، ص١٥١.

أولًا: أن الفقهاء قرروا عند أمير المسلمين علي بن يوسف تقبيح علم الكلام، وكراهة السلف له وهجرهم من ظهر عليه شيء منه، وأنه بدعة في الدين، وربما أدى أكثره إلى اختلال في العقائد في أشباه لهذه الأقوال حتى استحكم في نفسه بغض علم الكلام وأهله، فكان يكتب عنه في كل وقت إلى البلاد بالتشديد في نبذ الخوض في شيء منه، وتوعد من وجد عنده شيء من كتبه، فقد كان اهتمام فقهاء المرابطين بعلم الفروع وهو علم العبادات والمعاملات، وأهملوا علم الأصول أو أصول الدين، فعندما وصلت كتب الإمام الغزالي إلى المغرب والأندلس، وفي مقدمتها كتاب الإحياء، وقرئت وذاع صيتها، أنكروا كثيرًا من المسائل التي وردت في كتاب الإحياء، وزعموا أنها مخالفة للدين، وعلى رأسهم أبو القاسم ابن حمدين[1].

ثانيًا: احتواء كتاب الإحياء على أحاديث موضوعة لا أصل لها وأحاديث ضعيفة، والصواب إحراقه[2].

(١)المراكشي، المعجب، ص١٥١.

(٢)انظر: الغزالي، إحياء علوم الدين، ج١، ص٩-٥٠؛ إسماعيل بن الأحمر، بيوتات فاس الكبرى، دار المنصور، الرباط، ١٩٧٢م، ص٣٣.

ثالثًا: اعتبار فقهاء قرطبة الإمام الغزالي من أهل الرأي، ونقمهم عليه لموقفه من الفقهاء الذين اهتموا بالفروع دون الأصول[1]، فقد عرض بهم الإمام الغزالي في كتاب الإحياء، وأشار إليهم لاهتمامهم بالفروع، وإهمال الأصول[2].

رابعًا: قد يرجع حرق كتاب الإحياء إلى حرب المالكية على الشافعية، ففقهاء قرطبة على المذهب المالكي والإمام الغزالي على المذهب الشافعي؛ وقد يكون لمنحى كتاب الغزالي الصوفي[3].

(١) مصطفى بنسباغ، السلطة بين التسنن والتشيع والتصوف ما بين عصري المرابطين والموحدين، الطبعة الأولى، مطابع الشويخ، المغرب، ١٩٩٩م، ص٨١.

(٢) الغزالي، إحياء علوم الدين، ج١، ص٩-١٢.

(٣) بنسباغ، السلطة، ص٨٢.

غير أن السبب الواضح لحرق كتاب الإحياء أن المرابطين تركوا الأصول في الدين، واعتمدوا على دراسة الفروع، واعتبروها أقصى غايات علم الدين بدلًا من أن تكون فرعًا ثانويًا، وتعرض الإمام الغزالي بالحديث عنهم في كتبه، الأمر الذي أدى إلى إحراق كتب الإحياء وتكفير كل من قرأه، على الرغم من موقف الإمام الغزالي من دولة المرابطين وتأييده ليوسف بن تاشفين[1] إلا أن سعاية الفقهاء بكتاب الإحياء نجحت، وأقر أمير المسلمين علي بن يوسف حرقه، غير أن هناك من الفقهاء من عارض حرقه مثل أبو الحسن الجزامي المعروف بالبرجي، وأصدر فتوى كما سبق أن أشرنا بذلك، وحاول ابن حمدين السعي به، لخلعه من خُطة كانت بيده في المرية[2]، وفي عام ٥٠٥هـ/ ١١١١م كانت وفاة الإمام الغزالي.

ثالثاً: السعاية بابن العربي وعلومه

ومن نافلة القول نذكر القاضي ابن العربي، عندما تولى منصب قاضي الجماعة وخطة الشورى بإشبيلية، فاصطدم بفقهاء جامدين أو متعالمين أو منافسين فأحس بالغربة بينهم غير أن طلبة العلم كانوا يحجون إليه من جميع

(١)بنسباغ، السلطة، ص٨٣.

(٢)ابن الأبار، التكملة، ج٣، ص١٨٢.

أنحاء الغرب الإسلامي رغبة في علمه الوافر وآرائه المستنيرة، ووجد أنه لابد من توجيه طلبته وإشباع فضولهم العلمي بالإجابة، وتوضيح ما أشكل عليهم، واستغلق على فهمهم، وسبر حيرتهم حول ما كان يروج من أقوال وأحداث(1).

وأشار ابن العربي إلى هؤلاء العلماء المتعالين أو الجامدين بقوله في العواصم(2)" اتخذ الناس رءوسًا جهالًا، فَسُئلوا، فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا "، فقد عانى ابن العربي من الفقهاء الجهال أو المفتين المتساهلين في حق الشريعة من أجل مصلحتهم الخاصة، فكانوا يبحثون عن أقوال العلماء في المسألة التي يسألون فيها ليجدوا قولًا للسائل ولو كان شاذًا عن الجماعة، فكما يحدث لكل عالم مصلح ومجدد تعرض ابن العربي للحساد والمشغبين عليه، وحاولوا إثارة العامة(3)، فيقول ابن العربي موضحًا ما تعرض له(4)"ولقد حكمت بين الناس، فألزمتهم الصلاة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، حتى لم يك يرى في الأرض منكرًا، واشتد الخطب على أهل الغصب، وعظم على الفسقة الكرب، فتألبوا وألبوا، وثاروا علي، واستسلمت لأمر الله، وأمرت كل من حولي ألا

---

(1)ابن العربي، العواصم من القواصم، تحقيق د.عمار الطالبي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٧٤م، ج٢، ص٤٠١؛ عصمت دندش، أضواء جديدة، ص١٤٧.

(2)ابن العربي، العواصم، ج٢، ص٤٨٩.

(3)ابن العربي، العواصم، ج٢، ص٤١٠؛ عصمت دندش، أضواء جديدة، ص١٤٧-١٤٨.

(4)ابن العربي، العواصم، ج٢، ص٤٠٠-٤٠١.

يدافعوا عن داري، وخرجت على السطوح بنفسي، فعاثوا علي، وأمسيت سليب الدار، ولولا ما سبق من حسن المقدار، لكنت قتيل الدار"، واعتبر ابن العربي حسد الفقهاء له، ومحاربته قاصمة " فإن ظهر من له معرفة، أو جاءهم بفائدة في الدين وطريقة من سلف الصالحين، وسرد لهم البراهين، غمزوا جانبه، وقبحوا عجائبه، وعيبوا حقه استكبارًا وعتوًا، وجحدوا علمه، وقد استَيقَنته أنفسهم ظلمًا وعلوًا، وسعوا في إخمال ذكره، وتحقير قدره، وافتعلوا عليه، وردوا كل عظيمة "[1].

وكان موقف ابن العربي قويًا نظرًا لمنصبه، ومكانته القريبة من أمير المسلمين علي بن يوسف، فقد تعرض منزله لهجوم العامة المدفوعة من أصحاب المصالح، فأحرقوا مكتبته ونجى ابن العربي بصعوبة، واتهم ابن العربي بالجهل والبدعة والضلالة، والتنطع في الدين، ومحاولة القيام على أولى الأمر، ورغم ذلك استطاع ابن العربي نشر علومه وتدريس أفكاره، فكتاب العواصم يعد من كتب التراث الفلسفي النادر، وهذا ينفي مزاعم اتهام المرابطين بحرب الفلسفة، تفوق ابن العربي في نقد الفلسفة اليونانية وروحها الوثنية النظرية المجردة، وكان مدركًا تمام الإدراك الاصطلاحات الفلسفية المختلفة من القوة والعقل وغيرها، فابن العربي أظهر في هذا الكتاب باعه الطويل في شتى علوم المعرفة من فلسفة،

(١)ابن العربي، العواصم، ج٢، ص٤٩٥.

وفلك وجدل وفقه وتصوف وحديث وتاريخ، وأبان عن تفوقه في النقد، فابن العربي كان محدثًا حافظًا عالمًا بالصحيح والضعيف، عارفًا بالجرح والتعديل، علاوة على كونه من كبار الفقهاء والأصوليين الذين يزنون العقل بميزان، ولا يثقون به كل الثقة، مادام بجانبه زمام من أزمة الحقيقة وميزان من موازينها المعصومة، وهي النص القرآني، والسنة النبوية الصحيحة اللذان أمداه بالثقة المطلقة ولا يبقى إلا تفسيرها أو بيانهما الذي تتدخل فيه الموازين العقلية والمقاييس الإنسانية أحيانًا، وهو من أئمة الفقه المجددين ومن الرواد الأوائل الذين أدخلوا علم الخلافيات للغرب الإسلامي[1].

(١)عصمت دندش، أضواء جديدة، ص١٤٩-١٥٢.

الفصل السادس

شفاعات في الأوساط الاجتماعية

أولًا: شفاعات في الوسط العائلي

ثانيًا: شفاعات للعبيد والجواري ضحايا غضب ساداتهم

ثالثًا: شفاعات ووساطات للصلح في المنازعات

الفصل السادس

شفاعات في الأوساط الاجتماعية

أولًا: شفاعات في الوسط العائلي

شهد المجتمع الأندلسي وجود مشاكل بين الأزواج أسوة بالمجتمعات الأخرى، فبذل الوساطات بين الأزواج المتشاجرين أو المنفصلين والإصلاح بينهم، من الشفاعات الدنيوية في الأندلس، فربما تدخل أحد أقارب الزوجين للإصلاح بينهم، أو أحد الوعاظ والصالحين، كما شهدت شفاعات ووساطات في طلاق في بعض الحالات إما لخلاف بين الزوج وأهل الزوجة، وإما لعدم رضا أقارب الزوجة عن الزوج لسوء أعماله وشره وفساده، فتشير النوازل إلى تدخل أهل امرأة تزوجها رجل من أهل الشر والفساد، لفسخ النكاح، وقد بنى بها[1].

كما كان أفراد الأسرة ومن يليهم من القرابة يقفون أمام المشكلات الزوجية عدة مواقف تكون إما لتفادي المشكلة والتخفيف منها أو معالجتها بالفصل بين الزوجين، ورغم أن الطلاق كما يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "أبغض الحلال" إلا أن هناك من الحالات ما يستوجب ذلك، فكانت العامة في

(١)الونشريسي، المعيار، ج٣، ص٤٠٤.

معظم الأحيان تراه أفضل وأحسن الحلول(1)، فكما يقول العامة " اتفَراقُ تعيِش"، فالمقصود هنا أن الطلاق قد يكون رحمة للطرفين(2)، فتشير النوازل إلى رجل كانت له ابنة متزوجة فكان بينهما وبين زوجها كلام، فقال أبوها: اتق الله ياعبد الله، فإما أمسكت بالمعروف، وأما سَرحتَ بإحسان، فطلقها، وردت عليه ما أعطاها(3).

وتشير النوازل إلى أب أراد أن يفرق بين ابنته وزوجها، فقد جعل الزوج امرأته بيد أبيها إن غاب عنها سنة، فغاب عنها سنة، فلما انقضت السنة، أراد الأب أن يطلقها، ولكن ابنته رفضت، وأصرت على البقاء مع زوجها، والصبر عليه، فصبرت على زوجها وتحملته(4)، ولم تنجح سعايات الأب في

---

(١)مريامة لعناني، الأسرة الأندلسية في عصري المرابطين والموحدين، رسالة ماجستير غير منشورة نوقشت في كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بجامعة منتوريقسنطية، بدون تاريخ، ص٩١.

(٢)الزجالي، أمثال العوام، ق٢، ص٨٦.

(٣) ابن رشد، البيان والتحصيل، تحقيق أ.أحمد الحبابي، الطبعة الثانية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٨م، ج٦، ص٣٢.

(٤) ابن رشد، البيان والتحصيل، تحقيق أ.محمدالعرايشي، الطبعة الثانية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٨م، ج٥، ص٢٥٢.

طلقها، كما شفع القاضي أبو الحسن بن أضحى[1] في رجل طلق امرأته عند أحد أوليائه، ثم علقت بها نفسه، غير أن ابن عذاري لم يشر إلى قبول الشفاعة أم لا[2].

ومن المشاكل الزوجية في الفترة المرابطية تتجلى في طول مدة غياب الأزواج عن نسائهم اللائي أصبحن يشترطن في عقود صداقهن ألا يغيب عنهن أزواجهن، وغالبًا ما تغاضى الرجال عن هذا الشرط، مما أدى إلى تفاقم المشاكل التي وصلت أحيانًا إلى الطلاق، وفي حالة مغيب الزوج مدة طويلة، كانت المرأة تكتب عقدًا يشهد بصحة مغيبه، وعدم إنفاقه عليها، وقد حكم لزوجة أدعت غياب زوجها أن تنتظر أربعة أعوام، فإذا لم يرجع إليها أصبحت حرة في تطليق نفسها، وكان غياب الأزواج للتجارة[3]،وقد يكون طول الغياب بسبب الجهاد ضد النصارى أو فقدان الزوج أثناء الحروب والفتن الداخلية بحيث لا تدري، ولا تعرف الزوجه حياته من مماته[4]، والإشكالية نفسها طرحت لدى أسير

---

(١)هو أبو الحسن علي بن عمر بن محمد بن مشرف بن أحمد بن أضحى بن عبد اللطيف بن غريب بن يزيد ابن شمر، من همدان، ولد بالمرية في شهر ربيع الأول ٤٩٢هـ/ فبراير ١٠٩٩م، وولي قضاءها ٥١٤هـ/ ١١٢٠م، بعد أبي عبد الله بن الفراء، وولي قضاء غرناطة (انظر: ابن الأبار، الحلة السيراء، ج٢، ص٢١١ ؛ ابن سعيد، المغرب، ج٢، ص١٠٨).

(٢)ابن الخطيب، الإحاطة، ج٤، ص٨٥.

(٣) الونشريسي، المعيار، ج٤، ص١٩؛ إبراهيم القادري بوتشيش، المغرب والأندلس في عصر المرابطين "المجتمع–الذهنيات–الأولياء "،الطبعةالأولى،دارالطليعة،بيروت، ١٩٩٣م،ص٤٠-٤١.

(٤)الونشريسي، المعيار، ج٤، ص٥؛ أبو مصطفى، تاريخ الغرب الإسلامي وحضارته، ص٣١٦.

الحرب، فنص فقهاء الحقبة المرابطية أن يظل معلقًا، لا تتزوج ولا يورث حتى يوقن بموته وينصر طائعًا[1]، فتشير النوازل إلى أن امرأة ادعت أن زوجها غائب ولم يترك لها شيئًا، ورفعت أمرها إلى السلطان، وأرادت الفراق، إذ لم يترك لها نفقة، فتدخل رجل من أقارب الزوج أو من الغرباء وتكفل بالنفقة، حتى لا تفارق الزوجة زوجها، ولا تطلب الطلاق[2]، فبتدخل الوسطاء سواء كانوا غرباء أو أقارب رفعوا الضرر عن المرأة، وحفظ للرجل الغائب بيته حتى يعود.

ومن المشاكل التي تنشأ بين الزوجين مشاكل مادية تتعلق بالجانب الاقتصادي للزوج والزوجة، فقد تغيرت زوجة على زوجها، وحدث بينهما مشاجرة لضيق ظروف المعيشة، فتدخل رجل من أصدقاء زوجها، وسألها عن سبب تغيرها على زوجها فقالت: لا يأتيني بنفقة ولا بمقدار من ربع درهم من الحضرة، ولو كان يأتيني بعشرة أمداد الزرع وأجعل أنا مثلها أو يكون باقي النفقة من عندي لرضيت بذلك، فقال الزوج: ليس عندي شيء، وإن فتح الله علي بشيء أتيتها به، فقال له صديقه المذكور حينئذ عليه الطلاق، إن أبقاك الله عز وجل لأعطينك ما تأكل حتى تموت، ويتكفل به، وكان الزوج وامرأته المذكور

(١)الونشريسي، المعيار، ج٤، ص٥؛ بوتشيش، المغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص٤١.

(٢)الونشريسي، المعيار، ج٤، ص١٩.

ممن يأكل تارة القمح وتارة الشعير(1)، فأصلح صديق الزوج ما بين الزوجين، واستقرت العلاقة الزوجية بينهما، بشفاعة ذلك الرجل ووساطته.

كما كان أفراد الأسرة والأقارب يتدخلون بين الزوجين للإصلاح بينهم لتفادي المشكلة والتخفيف منها(2)، فقد وقع شر كثير بين رجل وزوجته ذات ليلة بعد صلاتهم العشاء، ثم خرج الرجل لبعض شأنه، ولما رجع وجد ولده في داره وأخا الزوجة وابن أخيها، أتوا لما سمعوا بخبر الشر الواقع بين قرابتهم، كما جرت عادة القرابة ليُهدِنوا الشر ويسكنوا أمره(3)، كما أحرجت زوجة زوجها، فتوقد الزوج بالغضب، فصدر منه كلام فيه تهديد ووعيد لها، ففرت بسببه إلى دار من ديار جيرانها، فخرج في أثرها الزوج، وحلف لها بالطلاق لا تبيت الليلة في هذه الدار، وإن خلصها أحد ليقتلنه أو يموت، فانقلبت إلى بيتها وضربها حتى أشرفت على الموت من عظيم ما نزل بها، فدخل عليه أخوه، وأراد خلاصها منه، فلم يقدر ثم ولى هربًا خوف أن يقتله، فخرج فوجدها في بيت جار له، فقال له الجار: ليس هنا من يحول بينك وبينها فافعل ما بدا لك، فهدأ

---

(1)الونشريسي، المعيار، ج٤، ص٩٧.

(2)لعناني، الأسرة الأندلسية، ص٩١.

(3)الونشريسي، المعيار، ج٤، ص٩٩، ١٨٧.

الزوج وقال له: قد وصلت إلى مرادي فيها[1] فشفع الرجل للمرأة وأنقذها من زوجها بحسن ذكائه، وسعى رجل لرد ابنته إلى زوجها، والإصلاح بينهما[2].

وتدخل رجل من خواص زوج طلق زوجته طلقة واحدة مملكة للإصلاح بين الزوجين، وهو مما لا يمكن مخالفته ويستحى منه[3]، فكان له درو في الإصلاح بين الزوجين لمكانته عندهم، وتشير المصادر أيضًا إلى أنه كان لبعض الأقارب دور في إفساد العلاقة الزوجية، فقد سعى أبناء عم رجل متزوج بزوجته، فكانوا يحملونه على ضرب زوجته[4]، كما تشاجر رجل مع أهل زوجته لأمر وقع بينهم، فقالوا: طلق أختنا، فقال الزوج إن ارتحلت عني اليوم فهي طالق، فأتى إليها أخوتها فقالوا: إن زوجك طلقك، فأخذوا متاعها ورحلوها، وهي لا تعلم أمر زوجها ولا ما قال، إلا ما قال لها أخوتها إن زوجك قد طلقك، غير أن الطلاق لا يقع لأن الزوج لم يطلقها، ولكنه قال إنها لو ارتحلت عن البيت فهي طالق، إلا أن أهلها سعوا في ذلك لطلاقها من ذلك الرجل[5].

(١)الونشريسي، المعيار، ج٤، ص١٠٥.

(٢)الونشريسي، المعيار، ج٤، ص١٠٩.

(٣)الونشريسي، المعيار، ج٤، ص١٨٠.

(٤)ابن رشد، البيان والتحصيل، ج٦، ص٦٥.

(٥)ابن رشد، البيان والتحصيل، ج٦، ص١٩٩.

وأشار ابن خاقان إلى أن الوزير الكاتب أبا القاسم بن السقاط شفع لرجل من الأعيان عند بعض إخوانه عني بشأنه، كما شفع لشاب خاف عليه، وتشفع بأخلاقه، غير أن ابن خاقان لم يوضح أسباب تلك الوساطة أو الشفاعة، ولم يذكر المشفوع عنده، ولم يتحدث عن قبول أو رفض الشفاعة[1].

(١)ابن خاقان، قلائد العقيان، ج٢، ص٥٠٥-٥١٠.

ثانيًا: شفاعات للعبيد والجواري ضحايا غضب ساداتهم

شاع في المجتمع الأندلسي بكافة طبقاته وطوائفه وملله تملك العبيد واقتناء الجواري من مختلف الأجناس، وقد استخدمهم الأندلسيون في قصورهم وبيوتهم وأمور شتى، وقد تعرض بعضهم لغضب ساداتهم لاقترافهم بعض الذنوب(١)، وسُعِيَ ببعضهم، من ذلك رجل تزوج جارية، ورفض بعض أهله، وقال: له طلقها، فطلقها، ثم سعى في ردها مرة أخرى بعدما أُعتقت(٢).

وقد اتسمت العلاقة بين الزوجة والعبيد في معظم الأحيان بالتنافر مع الأمة لخشية الزوجة وحرصها على ود زوجها حتى لا يجعل منها أم ولد، تشاركها فيها ثم تصبح متساوية معها في الحقوق(٣)، ويشير ذلك إلى أن الزوجة كانت تسعى بالأمة عند زوجها حتى لا تمكنها منه وتتساوى معها وتشاركها زوجها، كما أغضب خادم سيدته، وحلفت أنه لا يبقى في دارها، ولو جاء سيده (تعني زوجها)، ورده فسترحل الزوجة عن البيت، فجاء الزوج وأخرج الخادم، بإثر ذلك ولم يدخل البيت بعد ذلك(٤).

---

(١)أبو العلا، الشفاعات الدنيوية، ص١٠٦-١٠٧.

(٢)ابن رشد، البيان والتحصيل، تحقيق أ.أحمد الشرقاوي إقبال، الطبعة الثانية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٨م، ج٤، ص٣٢٤؛ الونشريسي، المعيار، ج٢، ص٢١٣.

(٣)بنمليح عبد الإله، ظاهرة الرق في الغرب الإسلامي، منشورات الزمن، الرباط، ٢٠٠٢م، ص٦٣.

(٤)الونشريسي، المعيار، ج٤، ص١٣٠.

ثالثاً: شفاعات ووساطات للصلح في المنازعات

عندما كان موقف المرأة ضعيفًا في المجتمع، عملت على توكيل رجال ينوبون عنها في القضايا المتنازع عليها[1] للحصول على حقوقها كاملة، فوكلت زوجة زوجها لينوب عنها في طلب ميراث من زوج كان قبله توفي، فسعى أولياء الزوج الأول المتوفي، على الزوج الثاني الموكل، فسجنه السلطان، ثم أمره بالصلح فصالح على عشر الميراث أو نحوه وأكره على ذلك[2]، فكانت سعاية أهل الزوج الأول ضد الزوج الثاني حتى لا تحصل المرأة على حقوقها كاملة، ولم يستطع زوجها فعل شيء لظلم السلطان له وسجنه لإجباره على ذلك، كما تدخل رجل بالصلح بين ابني عم له بصلح وإصلاح ما فسد بينهما[3].

وسعى رجل بالصلح بين رجلين تنازعا حول المملوك مبتاع، فأشهد فلان بن فلان شهداء هذا الكتاب أو العقد في صحته وجواز أمره أنه قام على فلان في المملوك الجليقي المسمى فلانًا، ونعته كذا الذي كان ابتاعه فلان بن فلان من فلان بن فلان بكذا وكذا، وقبض البائع فلان جميع ذلك منه بعيوب ألفاها فيه، وذلك كذا كذا وذكر المبتاع فلان أن البائع فلانًا لم يبانيه بشيء من العيوب المذكورة في هذا الكتب أو العقد وأنكر البائع فلان أن يكون علم شيئًا من العيوب التي ذكرها المبتاع فلان، وارتفعا في ذلك إلى التناظر عند بعض الحكام، وطال تنازعهما، ثم إن من رغب الأجر خصهما على الصلح الذي ندب الله إليه

---

(١)بوتشيش، المغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص٤٤.

(٢)الونشريسي، المعيار، ج٩، ص٥٤٨.

(٣)ابن رشد، البيان والتحصيل، ج٦، ص٣٢.

بأن يدفع البائع فلان إلى المبتاع فلان صلحًا عن العيوب المنصوصة في هذا الكتب أو العقد كذا وكذا مثقالًا عينًا ذهبًا من ضرب السكة بموضع كذا في تاريخ كذا، ويلتزم المبتاع فلان بالعيوب المذكورة في هذا الكتب، ويقطع دعواه فيها عن البائع فلان بن فلان، فرضيا بذلك واتفقا عليه والتزما ما دعاهما إليه، ودفع البائع فلان إلى المبتاع فلان كذا وكذا، وقبض المبتاع فلان جميعها منه وأبرأه منها بوصولها إليه، والتزم جميع العيوب التي قام بها، المذكورة في هذا الكتب، وقطع صحته فيها عن البائع فلان قنوعًا منه بهذا الصلح والتزامًا له بعد معرفته بقدر ما التزم من ذلك ومبلغه، وبعد معرفته ببيناته، تاركًا لها، وبأمكنة منافعه وما كان يرجو به إحقاق مطلبه، فمتى قام المبتاع فلان على البائع فلان في شيء من العيوب المذكورة في هذا الكتب أو قام عنه بسببه قائم فقيامه وقيام من قام عنه في ذلك باطل وحجته داحضة[1]، وبذلك استطاع من توسط للصلح وسعي في الخير أن يصلح بين الطرفين، ويرضي كل من الطرفين بما شرطه المصلح.

وكان قد تنازع رجلان في حصة من دار أو ملك، فسعى رجل بالصلح بين الطرفين، فقد أشهد فلان بن فلان شهداء هذا الكتاب أو العقد في صحته وجواز أمره أنه قام على فلان ابن فلان في الأملاك التي بقرية كذا من إقليم كذا، وذكر أن له من هذه الأملاك حصة كذا على الإشاعة فيها، وأن فلان بن فلان يمنعه حقه فيها بغير حق يجب له، وأنكر فلان ذلك من دعواه، وقال إن جميع

(١)عبد الواحد المراكشي، وثائق المرابطين والموحدين، تحقيق د. حسين مؤنس، الطبعة الأولى، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٩٩٧م، ص٣٧١-٣٧٢.

ذلك ماله وملكه، ولا حق لفلان معه في شيء من ذلك بوجه من الوجوه، ولا سبب من الأسباب، وتناظرا في ذلك عند فلان بن فلان صاحب أحكام كذا بموضع كذا، وتنازعا عنده، وطال تنازعهما إلى أن دعاهما من رغب الأجر إلى الصلح الذي حض الله عز وجل عليه وندب إليه، بأن يكون للمدعى فلان من جميع الحصة من الأملاك كذا وكذا على الإشاعة، أو بأن يدفع فلان إلى فلان كذا وكذا، ويقطع فلان دعواه المذكورة في هذا الكتب عن فلان ابن فلان في جميع ما قام فيه عليه، فرضيا بذلك والتزماه، ودفع فلان إلى فلان جميع ذلك وقبضه منه، وأبرأه من جميع ذلك[1]، فتوجت مساعي الرجل الذي دخل في الصلح بين الطرفين بالنجاح، وأنهى الخلاف بينهما، وتنازل من قام بالدعوى على الآخر عن دعوته.

كما وقع نزاع بين زوجين على كالىء مهر[2] (صداق مؤجل أي مؤخر)، فأشهدت فلانة بنت فلان، وفلان ابن فلان الذي كان زوجها إلى أن بارأها شهداء هذا الكتب أو العقد في صحتهما وجواز أمورهما بما يأتي به الذكر عنهما فيه، وذلك أن فلانة قامت على فلان فذكرت أن لها عليه كالىء مهر، وذلك كذا

---

(١)المراكشي، وثائق، ص٣٩٣-٣٩٤.

(٢)فقد كان صداق الزوجة كما هو الحال اليوم ينقسم إلى معجل ويسمى النفقة، والكالىء أي المؤخر، وربما كان النزاع هنا بسبب المؤجل أي المؤخر الذي يتفق مع موعد أدائه في العقد، وكان عادةً لا يُدفع إلا عند الطلاق أو وفاة الزوج. (الونشريسي، المعيار، ج٤، ص٧٩،٤٨٢).

وكذا دينارًا دراهم، من صفة كذا بدخل كذا، حالة قبله، قد وجب اقتضاؤها لها منه بزعمها، وتنازعا في ذلك، وهما بالتخاصم فيه، ثم إن من رغب الأجر من المسلمين دعاهما إلى الصلح الذي حض الله عليه وندب إليه، فأجابا إلى ذلك رغبة في الإصلاح وتنزهًا عن خصام، فاصطلحا على أن دفع فلان إلى فلانة عن العدة المذكورة كذا وكذا دينارًا من العيون الذهب الجعفرية أو الهاشمية، وصارفها بها صرفًا ناجزًا مقبوضًا وقت اصطلاحهما وقبل افتراقهما، وقبضتها منه طيبة جيادًا، وأبرأته منها ومن جميع كالئها المذكور، وأسقطت عنه التبعة فيه، وقطعت الحجة عنه بسببه، ولم يبق لواحد منهما قبل صاحبه دعوى، ولا حجة ولا تبعة ولا علقة يمين بوجه من الوجوه ولا بمعنى من المعاني حديثها وقديمها، فمتى تقدم واحد منهما على صاحبه بدعوى فدعوته باطلة[1] واستطاع الرجل المصلح حل النزاع بين الطرفين، ويعطي لكل ذي حق حقه.

---

(١)المراكشي، وثائق، ص٣٩٧-٣٩٨.

الفصل السابع
وساطات لشغل المناصب الرفيعة
والحصول على امتيازات دون استحقاق

أولًا: وساطات لشغل المناصب الرفيعة

ثانيًا: وساطات للحصول على امتيازات دون استحقاق

الفصل السابع

وساطات لشغل المناصب الرفيعة والحصول على امتيازات دون استحقاق

أولًا: وساطات لشغل المناصب الرفيعة:

زودتنا المصادر بأخبار قيمة عن وساطات لشغل بعض الوظائف والمناصب الرفيعة بالجهازين التشريعي والإداري للدولة، أو للترفيع من منصب أدنى إليها، أو لتدعيم مكانة أصحابها، ونستدل من الروايات أن الوسطاء قد توسطوا لأناس يستحقون شغل هذه المناصب لاقتناعهم العميق بكفاءتهم، فقد كانوا حريصين على إسناد مسئولياتها إلى مَنْ هم أقدر على حمل أمانتها[١]، فتشير النوازل إلى مدينة فيها أمير وليس فيها قاضٍ، فكتب الأمير إلى الأمير الأعلى أن المدينة ليس بها قاضٍ ينظر في أمور المسلمين، فيها فلان يصلح للقضاء، فكتب إليه الأمير الأعلى أن يوليه القضاء، ففعل الأمير ما حد له الأمير الأعلى وولاه القضاء، وكتب له بذلك صكًا عن أمر الأمير الأعلى، فحكم القاضي المذكور في البلد الموصوف[٢]، وكان توليه القضاء بعدما أشار أمير المدينة على الأمير الأعلى بأن يوليه القضاء، ولم تشر المصادر إلى اسم المدينة، وأسماء الأمراء، كما لم تشر إلى

(١)أبو العلا، الشفاعات الدنيوية، ص١١٢.

(٢)ابن رشد، فتاوى ابن رشد، ج١، ص١٨٢.

اسم القاضي، غير أنها بينت وساطة الأمير لذلك الشخص ليتولى القضاء في تلك المدينة التي تحتاج إلى قاضٍ للفصل في المنازعات والأحكام.

كان تولية القاضي في دولة المرابطين تتم بناء على ترشيح أهل البلاد، أي أن اختيار القاضي كان يتوقف على رغبة أهل البلد(1)، لما يعرفون فيه العدل والورع والزهد، إقامة العدل بينهم، فكانوا يرشحون من يرونه مناسبًا لمنصب القضاء في بلدهم، وكان تعيين القاضي يصدر بمرسوم عن أمير المسلمين، وكذلك عزله(2) فقد أجمع أهل المرية على تولية أبي محمد عبد الله بن إبراهيم ابن هاشم القيسي القضاء، لزهده وعلمه وعدله، فكتبوا إلى أمير المسلمين يوسف ابن تاشفين ليوليه القضاء في المرية، غير أن أبا محمد بن هاشم القيسي رفض منصب القضاء، وتوجه إلى كبيرهم الذي يستمعون إليه، ويصدرون عن رأيه وقال له: إن فعلتم هذا فررت عن أهلي وولدي والله يسألكم عني وعنهم فتركوه لأصراره على عدم تولي منصب القضاء، وتولى القضاء أبو عبد الله ابن الفراء(3).

---

(1)مكي، وثائق تاريخية، ص١٦٤؛ حمدي حسين، الحضارة الإسلامية، ص٣٢٨.

(2)مكي، وثائق تاريخية، ص١٦٤؛ البهجي، تاريخ المغرب والأندلس، ص٢٠٦.

(3)ابن الأبار، التكملة، ج٢، ص٢٤٧؛ عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، السفر الخامس، ص١٢-١٣.

كما كان يعتبر منصب قاضي الجماعة من أرفع المناصب القضائية في الأندلس في دولة المرابطين، كان صاحبه يشرف على القضاء في جميع أنحاء الأندلس، ومن المرجح إن هذا المنصب الخطير كان لا يتولاه إلا كل من يثبت كفاءة عالية في أمور القضاء[1].

ومن نافلة القول أن المصادر تذكر أن أمير المسلمين علي بن يوسف تزوج في سن مبكرة كعادة المرابطين من إحدى قريباته، وصار أبًا في السادسة عشر من عمره عندما أنجب منها ولده البكر أبا بكر، وبعد مدة رزق من جاريته الرومية ضوء الصباح بابنه الثاني تاشفين، وينجب ابنه سير من جاريته الرومية فائقة الجمال اسمها قمر، وهي التي حظيت عنده وملكت عليه أمره، وخصوصًا وأن زوجته الأولى كانت صغيرة السن ولم يكن لها تأثير عليه لأنه تزوجها في سن مبكرة، كما أن الجارية ضوء الصباح قد فقدت مكانتها على ما يبدو بوصول قمر، واستطاعت قمر بذكائها وجمالها أن تسيطر على قلب الأمير علي بن يوسف، وتبعد أي منافسة لها، ولو أدى الأمر إلى قتلها[2].

---

(١)ابن بسام، الذخيرة، ق٢، م١، ص١٠٦؛ البهجي، تاريخ المغرب والأندلس، ص٢٠٦.

(٢)ابن القطان، نظم الجمان، ص٢٤٥؛ دندش، أضواء جديدة، ص١٧٤.

نجحت قمر حظية أمير المسلمين علي بن يوسف في إقناعه بتولية العهد لابنها الأمير سير، ففي رجب من عام ٥٢٢هـ/ ١١٢٨م استدعى أهل الحل والعقد من الفقهاء والقضاة، وجمع لذلك بني عمه، وأخويه الأمير تميم كبيره، وأخاه إبراهيم صغيره المشهور بابن تاعيشت، لكن الأمير أبا بكر لم يرض عن بيعة أخيه سير، وأعلن تذمره وضيقه من تعيينه وليًا للعهد، إذ كان يرى أنه أحق بهذا الأمر منه فهو ابن أمير المسلمين علي بن يوسف البكر من أول زواج له، وأمه حرة لمتونية، لكن ذلك لم يشفع له، فعزله أبوه عن إشبيلية ونفاه إلى الصحراء، وأرسل ابنه الآخر الأمير تاشفين واليًا على الأندلس[1]، وبذلك أصبح الطريق ممهد لابنه سير لولاية العهد .

فقد كان لشفاعة، وسعاية، ووساطة قمر حاظية أمير المسلمين علي ابن يوسف بن تاشفين دور كبير، وعظيم في تولية ابنها سير ولاية العهد بعدما تخلص من منافسة أخويه، و بذلك تخطي أمير المسلمين ابنه أبا بكر أكبر أبنائه في ذلك الاختيار، كعادة أبيه في اختيار ولي للعهد.

---

(١)ابن عذاري، البيان، ج٤، ص٨٠؛ دندش، أضواء جديدة، ص١٧٨.

كما اختار في نفس الوقت ولده الأمير تاشفين لولاية الأندلس، وولاه مدينة غرناطة والمرية، ثم قرطبة بالإضافة إلى ما في يده، وأبدى تاشفين في أداء مهام منصبه مقدره وهمة مشكورة، وظهر بالأخص في ميدان الجهاد ضد النصارى، وذاع صيته في شبة الجزيرة وفي العدوة، فكبر ذلك على أخيه سير ولي العهد، وخاطب سير أباه في ذلك، وأعرب عن قلقه وامتعاضه لما ناله أخوه من بعد صيت وحسن الذكر، وأنه قد غطى بذلك على اسمه، ونال إعجاب أهل المملكة، وأنه لم يبق له معه اسم ولا ذكر، فحاول أمير المسلمين أن يرضي ولده وولي عهده سير، باستدعاء أخيه تاشفين من الأندلس، ولما وصل تاشفين إلى مراكش، نظمه أبوه في حاشية أخيه، وصار من جملة من يتصدق بأمر أخيه ويقف ببابه كأحد حجابه، وكان أمير المسلمين علي بن يوسف متأثرًا في هذا التصرف بنفوذ حظيته قمر أم ولده سير وكان عظيم الإيثار والإرضاء لها، وهي التي حملته على عزل تاشفين وإخماله إرضاءً لأخيه سير[1].

---

(١)ابن عذاري، البيان، ج٤، ص٧٩-٨٠؛ عنان، عصر المرابطين والموحدين، ج١، ص١٤٦-١٤٧.

ويدل ذلك على مدى دور النساء في دولة المرابطين[1] وسيطرتهم على الأمور حتى في مناصب الدولة وخاصة ولاية العهد، فلم يكن أمير المسلمين علي بن يوسف يرفض لقمر كلمة، ويعمل على إرضائها، لذلك ولى سير ولاية

---

(١)ومن نافلة القول أنه كان لنصائح الحرة زينب بنت إسحق الهواري النفزاوية زوجة أمير المسلمين يوسف ابن تاشفين الحظ الأوفى في تأسيس وتدعيم ملكه، وأجمعت المصادر التي بين أيدينا على وصفها بالجمال والفطنة والذكاء، وإنها كانت امرأة حازمة لبيبة ذات رأي وعقل وجزالة ومعرفة بالأمور حتى كان يقال لها الساحرة، وكان لها عدة تجارب سابقة في الزواج من زعماء قبائل وحكام، وفي واقع الأمر فإن دور زينب الحقيقي وطموحاتها، بدأته بزواجها من الأمير يوسف بن تاشفين فقد وجدت فيه الشخص الذي تطلعت للاقتران به، لتحقق من خلاله كل أحلامها، وقد لعبت بزينب الغيرة عندما مدح القاضي ابن خلوف الحرة حواء زوجة الأمير سير بن أبي بكر ووصفها بالجمال الفائق، وفضلها على سائر النساء فأمرت بعزله، فجاءها القاضي مستعطفًا، وظل على بابها أيامًا باع كل ما يملك لينفق منه إلى أن سمحت له بالمثول بين يديها، يقول النويري: قالت له: تمدح زوجة سير وتفضلها على سائر النساء، وخرجت في وصفك لها عن الحد، وزعمت أن ليس في الأرض أجمل منها، وما هذه منزلة القضاء، ولا يليق بك أن تنزل نفسك في هذه المنزلة فقال ارتجالًا :

أنت بالشمس لاحقة وهي بالأرض لاصقة

فمتى ما مدحتهـــــــا فهي من سير طالقــة

فقالت: ياقاضي طلقتها منه، قال نعم ثلاثة وثلاثة وثلاثة فضحكت حتى افتضحت وقالت: والله لا شم لها قفًا أبدًا وكتبت إلى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين رده إلى القضاء، فرده أمير المسلمين يوسف ابن تاشفين إلى منصبه مره أخرى، لوساطتها له (لمزيد من التفاصيل انظر: النويري، نهاية الأرب، ج٢٤، ص١٤٦ – ١٤٧).

العهد، وعزل ابنه تاشفين عن الأندلس، وبقى كأحد حجاب أخيه سير حتى وفاته.

ثانيًا: وساطات للحصول على امتيازات دون استحقاق:

حرص المرابطون على تطبيق مبدأ الرجل المناسب في المكان المناسب، واختيار أعوانهم من أصحاب المؤهلات والخبرات، غير أن فساد بعض رجال الدولة، واستيلاء أكابر المرابطين على البلاد، واستيلاء النساء على الأحوال، وأسندت إليهن الأمور؛ سببًا في البلاء الذي تعرضت له البلاد خاصة بعد وفاة أمير المسلمين يوسف بن تاشفين ٥٠٠هـ/ ١١٠٧م، فسيطر كبار رجال الدولة على الأمور، فأهدر كثير من حقوق الناس، واختلت أحوال بلاد الأندلس(١)، مما أدى ذلك إلى تسلل غير المؤهلين وقليلي الخبرات وعديمي الكفاءة إلى المناصب العليا، وسطوا عليها، الأمر الذي أضر بالجهازين التشريعي والإداري للدولة.

اعتمد أمير المسلمين علي بن يوسف في تعيين الولاة وقادة الجيش والوزراء على العصبية القبلية من أبنائه وأقاربه، فقد كانت الأندلس مقسمة إلى ست ولايات هي إشبيلية وغرناطة وقرطبة وبلنسية ومرسية وسرقسطة، وكانت عاصمة ولاية الأندلس في عهد أمير المسلمين يوسف بن تاشفين مدينة قرطبة،

(١)المراكشي، المعجب، ص١٥٤.

ثم انتقلت في أوائل حكم أمير المسلمين عليبن يوسف إلى غرناطة ثم عادت في أواخر أيامه إلى قرطبة(1)، وقصر أمير المسلمين علي بن يوسف حكم هذه الولايات على أبنائه وأقاربه من أمثال تاشفين بن علي، وتميم بن يوسف، وابن عائشة، وابن فاطمة، وابن غانية وغيرهم(2)، فكان منهم من يستحق تلك المناصب، ومنهم من لا يستحق تولي تلك المناصب، فقد كانت أهم الوظائف السياسية تعطى للمتونيين مما سبب سخط أهل الأندلس واتهامهم للمرابطين بالخشونة والجهل، ثم هيأهم للثورة عليهم(3)، كما اختار أمير المسلمين علي ابن يوسف وزراء الحرب من أقاربه أو من قبائل لمتونة وصنهاجة عصب دولة المرابطين، أما الوزراء الأدباء فكان معظمهم من الأندلسيين، فقد كانت الوزارة نوعين في عهد أمير المسلمين علي بن يوسف وزراء حرب، ووزراء أدباء(4).

ومما يدل على عدم كفاءة بعض أمراء المرابطين ما طلبه القاضي أبو الوليد بن رشد من أمير المسلمين علي بن يوسف بأن يقوم بعزل أخيه

---

(١)عبد الرحمن حجي، التاريخ الأندلسي، ص٤٤٩.

(٢)الهَرفي، الأحوال السياسية، ص٢٧٨؛

Codera La Familia real de Los Beni Texufin، Madrid، 1917، pp. 75، 99.

(٣) حركات، المغرب، ج١، ص٢١٦.

(٤) العبادي، دراسات، ص١٥١-١٥٢.

أبي الطاهر تميم بن يوسف بن تاشفين من النيابة بالأندلس لعدم كفايته وكفاءته[1] لشغل ذلك المنصب، فقد تولى الأمير تميم حكم غرناطة بين سنتي ٥٠٠-٥٠٣هـ/ ١١٠٧-١١٠٩م، ثم نقل إلى حكم تلمسان بالمغرب، وعاد إلى الأندلس نائبًا لأمير المسلمين بين سنتي ٥١٥-٥١٦هـ/ ١١٢١-١١٢٢م مقيمًا في غرناطة ثم نقل إلى إشبيلية ثم عاد للنيابة سنة ٥١٩هـ/ ١١٢٥م مقيمًا في قرطبة إلا أنه عزل في السنة التالية ٥٢٠هـ/ ١١٢٦م لعدم كفايته، وشكوى أهل الأندلس منه[2]، فعزله أمير المسلمين علي بن يوسف عام ٥٢٠هـ/ ١١٢٦م بسعاية من القاضي أبي الوليد بن رشد، ومكانته في دولة المرابطين.

كما تولى اسماعيل بن مهلهل الصلاة والخطبة بجامع بلنسية منذ أن تم فتحها ٤٩٥هـ/ ١١٠٢م واستعادتها من النصارى الأسبان القشتاليين (أتباع القنبيطور)، وتولى ابن مهلهل تلك الوظيفة لقرابته من الأمير مزدلي من كبار أمراء دولة المرابطين، فقد كان ابن مهلهل أخًا له من الرضاعة[3]، لذلك تولى منصب الصلاة والخطبة، فربما كان يوجد من هو أكثر منه علمًا.

---

(١)مجهول، الحلل الموشية، ص٩٨.

(٢)ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص١٦٤؛ اويثي ميراندا، علي بن يوسف وأعماله في الأندلس، مجلة تطوان العدد الثالث والرابع (١٩٥٨ – ١٩٥٩م) ص١٠٤-١٠٥.

(٣)ابن الأبار، التكملة، ج١، ص١٥٣.

وكان أبو عبد الله محمد بن غريب الأنصاري وجيهًا عند الملوك، مترددًا عليهم، توسط وتشفع عند أبي بكر بن تيفلويت أمير سرقسطة، ليتولى ابنه أبو علي الإقراء بجامعها، فأجابه أبو بكر أمير سرقسطة وتولى الإقراء بجامع سرقسطة في عام ٥٠٨هـ/ ١١١٤م، في حياة شيخه أبي زيد بن الوراق(١).

كما شكى أهل الجزيرة الخضراء سوء حال قاضيهم ابن عبد الخالق لأمير المسلمين علي بن يوسف، فرد أمره لقاضي سبتة ابن منصور فقال: سألت عنه سرًا فصح عندي أنه لا يصلح لمنصب القضاء، فعزله عن القضاء(٢)، وقد أوضح النباهي خطورة منصب القضاء وأهميته(٣)، ومن خلال النازلة نتعرف أن القاضي قد ضاع عنده شروط توليه القضاء أو أنه تولى المنصب دون استحقاق، ولم يتحقق فيه شروط توليه القضاء، رغم أن المرابطين حرصوا ألا يتولى القضاء إلا من تثبت جدارته ونزاهته.

---

(١)ابن الأبار، التكملة، ج١، ص٣٣٤-٣٣٥.

(٢)ابن رشد، فتاوى، ج٣،ص١٦١٠-١٦١١؛ الونشريسي، المعيار، ج١٠، ص١١٥.

(٣)النباهي، تاريخ القضاة، ص٣-٤.

الفصل الثامن

شفاعات عن منتقدي سياسة حكام المرابطين وثلاب رعاياهم وعن المهرطقين والزنادقة

أولًا: شفاعات عن منتقدي سياسة حكام المرابطين

وثلاب رعاياهم

ثانيًا: شفاعات عن المهرطقين والزنادقة

الفصل الثامن

شفاعات عن منتقدي سياسة حكام المرابطين وثلاب رعاياهم

وعن المهرطقين والزنادقة

أولًا: شفاعات عن منتقدي سياسة حكام المرابطين وثلاب رعاياهم

عرفت الأندلس جماعات من مشاهير الأدباء والكتاب والشعراء دأبوا على الاستخفاف بالطاعة، وذم الحكام ونقد سياساتهم، والخوض في أعراض الناس والازدراء بهم، والنيل منهم والتتبع لسقطاتهم، ونشر مثالبهم في أشعار يجتمعون على صوغها ويتبارون فيها، وقد قبض على بعضهم، وتعرضوا لعقوبات شديدة، وفي حالات كثيرة شفع لهم، فقبلت بعض الشفاعات ورفض بعضها[١].

كان أبو عبد الله محمد بن فرج المعروف بابن الطلاع فقيه قرطبي مشهور، مقدم في الفتوى بقرطبة من أهل الثقة والفضل[٢]، مفتي الأندلس ومسندها في الحديث، وفقيه المالكية[٣]، عرف بابن الطلاع، حيث كان أبوه يطلع

(١)أبو العلا، الشفاعات الدنيوية، ص١٢٥.

(٢)الضبي، بغية الملتمس، ص١٢٣.

(٣)الصفدي، الوافي بالوفيات، تحقيق س. ديدر ينغ، الطبعة الثانية، فرانز شتايزبفيسبادن، ١٩٧٤م، ج٤، ص٣١٩.

النخل لاجتنائها فعرف بذلك[1] وله تأليف حسن في أقضية رسول الله صلى الله عليه وسلم[2]، كان قوالًا بالحق، شديدًا على أهل البدع[3]، سعى به الملثمون، وحرصوا على ألا يتولى أي خُطة، فأمروا بمنعه من الفتوى وتأخيره عن خُطة الشورى[4]، وذلك لفرط عصبيته لبني عباد المخلوعين، فلم يعد إليها حتى مات في رجب ٤٩٧هـ/ أبريل ١١٠٤[5]، كانت عصبية ابن طلاع وانحيازه إلى المعتمد بن عباد وتعصبه له وهجاءه سببًا في سعاية المرابطين به، ومنعه عن الفتوى وخُطة الشورى حتى مات.

كما كان أبو بكر بن قزمان، أديبًا بارعًا، محسنًا، شاعرًا حلو الكلام[6] مبرزاً في البيان، عمل في دولة المتوكل بالله بن الأفطس، وأرقاه إلى مجالسه،

(١)ابن الأبار، المعجم، ص٢٦.

(٢)ابن عطية، فهرس، ص٩١.

(٣)ابن فرحون المالكي، الديباج، ج٢، ص٢٤٣.

(٤)إحدى خطط القضاء في العصر المرابطي، وكان صاحبها من الفقهاء يشاوره القاضي، وهم أربعة: اثنان يشتركان في مجلس القاضي، واثنان يقعدان في المسجد الجامع؛ (انظر: ابن عبدون، رسالة في القضاء والحسبة " ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب"، نشرها ليڤيبروڤنسال، مطبوعات المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، ١٩٥٥م، ص٩؛ حسن محمود، قيام دولة المرابطين، ص٣٦٨).

(٥)ابن الأبار، المعجم، ص٢٦-٢٧.

(٦)ابن الخطيب، الإحاطة، ج٢، ص٤٩٤.

وكساه ملابسًا، فاقتطع أسمى الرتب وتبوأها[1]، كان قد أساء إلى القاضي ابن حمدين في قصة، بسبب سوء أخلاق كان موصوفًا بها، وحدة شقى بسببها، فلبس ملابس الهوان أشوهها طوقًا، وطال كربه[2]، فاستطاع ابن حمدين أن ينال من أبي بكر بن قزمان؛ لمكانته في دولة المرابطين، لإساءته له.

وكان أبو عامر بن عقيد من كتاب إبراهيم بن يوسف بن تاشفين أمير شرق الأندلس من قبل أمير المسلمين علي بن يوسف، وسعى بأبي عامر عند إبراهيم بن يوسف أنه يفشي سره، ويقع فيه، فاعتقله فكتب أبو عامر إليه شعرًا يقول[3]:

أتأخُذُني بذنبٍ ثم تَنسَى ... من الحسنات أَلفًا ثم أَلفا

وتتركني لأَسياف الأَعادي ... وليس يهزُّ قولي منك عِطفا

كأَنك ما ثنيتَ إليَّ لحظًا ... كأَنك ما مَدَدت إليَّ كفا

جعلتَ أبي علي رِجلي وما إنْ ... له ذَنبٌ يهانُ به وَيُجفَى

(١)ابن خاقان، قلائد العقيان، ج٢، ص٥٥٥؛ ابن سعيد، المغرب، ج١، ص٩٩.

(٢)ابن خاقان، قلائد العقيان، ج٢، ص٥٥٥؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ج٢، ص٥٠٥.

(٣)ابن سعيد، المغرب، ج٢، ص٢٥٣-٢٥٤.

فأعجب الأمير إبراهيم بن تاشفين ما داعبَ به في البيت الأخير وأعاده إلى ما كان عليه، فشفع له بتلك الأبيات[1] بعدما هجاه.

كما أصيبت العلاقة بين الفتح بن خاقان وأبي يحيى بن محمد بن الحاج (أحد أمراء المرابطين بالأندلس) بالفتور، فقد تنازعا في بعض الأيام أدى إلى الانفصال، ثم بلغ ابن الحاج، أن ابن خاقان، تحدث في شأنه، فغضب عليه، وقد كان ذلك القول زورًا، فوشى بابن خاقان إليه،كان ابن خاقان معروفًا بهجائه وتطوله على كبار رجال الدولة، غير أنه يؤكد أن ما قيل في حق ابن الحاج إنما وشاية لإلحاق الأذى به، فكتب ابن خاقان إليه يقول[2]:

أكعبة علياء وهضبة ســـؤدد ... وروضةُ مجدٍ بالمفاخرِ تمطـرُ

هَنيئًا للملكِ زانَ نورك أفقـه ... وفي صفيحتِه من مضائك أسطُرُ

وإني لخفاقُ الجناحين كُلمـا ... سرى لك ذِكرٌ أو نسيمٌ معطـرُ

وقد كان واشٍ هاجنا لتنافـرٍ ... فبت واحشائي جوى تتفطـرُ

فهل لك في ودِّذوى لك ظاهرًا ... وباطنه يندى صفاءً ويقطـرُ

ولست بعلق بيع بخسا وإنني ... لأرفع أعلاق الزمان وأخطـرُ

---

(١)ابن سعيد، المغرب، ج٢، ص٢٥٤.

(٢)ابـن خاقـان، قلائـد العقيـان، ج٢، ص٥٢٩-٥٣٠؛ المقـري، أزهـار الريـاض، ج٥، ص١٦٤-١٦٥؛ ابن دحية، المطرب، ص١٨٨-١٨٩.

فشفع له ابن الحاج بهذه الأبيات، رغم هجائه لابن الحاج، ومعرفة ابن الحاج بسلاطة لسان ابن خاقان، غير أنه عفى عنه[1].

وقد كان أبو عبد الله ابن أبي الخصال وأخيه أبي مروان من كتاب جزيرة الأندلس استدعاهم أمير المسلمين علي بن يوسف، فقد كان أبو عبد الله بن أبي الخصال أنبه الكتاب، وأكبر مكانة لديه، وحق له ذلك، إذ هو آخر الكتاب، وأحد من انتهى إليه علم الآداب، وله – مع ذلك – في علم القرآن والحديث والأثر وما يتعلق بهذه العلوم الباعُ الأرحب، واليد الطولى[2].

فلم يزل أبو عبد الله هذا وأخوه كاتبين لأمير المسلمين علي بن يوسف، إلى أن أخر أمير المسلمين أبي مروان عن الكتابة، لموجدة كانت منه عليه، سببها أنه أمره وأخاه أبي عبد الله أن يكتبا عنه إلى جند بلنسية، حين تخاذلوا وتواكلوا حتى هزمهم ابن رذمير(ألفونسو المحارب) ملك أراجون – لعنه الله – هزيمة قبيحة، وقتل منهم مقتلة عظيمة، فكتب أبو عبد الله رسالته المشهورة في ذلك، وهي رسالة كاد أهل الأندلس قاطبة أن يحفظوها، أحسن فيها ما شاء، وكتب أبو مروان رسالة في ذلك الغرض، أفحش فيها على المرابطين وأغلظ لهم في القول أكثر من الحاجة، فمن فصولها قوله[3]: "أي بني اللئيمة، وأعيار الهزيمة، إلام يزيفكم الناقد، ويردكم الفارس الواجد ؟ فليت لكم بارتباط الخيول ضأنًا

(١)ابن خاقان، مطمح الأنفس، ص٣٩.

(٢)المراكشي، المعجب، ص١٥١-١٥٢.

(٣)المراكشي، المعجب، ص١٥٣-١٥٤.

لها حالب قاعد، لقد آن أن نُوسعكم عقابًا، وألا تلوثوا على وجه نقابا، وأن نُعيدكم إلى صحرائكم، ونُطهر الجزيرة من رحضائكم....".

في أمثالٍ لهذا القول، فأحنق ذلك أمير المسلمين علي بن يوسف وأخره عن كتابته، وقال لأبي عبد الله أخيه: كنا في شك من بغض أبي مروان المرابطين، والآن قد صح عندنا: فلما رأى ذلك أبو عبد الله استعفاه فأعفاه، ورجع إلى قرطبة بعدما مات أخوه أبو مروان بمراكش، وأقام هو بقرطبة إلى أن استشهد في داره – رحمه الله – أول الفتنة الكائنة على المرابطين[1].

كان انتقاد أبي مروان أخي أبي عبد الله بن الخصال لسياسة المرابطين في المغرب والأندلس، سببًا في غضب أمير المسلمين علي بن يوسف عليه فأخره عن الكتابة، ويبدو أن أمير المسلمين اكتفى بتأخيره عن الكتابة، لمكانة أخيه أبي عبد الله بن الخصال، الذي طلب من أمير المسلمين أن يعفيه من الكتابة فأعفاه، ولم يستعن أمير المسلمين علي بن يوسف بأبي مروان حتى مات، وعاد أبو عبد الله ابن الخصال إلى قرطبة إلى أن استشهد في داره.

كان للمكانة الكبيرة التي نالها القضاة في الأندلس في عصر دولة المرابطين دور كبير في جعلهم موضع حسد من بعض فئات المجتمع الآخرى التي اعتبرت أن المكانة التي حظي بها القضاة إنما كانت على حسابهم، وقد كان الشعراء أشدَّ هؤلاء الحاسدين الناقمين، وقد عبر عن حال السخط تلك

---

(١)المراكشي، المعجب، ص١٥٣-١٥٤.

والشعور بالخيبة أحسن تعبير الشاعر الأعمى التطيلي (ت ٥٢٥هـ/ ١١٣١م) مهاجمًا لهم بقوله[١]:

أيا رحمةً للشعر أقوت ربوعه على أنها للمكرماتِ مناسكُ

إلى أن يقول:

فيا دولةَ الضيمِ اجملي أو تجاملي فقد أصبحتْ تلك العرى والعرائكُ

فالأعمى التطيلي يرى أن دولة المرابطين تقرب الفقهاء أصحاب مالك، ما هي إلا دولة ضيم انقطعت فيها آمال أمثاله.

ولم يكتف بعض الشعراء بالتشكي من حالهم بل تعدوا ذلك الأمر إلى هجاء القضاة ونشر عيوبهم ومثالبهم ومن هؤلاء الشعراء ابن البني الذي يقول[٢]:

أهلَ الرياءِ لبستموا ناموسكم كالذئب أدلج في الظلامِ العاتمِ
فملكتموا الدنيا بمذهب مالكٍ وقسمتموا الأموال بابن القاسمِ
وركبتموا شُهب الدوابِ بأشهبٍ وبأصبغٍ صبغت لكم في العالمِ

(١)الأعمى التطيلي، ديوان الأعمى التطيلي، تحقيق د.إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، بدون تاريخ، ص٩٠.

(٢)المراكشي، المعجب، ص١٥٠.

وابن القاسم هو من مشاهير علماء المالكية، كما هجا ابن خفاجة القضاة، بقوله[1]:

**درسوا العلوم ليملكوا بجدالهم		فيها صدرَ المجالـــــــــسِ**
**وتزهدوا حتى أصابوا فرصة		في أخذ مال مساجدَ وكنائـــسَ**

غير أن المصادر لم تشر إلى ما تعرض له هؤلاء الشعراء من أحكام أو عقوبات، ولم تتحدث عن شفاعات بذلت لهم، أو وساطات للعفو عنهم، غير ابن خفاجة (كما أشرنا في الفصول السابقة) الذي استشفع بإحدى الأميرات وهي الأميرة مريم بنت إبراهيم بعدما تغير عليه الأمير أبو الطاهر تميم ابن يوسف بن تاشفين، غير أن المصادر لم تبين لنا أسباب تغيرْ، فربما كان لهجائه للأمير ودولة المرابطين، ولم توضح لنا وساطة، وشفاعة الأميرة مريم ومدى قبولها، فقد وقفت المصادر صامتة عن ذلك.

(١)ابن خفاجة، ديوان، ص١٥٥.

ثانيًا: شفاعات عن المهرطقين والزنادقة

ومن الشفاعات عن المهرطقيين والزنادقة في عصر دولة المرابطين، كانت في ميورقة التي كانت خارج حكم المرابطين تحت حكم ناصر الدولة، فقد قال الفتح بن خاقان عن الأديب أبي جعفر البني[1] "رافع راية القريض أي الشعر، وصاحب آية التصريح فيه والتعريض، أقام شرائعه، وأظهر بدائعه وروائعه، وكان أليف غلمان، وحليف كفر لا إيمان "، وكان أبو جعفر البني قد دخل ميورقة متسمًا بالعبادة، وهو أسرى إلى الفجور من خيال أبي العبادة، وأنس الناس منه أقوالًا لا أعمالًا، وسجوده هجود، إقراره بالله جحود، وكانت له منازل، ووصل خبره إلى ناصر الدولة حاكم ميورقة، وتردد على سمعه ونكر أفعاله وسلوكه، فأخرجه عن ميورقة ونفاه، فخرج إلى المشرق، ثم عاد إلى ميورقة، فأراد ناصر الدولة استباحته، وإبراء الدين منه وإزاحته، والتخلص منه، ثم آثر ناصر الدولة الصفح عنه والعفو، وانتظر ناصر الدولة أيامًا لمن يشفع له ويزكيه، ويخلصه وينجيه، ولم يجرأ أحد من إخوانه على أن يأتيه، ويقدم على طلب العفو له، غير أن ناصر الدولة، أثر العفو عنه، والصفح له[2]، أراد ناصر

(١)ابن خاقان، مطمح الأنفس، ص٣٦٩؛ ابن سعيد، المغرب، ج٢، ص٣٥٧-٣٥٨.

(٢)ابن خاقان، قلائد العقيان، ج٢، ص٨٧١-٨٧٢.

الدولة إعطاءه فرصة للرجوع عما فعل، وأن يرجع ويتوب إلى الله، ومن قبح ما فعله لم يجرأ أحد على طلب العفو له، غير أن ناصر الدولة عفا عنه وصفح.

الفصل التاسع

التشفع إلى الله بالزهاد والصالحين ومجابي الدعوة

أولًا: أوقات الكوارث الطبيعية (القحط، والمجاعات)

ثانيًا: لتفريج الكربات

ثالثًا: لرفع ظلم الحُكام وضرر الإخوان

الفصل التاسع

التشفع إلى الله بالزهاد والصالحين مجابي الدعوة

من الأشياء الشائعة عند المسلمين طلب الشفاعة من الزهاد وأولياء الله الصالحين، وقد أشار القرآن إلى الأولياء وكراماتهم قال تعالى: ﴿ **أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ۝الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ۝لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ۝** ﴾[١]، والتشفع بأولياء الله الصالحين وبالزهاد إنما يكون بالتوسل بدعائهم، ولا يكون التشفع بذاتهم، فالأولياء يستعملون كراماتهم لحاجة المسلمين[٢]، فقد كان الناس يدركون أن دعواتهم وحدها غير مجدية، لرفع ما حل بهم من مصائب وكوارث، دون اللجوء إلى الله بألسنة الأولياء وأهل الخير والصلاح الذاكرة الله والمتبتلة إليه، وكان أهل الأندلس أفراد وجماعات يستشفعون إلى الله بدعائِهم في مناسبات مختلفة، ليحقق لهم رجاءهم، ومنها:

---

(١)القرآن الكريم: يونس: ٦٢ – ٦٤.

(٢)ابن تيمية، التوسل والوسيلة، ص٦٠-٦١.

أولًا: أوقات الكوارث الطبيعية (القحط، والمجاعات)

فقد استشفعوا بهم في أوقات القحط والمجاعات ليغيثهم الله بالمطر، فقد كان العامة يلتجأون إلى الصلحاء، يلتمسون منهم الاستسقاء(1)، وتشير المصادر إلى السنوات العجاف التي ألمت بالأندلس، حتى إن صلوات الاستسقاء أصبحت نغمة متواترة في حوليات الفترة المرابطية، ففي السنة التي نفي فيها المعتمد بن عباد إلى المغرب الأقصى، شاهد موكبًا من الناس يصلون صلاة الاستسقاء فأنشد يقول(2) :

خَرجُوا ليستَسقُوا، فقلتُ لهم دَمعي يَنوبُ لكُم عن الأَنواءِ
قالُوا: حقيقٌ، في دموعك مَقنَعٌ لكنها ممزوجةٌ بدماءِ

ويدل ذلك على لجوء الناس إلى الله بالدعاء واستعانوا بالزهاد والصالحين لرفع ما هم فيه، وفي عام ٤٩٨هـ/ ١١٠٥م تناهى القحط في بلاد الأندلس والعدوة حتى أيقن الناس بالهلاك(3)، ولا توجد أي إشارة إلى طريقة تعامل أهل الأندلس مع القحط، غير أن عادة الناس في مثل تلك الفترات

---

(١)بوتشيش، التاريخ الاجتماعي، ص٢٠٠.

(٢)المعتمد بن عباد، ديوان المعتمد بن عباد، تحقيق د. حامد عبدالمجيد، د.أحمد أحمد بدوي، د.طه حسين، الطبعة الثالثة، دار الكتب المصرية، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص٨٩.

(٣)ابن عذاري، البيان، ج٤، ص٤٥.

الصعبة، يلجأون إلى الله بالدعاء، ويسألون الزهاد والصالحين الدعاء لتفريج ما هم فيه، ويكثرون التضرع والتبتل إلى الله، فكان العوام يلجأون إليهم كلما حاق بهم مكروه، أو كارثة طبيعية كالقحط والجفاف والمجاعات، وكان للأولياء دور في صلاة الاستسقاء(١).

ثانيًا: لتفريج الكربات

أجمع الفقهاء على أن طلب المؤمن الدعاء من أخيه المؤمن أمر مشروع في الإسلام، وأن دعاء المسلم لأخيه حسنٌ مأمور به، وقد ثبت في الصحيح عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: " دعوة المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة، عند رأسه ملك موكل كلما دعا لأخيه بخير قال الملك الموكل به: آمين ولك بمثل "(٢) أي بمثل ما دعوت لأخيك به، وقد كان للفكر الصوفي دور في لجوء الناس إلى الزهاد والصالحين للتشفع بهم واللجوء لهم إلى

---

(١)بوتشيش، المغرب والأندلس، ص١٥٦.

(٢)النووي، شرح رياض الصالحين، تحقيق محمد الياس، الطبعة الأولى، دار نهضة مصر، القاهرة، ٢٠١١م، ص٥٨٧.

الله لتفريج الكربات والأزمات فأبو محمد عبد الجليل بن ويحلان[1] كان إذا صلى الجمعة وانصرف إلى منزله، لا يصله إلا في أول وقت العصر من كثرة ما يحبسه الناس للدعاء والتمسح به، حتى وصف بأنه رجل وضع الله له القبول في قلوب الخلق، أما الشيخ أبو مدين شعيب فقد اتفقت القلوب على محبته، وكان الناس لفرط محبتهم لأبي العباس البرنسي يتمسحون به ويتبركون ويتوسلون به إلى الله لقضاء حوائجهم، وكان بعض الآباء يحثون أبناءهم على الذهاب إلى الأولياء التماسًا لدعائهم وبركتهم ويوصونهم باحترامهم وتقبيل أيديهم متى لقوهم " لو مائة مرة في اليوم "، كما كان أمير المسلمين علي بن يوسف يلتمس الدعاء والبركة من الشيخ أبي عبد الله محمد أمغار، كما كان العوام بدورهم يتقاطرون على الأولياء لحل مشاكلهم أو التبرك بهم، ويلتمسون الدعاء والبركة وطلب الدعاء لهم لتفريج الكربات، وقد كان الناس يزدحمون على جنازة هؤلاء الصالحين ويتمسحون بنعوشهم[2]، ومن هؤلاء الأولياء والصالحين أبو محمد عبد الله العسال (ت ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م) زاهد طليطلة المشهور بالكرامات،

---

(١)هو أبو محمد عبد الجليل بن ويحلان دكالي الأصل ونزل بأغمات، وبها مات سنة ٥٤١هـ/ ١١٤٦م، كبير الشأن من أهل العلم والعمل، ورحل إلى المشرق فلقي به شيخًا من الصوفية، فأخذ عنه التصوف. (ابن الزيات، التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، تحقيق أحمد توفيق، الطبعة الثانية، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ١٩٩٧م، ص١٤٦-١٥٠).

(٢)بوتشيش، المغرب والأندلس، ص١٣٧.

وإجابة الدعوات [1]، وأبو القاسم خلف ابن سعيد من أهل طليطلة، وخلف ابن محمد الأنصاري، وهم ممن تبرك الناس بلقائهم ودعائهم[2].

ومن عرفوا بإجابة الدعوة، وتبرك الناس بلقائهم، أبو زيد عبد الرحمن ابن أحمد (ت ٥٢٢هـ/ ١١٢٢م)، أبو محمد عبد الله بن محمد الخولاني (ت٥٣٣هـ/ ١١٣٩م)[3]، ودخل أبو المفضل عبد المجيد بن دليل المرية عام ٥١٣هـ/ ١١٢٠م، وجالس يحيى بن الفراء قاضي المرية، يقول أبو المفضل: دعا لي وسافرت، فلم أعدم ببركة دعائه خيرًا، وتوفي أبو المفضل شهيدًا ٥١٤هـ/ ١١٢١م[4]، كما كان يتبرك بلقاء ودعاء أبو محمد عبد الله بن محمد ابن عبد الله بن أبي جعفر الخشني (ت ٥٢٦هـ/ ١١٣٢م)[5].

---

(١)ابن سعيد، المغرب، ج٢، ص٢١.

(٢)ابن بشكوال، الصلة، ج١، ص١٧٥-١٧٦.

(٣)ابن بشكوال، الصلة، ج٢، ص٣٥١-٣٥٦.

(٤)الضبي، بغية الملتمس، ص١٤٦.

(٥)الضبي، بغية الملتمس، ص٢٣٧-٢٣٨.

ثالثًا: لرفع ظلم الحُكام وضرر الإخوان

كان بعض هؤلاء العباد المشهورين بالفضل، وإجابة الدعوة حصنًا قويًا وملاذًا أمنًا يلجأ إليه أهل الأندلس، ليستشفعوا بدعائهم إلى الله أن يرفع الظلم والفساد عنهم، خاصة إذا كانوا لا يستطيعون دفعه[1]، فقد كان الصالحون يدعون على الظالم بالهلاك أو كان يلجأ البعض إلى استخدام القوى الخارقة كالجن على المستبد، فتشير أحد الروايات أن جماعة من العلماء شكوا إلى أحد الأولياء سجن أحد إخوانهم ظلمًا وعدوانًا، فدعا عليه، ولم يبقى سوى ثلاثة أيام حتى توفي من غير مرض ولاحدث عليه، ونص يشير إلى أن رجلًا من العسكر كان يؤلب المتمردين، ويثير الفتن بين القبائل، ويشعل بينهم فتيل الحروب، فشكاه الناس إلى أحد الأولياء، فدعا عليه، ولم تمض إلا مدة يسيرة حتى بعثه أمير المسلمين علي بن يوسف مكبلًا في أغلاله إلى ميورقة[2]، كما كان الصالحون والأولياء دور للتخفيف من الضرائب التي أثقلت كاهل العوام، فقد بلغ إلى علم أحدهم أن عاملًا من عمال أمير المسلمين علي بن يوسف طالب الناس

---

(١)أبو العلا، الشفاعات الدنيوية، ص١٣٦.

(٢)بوتشيش، المغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص١٤٥-١٤٦.

بمغارم غير شرعية، فدعا عليه، ولم تمض إلا أيام يسيرة حتى جاء كتاب الأمير بعزله، فلم يؤدوا في ذلك العام شيئًا[1].

(١)بوتشيش، المغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص١٥٦.

الفصل العاشر

الشفاعــة في الحـدود

أولًا: موقف الإسلام من الشفاعة الدنيوية في الحدود

ثانيًا: تباين مواقف أهل الأندلس في عصر المرابطين من الشفاعات في الحدود

الفصل العاشر

الشفاعة في الحدود

أولًا: موقف الإسلام من الشفاعات الدنيوية في الحدود

وردت في السنة المشرفة أحاديث تحدثت عن الشفاعة في الحدود منها:

عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال " من حالت شفاعته دون حد من حُدُود الله فقد ضاد الله في أمره "[1]، فقد حرم الإسلام الشفاعة في الحدود ومما يثبت ذلك أيضًا موقفه صلى الله عليه وسلم من شفاعة أسامة بن زيد حِبُّ رسول الله في المرأة المخزومية التي سرقت، فعن عائشة رضي الله عنهاأَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّهُمْ شَأْنُ المَرْأَةِ المَخْزُومِيَّةِ الَّتِي سَرَقَتْ، فَقَالُوا: وَمَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا رَسُولَ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ فَقَالُوا: وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلَّا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ، حِبُّ رَسُولِ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَلَّمَهُ أُسَامَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللهَّ تَعَالَى؟! "، ثُمَّ قَامَ فَاخْتَطَبَ، ثُمَّ قَالَ: " إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ، أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الحَدَّ، وَايْمُ اللهِّ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ

---

(١)الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، إشراف د.يوسف عبدالرحمن المرعشلي، دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ، ج٢، ص٢٧.

يَدَهَا "[1]، فاستغفر أسامة، والتمس من النبي صلى الله عليه وسلم أن يستغفر له، ثم أمر النبي بتلك المرأة، فقطعت يدها[2]، فقد شدد الإسلام على وجوب عدم الشفاعة في الحدود؛ غير أن هناك مواقف تشير إلى أن الإسلام أعطى الحق في الشفاعة بالحدود بشرط أن يكون قبل أن يبلغ الأمر السلطان، فورد عند ابن الأثير حديث يشير إلى ذلك، فقال صلى الله عليه وسلم " إِذا بلغ الحدّ السلطان فلعن الله الشافع والمُشفع " [3]، جاء رجل إلى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ومعه رجل شرب الخمر، ليطبق عليه الحد، فحبسه حتى ذهب سكره، ثم دعا به عبد الله بن مسعود، وقال للجلاد اجلد وارفع يدك وأعط كل عضو حقه فجلده، فلما فرغ قال للذي جاء به: ما أنت منه قال: عمه، ثم قال: عبد الله ابن مسعود: ما أدبت فأحسنت الأدب ولا سترت الحرمة إنه ينبغي للإمام إذا انتهى إليه حد أن يقيمه وإن الله عفو يحب العفو ثم قرأ [4] ﴿**وَلْيَعْفُوا ولْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾[5]، ثم قال "إني لأذكر

---

(١)البخاري، الصحيح، ج٨، ص١٩٩؛ أبوداود، السنن، ج٤، رقم ٤٣٧٣ ص١٣٢؛ الترمذي، الجامع الصحيح، ج٤، رقم١٤٣٠ ص٣٧-٣٨، النووي، رياض الصالحين، ص٦٨٣.

(٢)النووي، رياض الصالحين، ص٦٨٣.

(٣)ابن الأثير، النهاية، ج٢، ص٤٨٤.

(٤)الغزالي، إحياء علوم الدين، ج٢، ص١٩٩.

(٥)القرآن الكريم: النور: ٢٢.

أول رجل قطعه النبي صلى الله عليه وسلم أتى بسارق فقطعه فكأنما أسف وجهه فقالوا: يا رسول الله كأنك كرهت قطعه فقال: وما يمنعني لا تكونوا عونًا للشياطين على أخيكم فقالوا ألا عفوت عنه فقال: إنه ينبغي للسلطان إذا انتهى إليه حد أن يقيمه إن الله عفو يحب العفو وقرأ ﴿**وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾"[1]، وعلى ذلك فهناك قاعدة لقبول الشفاعة في الحدود في الإسلام، فلا شفاعة في حدود إذا بلغت السلطان، عن ربيعة بن عبد الرحمن أن الزبير بن العوام لَقِيَ رجلًا قَد أَخَذ سارقًا وهو يُرِيدُ أَن يَذهَبَ به إلى السلطان، فقال: فشَفَعَ لَه الزبير ليرسله، فقال: لا، حتى أبلغ به السلطان، فقال الزبير: إذا بلغت به السلطان فلعن الله الشافع والمشفع[2].

(١)الغزالي، إحياء علوم الدين، ج٢، ص١٩٩.

(٢)أبي عبد الرحمن مقبل، الشفاعة، ص٣١٤.

ثانيًا: تباين مواقف أهل الأندلس في عصر المرابطين من الشفاعات في الحدود

تباينت مواقف أهل الأندلس من الشفاعات في الحدود في عصر المرابطين، فبعض الحكام والقضاة تجاوزوا عن إقامتها، وقبول الشفاعات فيها، بينما تشدد آخرون في إقامة الحدود. فقد قام القاضي عياض بتطبيق حد شرب الخمر على الفتح بن خاقان، حيث حضر ابن خاقان مجلس قضاء القاضي عياض مخمرًا، فتنسم بعض شهود المجلس منه رائحة الخمر، فأعلم القاضي بذلك، فأمر به، فاستثبت في استنكاهه، وحده حدًا تامًا، ثم أرسل له ثمانية دنانير وعمامة، وأراد ابن خاقان ألا يذكر القاضي عياض في كتابه القلائد الذي شرع في تأليفه، غير أنه أحد أصحابه نصحه بألا يفعل حتى لا يشتهر خبره معه في قضية حد الخمر[١].

وقريب مما وقع لابن حمدين، أيام قضائه بإلبيرة[٢]، خرج له فتى متأدب من بعض الأزقة يتمايد سكرًا، فلما رأى القاضي هابه، وأراد الفرار، فخانته

---

(١)ابن خاقان، مطمح الأنفس، ص٣٨؛ ابن عياض، التعريف بالقاضي عياض، ص١١٢؛ المقري، أزهار الرياض، ج٥، ص٩٣.

(٢)إلبيرةElvira: كورة كبيرة من الأندلس ومدينة متصلة بأراضي كورة قَبره، بين القبلة والشرق من قرطبة، بينها وبين قرطبة تسعون ميلًا، وأرضها كثيرة الأنهار والأشجار، وفيها عدة مدن منها: قسطيلية وغرناطة وغيرهما، وفي أرضها معادن وذهب وفضة وحديد ونحاس، وينسب إليها كثير من أهل العلم في كل فن (انظر: الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٢٤٤؛ الحميري، الروض المعطار، ص٤٥).

رجلاه، فأستند إلى الحائط وأطرق، فلما قرب منه القاضي رفع رأسه إليه ثم أنشد يقول[1]:

ألا أيها القاضي الذي عمَّ عدلُه فأضحى به في العالمين فريدا

قرأت كتابَ اللهِ ألفين مرةٍ فلم أر فيه للشرابِ حدودا

فإن شئتم جلدي فدونك منكبا صبورا على ريب الخطوب جليدا

وإن شئت أن تعفو تكن لك منة تروح بها في العالمين حميدا

وإن كنت تختارُ الحدودَ فإن لي لسانا على هجو الرجالِ حديدا

فلما سمع القاضي شعره، وتبين له أدبه، وأعرض عنه ومضى لشأنه، كأنه لم يره، وعفى عنه، ولم يطبق عليه حد الخمر، وسبب عفوه عنه، وعدم تطبيقه الحد، أن الشاب كان أول مرة يشرب الخمر، وحد الخمر لا يقوم بالإقرار مرة واحدة، حتى يقر الشارب على نفسه، كما أنه لا يحد إلا من الشهادة على شربها أو قيئها لا من الرائحة وتخيل السكر، وربما ظن القاضي أن الفتى ممن لم يبلغ سن التكليف أو قيل عنه أنه كان مكرهًا، ورغم إجماع المسلمين منعقد على تحريم الخمر، ووجوب الحد[2]، كان عفو ابن حمدين عن الشاب، لرغبته في ألا

(١)المقري، أزهار الرياض، ج٥، ص٩٣.

(٢)المقري، أزهار الرياض، ج٥، ص٩٤.

يغلظ عقوبة على شاب في بداية حياته وإعجابه بشعره، واكتفى بتحذيره، وخاصة أنها المرة الأولى.

أما في موقف القاضي عياض مع ابن خاقان، رأى القاضي عياض تغليظ العقوبة، خاصة وأن ابن خاقان سيء الذكر، سليط اللسان، شارب الخمر، فيقول ابن الأبار عن ابن خاقان[1]: " لم يكن مريضًا، وحذفه أولى من إثباته "، فلم تكن تلك المرة الأولى لابن خاقان شرب الخمر، كما حضر مجلس القاضي عياض مخمرًا، ولم يستتر من هذا الفعل، فقد اعتاد شرب الخمر، لذلك طبق عليه الحد.

كما نجد القاضي أبو الحسن بن أضحى قاضي غرناطة[2]، خاطبه أحد أعيان بلده شافعًا في رجل من خواصه، اختلط بامرأة طلقها، ثم تعلقها، وكان ذلك الرجل الشفيع، وثيق الصلة والاتصال بالقاضي أبي الحسن بن أضحى، وله منزله كبيرة عنده، تقتضي إسعافه وشفاعته في أي أمر من الأمور عند القاضي، غير أن القاضي أبا الحسن بن أضحى رفض شفاعته في أمر متعلق بالدين، وكتب إليه أبو الحسن بن أضحى مراجعًا[3]:

---

(١)ابن الأبار، المعجم، ص٣١٣.

(٢)ابن سعيد، المغرب، ج٢، ص١٠٨.

(٣)ابن خاقان، قلائد العقيان، ج٢، ص٦٥٠-٦٥١.

أَلَا أيها السيدُ المُجتَبَـى وَيَا أَيها الأَلَمِعِيُّ العَلَـمْ
أَتَتنيَ أَبيَاتُكَ المُعجـزاتُ بمَا قَدْحَوَتْ مِنْ بَديعِ الحِكَمْ
ولَمْ أَرَ مِنْ قَبلِها بابلًا وقدْنَفَثَتْ سِحرَها في الكَلِـمْ
ولكنهُ الدينُ لا يُشتَـرَى بنثرٍ ولا بِنظَامٍ نُظِـمْ
وكَيفَ أُبيحُ حِمىً مَانِعًـا وَكَيَفَ أُحُلِلُ مَا قَدْحَـرُم؟
أَلَستُ أَخَافُ عِقَابَ الإلهِ وَنَارًا مُؤَجَجةً تَضطَـرِمْ
وَلَوْأَنَّ ذاكَ الغبيَّ الجهولَ تَثبتَ في أَمرِهِ ما نَـدِمْ
ولكنهُ طاشَ مُستعجِـلًا فكانَ أَحَقَّ الوَرَى بالنـدَمْ

أوضحت الأبيات عدم قبول الشفاعة، للخوف من عقاب الله.

وكتب الوزير الكاتب أبو القاسم بن السقاط، عن أحد الأمراء إلى قومٍ عليةٍ شفعوا لجناةٍ: طاعتكم أبقاكم الله - ثابتة الرسوم، واضحة الوسوم، وضنانتكم بالسلطان – عصمه الله - ضنانة الجبان بالحياة، وإعدادكم للمكافحة عن الدولة – وطدها الله - إعداد المهلب للبيات، فما لكم والشفاعة برُعاع ندوا عن عصمة الجماعة، ونفروا، وخاسوا بذمام الطاعة، وختروا أي غدروا ونقضوا العهد ثم ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا﴾[1]، فارفضوهم عن جماعتكم، وذودهم عن حياض شفاعتكم ذياد الأجرب، عن المشرب، فنحن لا نقبل على توسل

(١)القرآن الكريم، النساء: ٨٩.

مستخف بالنفاق مستسر، ولا تقبل الخدعة من متماد على الغواية مصر، والسلام[1]؛ فكان موقف السلطان رفض الشفاعة في هؤلاء الجناة، خاصة إذا كانوا متمادين في الشر، مصرين عليه.

(١)ابن خاقان، قلائد العقيان، ج٢، ص٥١١-٥١٢.

الفصل الحادي عشر

أثر توبة المشفع له وضمان الشفعاء في قبول الشفاعة

أولًا: أثر توبة المشفوع لهم في قبول الشفاعة فيهم والتجاوز عنهم

ثانيًا: تعهد الشفعاء بعدم عودة المشفوع لهم إلى ما ارتكبوه من الذنوب

الفصل الحادي عشر

أثر توبة المشفع لهم وضمان الشفعاء في قبول الشفاعة

التوبة في الشرع تعني ترك الذنوب، وهي واجبة من كل ذنب، لقبحها والعزم على عدم العودة، ورد المظالم، وطلب العفو، والالتزام بالطاعة(١).

أولًا: أثر توبة المشفوع لهم في قبول الشفاعة فيهم والتجاوز عنهم

وفيما يتعلق بدراستنا فكان اعتذار المشفوع لهم عما بدر منهم أحد مظاهر التوبة، وكان له أثر كبير في قبول الشفاعة فيهم، والتجاوز عنهم، فقد تاب بعضهم من تجاوزاتهم، وتعهدوا بعدم العودة لاقترافها، وكان البعض الآخر يعتذرون عما بدر منهم، ويوضحون حُسن النوايا التي دفعتهم إلى اقترافها، وأنهم لم يقصدوا بها الخروج عن الطاعة(٢)، وفي إطار هذا المعنى يأتي اعتذار ذي الوزارتين أبي عامر بن شهيد للخليفة يحيى بن علي بن حمود سببًا في الصفح والعفو عنه(٣)، وكان اعتذار كباب عامل الأمير عبد الله بن بلقين على أرجذونةوأنتقيرة سببًا في عفو الأمير عبد الله عنه، غير أنه لم يسند إليه حكم إقليم من الأقاليم، ولم يستعن به في أمر، وكما يقول الأمير عبد الله(٤) "إذ لا يلدغ

(١)النووي، رياض الصالحين، ص٤١.

(٢)أبو العلا، الشفاعات الدنيوية، ص١٤٧.

(٣)ابن الأبار، إعتاب الكتاب، ص٢٠٣.

(٤)الأمير عبد الله، التبيان، ص١٢٠.

مؤمن من جحر مرتين"، اعتذار الكاتب أبي عامر بن عقيد كاتب الأمير إبراهيم ابن تاشفين أمير شرق الأندلس عما بدر منه من هجاء، وإفشاء لسر مولاه الأمير إبراهيم، فاعتذر بأبيات من شعر[1]، فكان ذلك أحد أسباب قبوله الشفاعة فيه، والرضى والتجاوز عنه، وكانت شفاعة أخلاق الكاتب أبي بكر بن القصيرة، سببًا في عفو أمير المسلمين يوسف بن تاشفين عنه، فقد كان من جملة من نكب بهم في دولة المعتمد بن عباد صاحب إشبيلية ٤٨٤هـ/ ١٠٩١م، وسلبت أمواله، غير أن أمير المسلمين يوسف بن تاشفين تذكره، وحسن خليقته، وسداد رأيه، فعفا عنه، ورفع قدره ومنزلته ومكانته في دولة المرابطين، واستمر في خدمتهم إلى أن مات ٥٠٨هـ/ ١١١٤م[2].

كما كان اعتذار الفتح بن خاقان، للأمير أبي يحيى محمد بن الحاج بأبيات من الشعر، بعدما هجاه، سببًا في قبول ابن الحاج شفاعته، والعفو والصفح عنه[3]، وكما أشرتُ (في الفصل الثاني) كان اعتذار القاضي أبي علي الصدفي عن منصب قاضي مرسية ٥٠٦هـ/ ١١١٢م، فبسط له القاضي أبو محمد اللخمي عند

(١)ابن سعيد، المغرب، ج٢، ص٢٣٥-٢٥٤.

(٢)ابن بسام، الذخيرة، ق٢، م١، ص٢٣٩-٢٤٠؛ ابن الأبار، إعتاب الكتاب، ص٢٢٢-٢٢٣.

(٣)ابن خاقان، مطمح الأنفس، ص٣٩.

أمير المسلمين علي بن يوسف، وقدم معاذره، حتى عفى عنه أمير المسلمين علي ابن يوسف، وصفح عنه[1].

وكما أشرتُ (في الفصل الثالث)قبل أمير المسلمين علي بن يوسف اعتذار أهالي ميورقة عن قيامهم بثورة على الوالي المرابطي وانور بن أبي بكر، لظلمه لهم، وإجبارهم على ترك ثغر ميورقة، غير أن أمير المسلمين علي ابن يوسف تفهم الموقف وعفى عنهم، واستجاب لهم بعزل الوالي المرابطي الظالم، وإرسال والي آخر بدلًا منه[2].

وكما أوضحتُ (في الفصل العاشر) قبل القاضي ابن حمدين، طلب شاب العفو عنه بأبيات من الشعر، لشربه الخمر، وكان موصوف بحسن الخلق فقبل ابن حمدين شفاعته، وعفى عنه وصفح، ولم يحده[3].

---

(١)ابن الأبار، المعجم، ص٢١٤.

(٢)ابن خلدون، العبر، ج٢، ص١٠٠٥.

(٣)المقري، أزهار الرياض، ج٥، ص٩٣ -٩٤.

ثانيًا: تعهد الشفعاء بعدم عودة المشفوع لهم إلى ما ارتكبوه من الذنوب

وكان بعض الشفعاء يتعهدون عند المشفوع عندهم بعدم عودة المشفوع لهم إلى ما ارتكبوه من الذنوب التي كانت سببًا في إنزال العقوبة بهم، فكان ذلك من أسباب قبول شفاعتهم، والعفو عنهم[1]، فقد تشفع شخص يدعى أبو علي، للأمير مزدلي، عند أمير المسلمين علي بن يوسف، وتعهد أبو علي والوسطاء، بعدم عودته للذنب مرة أخرى، فعفى عنه أمير المسلمين علي بن يوسف[2]، كما شفع الوزير الكاتب أبو القاسم لرجل من الأعيان وشاب عند أحد الأمراء، وتعهد بعدم إساءاتهم[3].

وكما أوضحتُ (في الفصل الثاني) كان ضمان بعض الوسطاء والشفعاء للأمير أبي عبد الله بن محمد بن الحاج أمير قرطبة، من أسباب عفو أمير المسلمين علي بن يوسف عنه، فقد ولاه مدينة فاس، ثم ولاية سرقسطة مع بلنسية[4] ولم يخش أن يقوم بالثورة ضده مرة أخرى، مما يدل على ضمان الوسطاء والشفعاء هذا الأمر.

---

(١)أبو العلا، الشفاعات الدنيوية، ص١٤٨.

(٢)ابن عذاري، البيان، ج٤، ص٥٦.

(٣)ابن خاقان، قلائد العقيان، ج٢، ص٥٠٥-٥١٠.

(٤)ابن الأبار، المعجم، ص١٣٨.

وكما أشرتُ أيضًا (في الفصل الثالث) تعهد فقهاء قرطبة عند أمير المسلمين علي بن يوسف، بتعويض المرابطين عما نهب، في أحداث ثورة قرطبة ٥١٤هـ/ ١١٢٠م، وطلبوا العفو عنهم، على ألا يقوموا بمثل ذلك مرة أخرى، وتعويض المرابطين، فوافق أمير المسلمين ورضي ورضوا بما اتفقوا عليه[1]، فعادت المياه إلى مجراها مرة أخرى.

(١)مجهول، الحلل الموشية، ص٨٧.

الفصل الثاني عشر

موقف المشفوع لهم من رفض الشفاعة وتأخر الاستجابة

أولًا: هجاء المشفوع لهم للمشفوع عنده

ثانيًا: رضاهم بالقضاء والقدر

الفصل الثاني عشر

موقف المشفوع لهم من رفض الشفاعة وتأخر الاستجابة لها

أولًا: هجاء المشفوع لهم للمشفوع عنده

رأينا فيما سبق أن كثيرًا من الشفاعات الحسنة قد نالت القبول عند المشفوع عندهم وبعضها لم يُقبل، وأوضحنا ذلك، ورغم أن الشفاعة سؤال وتوسل للمشفوع عنده ليتجاوز عن الذنوب والجرائم أو تخفيف عقوباتها، وأن له الحرية في أن يقبلها أو يرفضها، فإن بعض المشفوع لهم كانوا يطمعون في قبولها، ولم يستسيغوا رفضها، وصدر عن بعضهم ردود أفعال مختلفة تجاه ذلك[1]، فقد تحول بعضهم لمعارضة المشقوع عنده، فكما أشرتُ (في الفصل الثالث) لم يقبل أمير المسلمين علي بن يوسف شفاعة ابنه الأمير أبي بكر أكبر أبنائه لمعارضته له، فقد عارضه في تولية أخيه سير وليًا للعهد، وقد أعطاه والده أكثر من فرصة وعفا عنه خاصة بعد ثورته في غرناطة ٥٠٠هـ/ ١١٠٦م، غير أنه لم يستغل تلك الفرصة، لم يبايع سير على ولاية العهد، فغضب عليه والده، ويبدو أن أبا بكر طلب من والده أن يشفع له غير أنه لم يفعل، وقرر ألا يعطيه

(١)أبو العلا، الشفاعات الدنيوية، ص١٥٣.

فرصة أخرى، فاستمر أبو بكر في معارضة والده، وهجائه، فعزله والده عن إشبيلية، ونفاه، واستمر على ذلك الحال حتى مات ٥٣٧هـ/ ١١٤٣م[1].

وكما أوضحتُ (في الفصل الثامن) كان بغض الكاتب أبي مروان أخي الكاتب أبي عبد الله بن الخصال للمرابطين وهجائه لهم، سببًا في غضب أمير المسلمين علي بن يوسف عليه وإبعاده عن الكتابة، واستمر أبو مروان على ذلك حتى مات[2]، ويبدو أن أبا مروان استمر على هجائه للمرابطين حتى أن أمير المسلمين علي بن يوسف شكا إلى أخيه أبي عبد الله بن الخصال، الذي طلب من أمير المسلمين أن يعفيه من الكتابه، فاستعفاه[3]، ويتضح من ذلك أن أبا مروان كان ناقمًا ومنتقدًا لسياسة المرابطين، الأمر الذي جعل أمير المسلمين علي ابن يوسف يغضب منه.

---

(١)ابن عذاري، البيان، ج٤، ص١٠١.

(٢)المراكشي، المعجب، ص١٥١-١٥٢.

(٣)المراكشي، المعجب، ص١٥٣-١٥٤.

ثانيًا: رضاهم بالقضاء والقدر

رضى بعض المشفوع لهم بالقضاء والقدر، ويُسلمون أمرهم لله، فكما أوضحتُ (في الفصل الثاني) رضي أبو عبد الرحمن ابن طاهر بقضاء الله وقدره، بعدما رفض أمير المسلمين يوسف بن تاشفين والأمير ابن عائشة حاكم مرسية، رد أملاكه، وأقام في بلنسية إلى أن مات ٥٠٧هـ/ ١١١٣م[١].

كما لم يلتفت ناصر الدولة حاكم ميورقة إلى الشاعر أبي بكر بن اللبانه، رغم اعتذاره واستصراخه لقبول شفاعته، غير أن أبا بكر يبدو أنه رضي بقضاء الله، واستسلم لقدره، وخرج عن ميورقة، واحتمى ببني حماد، وحاول طلب العفو، غير أن ناصر الدولة لم يجبه[٢].

كما استجاب أمير المسلمين علي بن يوسف لأهالي غرناطة، وعزل الوالي أبا عمر يناله اللمتوني عنها، وحبسه في مراكش لظلمه له، غير أن المصادر وقفت صامتة عن الحديث عنه، ويبدو أنه رضي بقضاء الله وقدره، ولم يعف عنه أمير المسلمين، واستمر في حبسه[٣]، كما استسلم الأمير وانور بن أبي بكر حاكم ميورقة لقدره بعد عزله، واستمر في حبسه في مراكش[٤].

---

(١)عنان، دول الإسلام، ص١٨٦.

(٢)ابن خاقان، قلائد العقيان، ج٢، ص ٧٨٥-٧٨٦.

(٣)الذنون، آفاق غرناطة، ص٣٨.

(٤)الحميري، الروض المعطار، ص٥٦٧ ؛ ابن خلدون، العبر، ج٢، ص١٠٠٥.

الفصل الثالث عشر

الشفاعات السيئة

١-كيد أبي العلاء بن زهر للقاضي ابن منظور عند أمير المسلمين

٢-سعي الشاعر المخزومي الأعمى بوالي غرناطة أبي بكر بن سعيد

٣-سعي كبار فقهاء قرطبة وقضاتها بكتاب الإحياء لمنع انتشاره

٤-سعي بني حسون في مالقة في تجريح القاضي أبي محمد عبد الله بن الوحيدي

٥-وشاية عند أمير المسلمين علي بن يوسف لإسقاط مرتبة الأمير مزدلي

٦-سعاية أهالي قرطبة عند الوالي بالفقيه أبي عبد الله الذهبي

٧-تأليب الوزير مالك بن وهيب لأمير المسلمين علي بن يوسف على الطبيب ابن زهر

الفصل الثالث عشر

الشفاعات السيئة

لم تكن كل الشفاعات التي رصدناها في العصر موضوع الدراسة شفاعات حسنة فحسب، بل وقفنا أيضًا على بعض الشفاعات السيئة، وكانت لأسباب مختلفة ذكرناها فيما سبق، وقد ألحقت هذه الشفاعات بضحاياها عقوبات متفاوتة فمنها: العقوبات الخفيفة كالهجر والسجن لمدة قصيرة، ومنها العقوبات الثقيلة كالحرمان من تقلد المناصب العليا أو العزل منها والسجن لمدة طويلة والقتل(١).

١- كيد أبي العلاء بن زهر للقاضي ابن منظور عند أمير المسلمين

فكما عرضتُ (في الفصل الثاني) انقلب أبو العلاء بن زهر على القاضي ابن منظور وكاد له عند أمير المسلمين علي بن يوسف في عام ٥٠٣هـ/ ١١٠٩- ١١١٠م، وقيل أن ابن منظور سخر من ابن زهر في أثناء مرضه لذلك سعى به عند أمير المسلمين علي بن يوسف فعزله عن منصبه من قضاء إشبيلية(٢)، غير أن هناك سببًا آخر ربما أدى إلى تلك الوشاية، وهو موقف ابن منظور من قضية أبي العلاء بن زهر، فقد رفع ابن زهر دعوى تطالب باسترداد أملاك جده الفقيه أبي

---

(١)أبو العلا، الشفاعات الدنيوية، ص١٥٩.

(٢)ابن عذاري، البيان، ج٤، ص٤٩.

بكر محمد بن مروان التي استصفاها ابن عباد أو التي أنزلها الفقيه أو حبسها لبعض أهل إشبيلية أو نواحيها عند اضطراره لمغادرة إشبيلية، فعندما عرضت القضية على قاضي إشبيلية ابن منظور، لم يستطع أن يدلي فيها برأي قاطع لمكانة ابن زهر ومنزلته، الأمر الذي أغضب ابن زهر فاستغل فرصة سخرية ابن منظور منه في مرضه فسعى به، وشكاه إلى أمير المسلمين علي بن يوسف حتى عزله عن القضاء[1].

٢- سعي الشاعر المخزومي الأعمى بوالي غرناطة أبي بكر بن سعيد

استغل الشاعر المخزومي الأعمى، فرصة افتتان والي غرناطة أبي بكر بن سعيد، بزينب بنت زياد، وكان شاعرًا معروفًا بهجائه، وسلاطة لسانه، فسعى به عند أمير المسلمين علي بن يوسف بأبيات من الشعر يعرض به وبأخلاقه، ويهجوه فقال[2]:

**إِليك أَميرَ المؤمنين نصيحــة		يجوزُ بها البحرَ المُجعجعَ شاعرُ**
**بغرناطة وليت في الناس عاملًا		ولكن بما تَحويه منه المـــــــآزرُ**
**وأَنت ما تَخفى عليك خَفِيــةٌ		فسل أَهلها فالأَمر للناس ظاهـــــرُ**
**وما لإِلآة العرش تفنيه حَمدةَ		وزينبُ والكأس الذي هو دايــــــرُ**

(١)دندش، أضواء جديدة، ص١٢٨-١٢٩.

(٢)ابن الخطيب، الإحاطة، ج٣، ص٢١٦.

فعزل أمير المسلمين علي بن يوسف، أبا بكر بن سعيد من ولاية غرناطة، وكان سعي الشاعر المخزومي الأعمى بوالي غرناطة، والتعريض به، هو مكانة الشاعرة نزهون القليعي منه، فقد كان بينها وبين المخزومي الأعمى هجاء، فكان سببًا في الوشاية به إلى أمير المسلمين علي بن يوسف[1].

٣- سعي كبار فقهاء قرطبة وقضاتها بكتاب الإحياء لمنع انتشاره

وكما بينتُ (في الفصل الخامس) كان من الشفاعات السيئة أيضًا سعي كبار فقهاء قرطبة وقضاتها، وعلى رأسهم القاضي ابن حمدين، بكتاب الإحياء للإمام الغزالي، لتعريضه بهم، واهتمامه بعلم أصول الدين، وهو ما يضر بهم لاهتمامهم بعلم الفروع، وإهمالهم علم أصول الدين، وأجمعوا على حرقه، فحرق في قرطبة، ووجه أمير المسلمين علي بن يوسف إلى جميع بلاده يأمر بإحراقه[2]، رغم معارضة عدد من الفقهاء لإحراقه، وكان إحراقه سببًا في زوال ملكهم.

٤- سعي بني حسون في مالقة في تجريح القاضي أبي محمد عبد الله بن الوحيدي

وكما أشرتُ (في الفصل الثاني) خرج العالم الأصولي أبو عبد الله ابن الفخار في حقه إلى مجلس أمير المسلمين علي بن يوسف في مراكش، بطلب من بني حسون، فقد شككوا في أحكامه، وطعنوا عليها، على الرغم من قولهم

---

(١)المقري، نفح الطيب، ج١، ص١٩٠-١٩٢.

(٢)ابن القطان، نظم الجمان، ص٧٠-٧١ ؛ ابن عذاري، البيان، ج٤، ص٥٩-٦٠.

إنهكان يحسن القضاء، غير أن المصادر لم توضح سبب تلك الوشاية، فربما حكم على غير رغبتهم في أمر ما أو حسدًا له على مكانته[1].

٥- وشاية عند أمير المسلمين علي بن يوسف لإسقاط مرتبة الأمير مزدلي

تعرض الأمير مزدلي لوشاية، وسعاية سيئة، غيرت أمير المسلمين علي ابن يوسف عليه، وربما شرع في إسقاط مرتبته في دولة المرابطين، رغم دوره وجهوده في دولة المرابطين، غير أن تلك السعاية لم تنجح، فقد ظهر الحق، وعفى أمير المسلمين عن الأمير مزدلي في عام ٥٠٦هـ/ ١١١٢م – ١١١٣م[2].

٦- سعاية أهالي قرطبة عند الوالي بالفقيه أبي عبد الله الذهبي

سعى أهالي قرطبة بالفقيه أبي عبد الله الذهبي، لسوء عملهم، وقلة علمهم عند والي قرطبة فكان يعامله معاملة سيئة[3]، غير أن المصادر لم تشر إلى اسم الأمير.

(١)المقري، نفح الطيب، ج٣، ص٣٩٢.

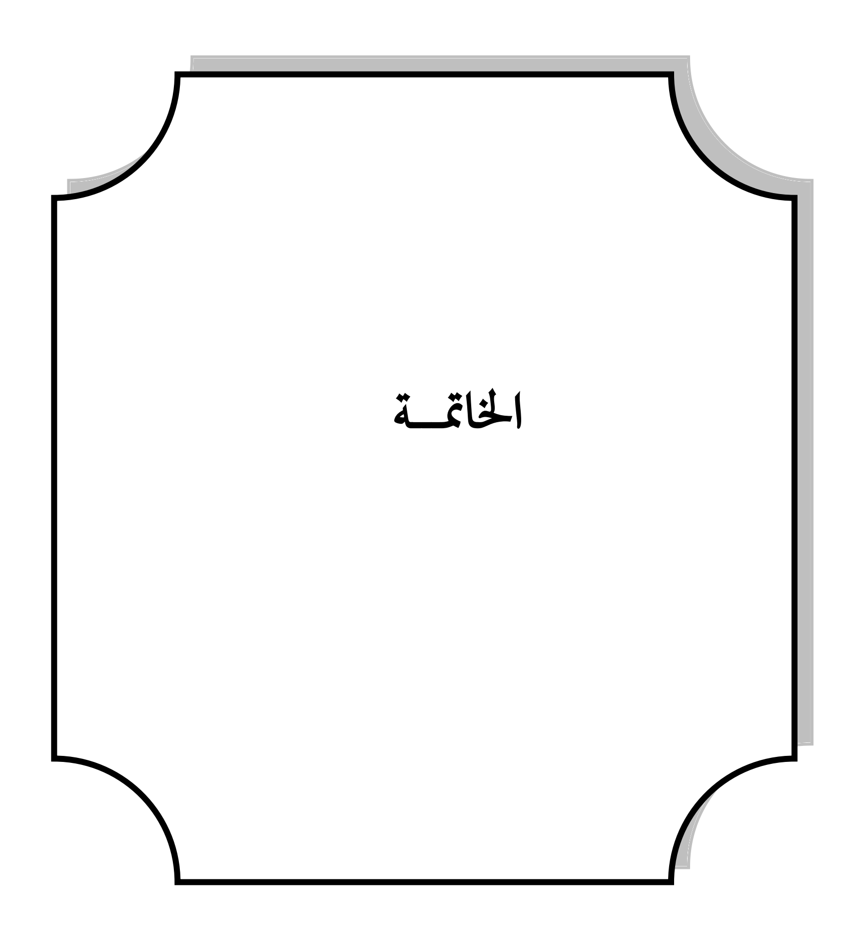
(٢)ابن عذاري، البيان، ج٤، ص٥٦.

(٣)الضبي، بغية الملتمس، ص١٣٣.

٧- تأليب الوزير مالك بن وهيب لأمير المسلمين علي بن يوسف على الطبيب ابن زهر

وكما أوضحتُ (في الفصل الثاني) سعى الوزير مالك بن وهيب، مستشار وجليس أمير المسلمين علي بن يوسف بالطبيب أبي العلاء بن زهر، لهجائه له ولصديقه ابن باجة، وربما كان حسدًا أيضًا لابن زهر على مكانته من أمير المسلمين علي بن يوسف، كما سعى به ابن خاقان، والقاضي الزهري لخلافهما، فكانت تلك الوشاية سببًا، في تغير أمير المسلمين عليه وتوفي منكوبًا بقرطبة ٥٢٥هـ/ ١١٣١م[1].

(١)ابن الأبار، التكملة، ج١، ص٢٦٩.



الخاتمــة

الخاتمة

استقصينا في تلك الدراسة الشفاعات الدنيوية في الأندلس في عصر دولة المرابطين (٤٨٣هـ/ ١٠٩٠م–٥٢٠هـ/ ١١٢٦م)، وأمكنا استنادًا إلى تحليل كثير من المصادر واستنطاقها، إلى التأكيد على بعض الحقائق، والتوصل إلى حقائق أخرى جديدة ومنها:

١- أن الشفاعات الدنيوية في الأندلس كانت كغيرها من البلدان الإسلامية نوعين: حسنة وسيئة. وأنها عرفت بمعان أخرى، منها: الواسطة، والتزكية، والوسيلة، والتوصية. وأن معظم هذه الشفاعات كانت فردية، وبعضها كانت جماعية. وأنها بُذلت لأسباب دينية، وسياسية، وإدارية، واجتماعية.

٢- أن الشفعاء أو الوسطاء كانوا من البشر، وفي بعض الحالات كانوا أشياء معنوية، كالشعر، والرسائل الإخوانية، وأن أهل الأندلس قد تخيروا شفعاءهم من فقهائهم، وزهادهم، وأصحاب الرأي والدهاء فيهم، وأصحاب النفوذ في بلاطات الحكام، لينتفعوا بمكانتهم لديهم. وأنهم كانوا يلقون بأزمتهم بعد الله لهم، وفوضوا أمورهم إليهم، مؤملين انقضاء حوائجهم على أيديهم لحُسن الظن بهم.

٣- أن بعض الشفعاء قرنوا طلب الشفاعة من الحكام بأمور أخرى تؤكدها، منها: تلطفهم في الاستشفاع إليهم بالمقربين منهم وذوي الأثرة لديهم كنسائهم وأبنائهم.

٤- أن بعض المسئولين كانوا لا يقبلون الوساطة لشغل بعض الوظائف الحيوية، دون أن تتوافر شروطها في المشفع له، وإن كان الوسيط حاكم البلاد نفسه.

٥- أن أمير المسلمين علي بن يوسف عفا عن الثوار والمتمردين، وامتازت سياسته بالتسامح الشديد معهم، بل والاستعانة بهم في حكم ولايات أخرى.

٦- أن كبار رجال الدولة والحاشية وندماء الحاكم والأدباء قد شفعوا عند الحكام لبعضهم البعض.

٧- أن بعض أصحاب الحاجات قصدوا من يشفع لهم ويقضيها لهم، وسعوا إلى إسقاط المغارم أو تخفيفها، حيث لجأوا إلى من يشفع لهم وينقذهم.

٨- أن بعض الناس لجأوا إلى الزهاد والصالحين ليشفعوا إلى الله بالدعاء لرفع الظلم وتفريج الكرب.

٩- أن بعض الناس عُفي عنهم ولم يُطبق عليهم الحد، والبعض طُبق عليه الحد، فاختلف موقف الدولة من تطبيق الحدود، وبعض القضاة أعرض عن قبول أي شفاعة في الدين.

١٠- كان للتوبة وضمان الشفعاء أثر إيجابي في قبول الشفاعة في المذنبيين والتجاوز عن أخطائهم.

١١- أن بعض الحكام رفضوا الشفاعة وردوها؛ لنقمتهم الشديدة على المشفع فيه وسخطهم عليه، وأن مواقف المشفوع لهم من رفض الشفاعة كانت مختلفة فبعضهم تحول إلى هجاء المشفوع عنده، بينما رضي بعضهم بالقضاء والقدر.



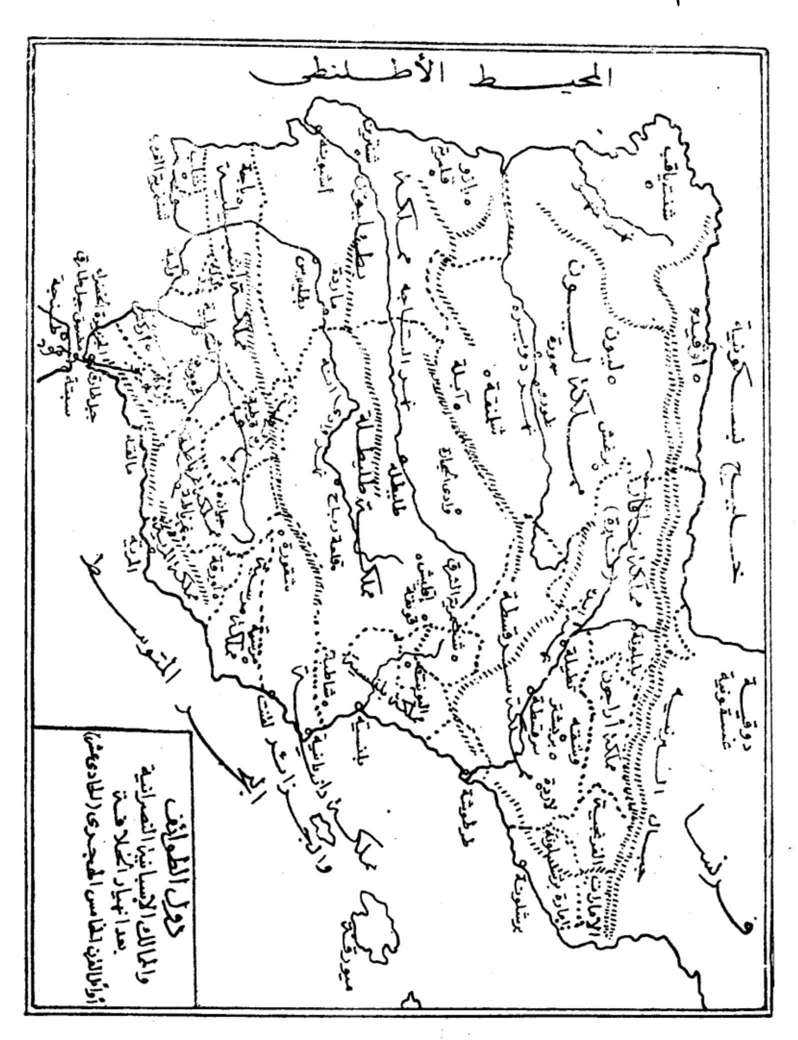
ملحق الخرائط

خريطة رقم (١)



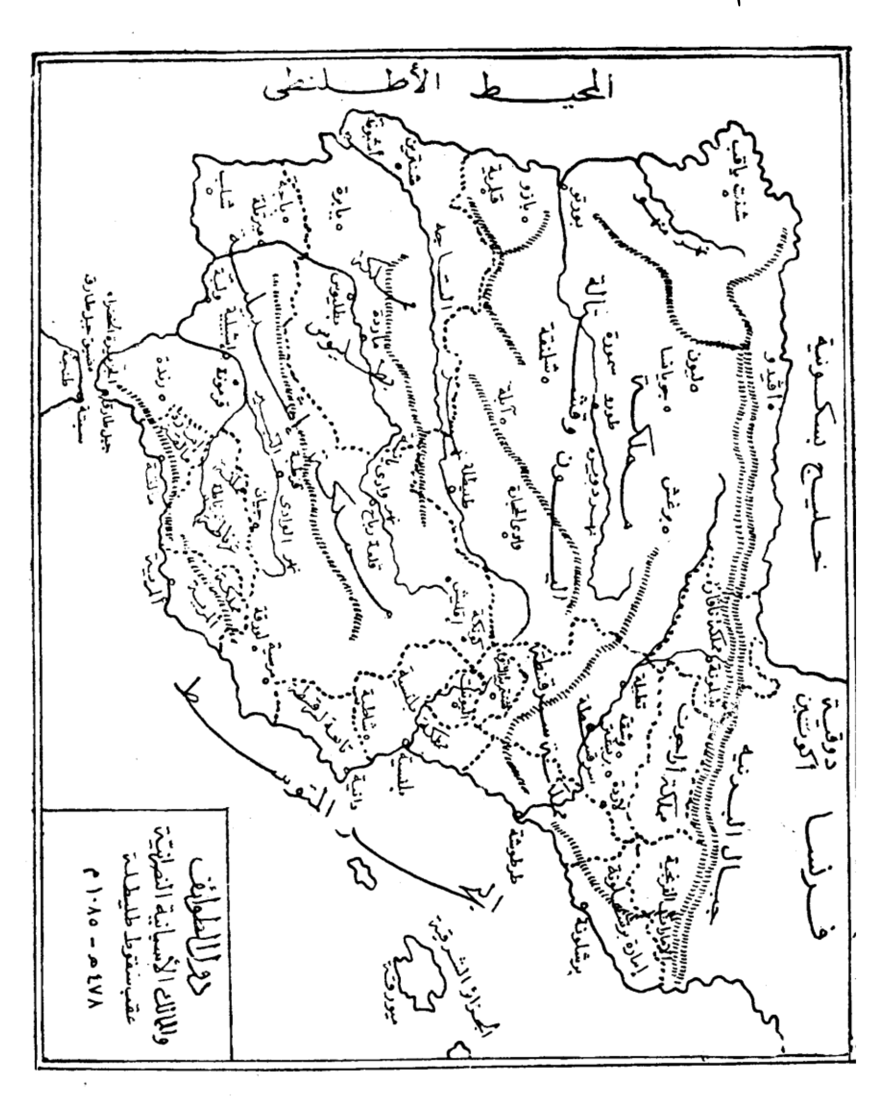
نقلاً عن: حسين مؤنس، أطلس تاريخ الإسلام، الطبعة الأولى، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ١٩٨٧م، ص١٧٣.

خريطة رقم (٢)



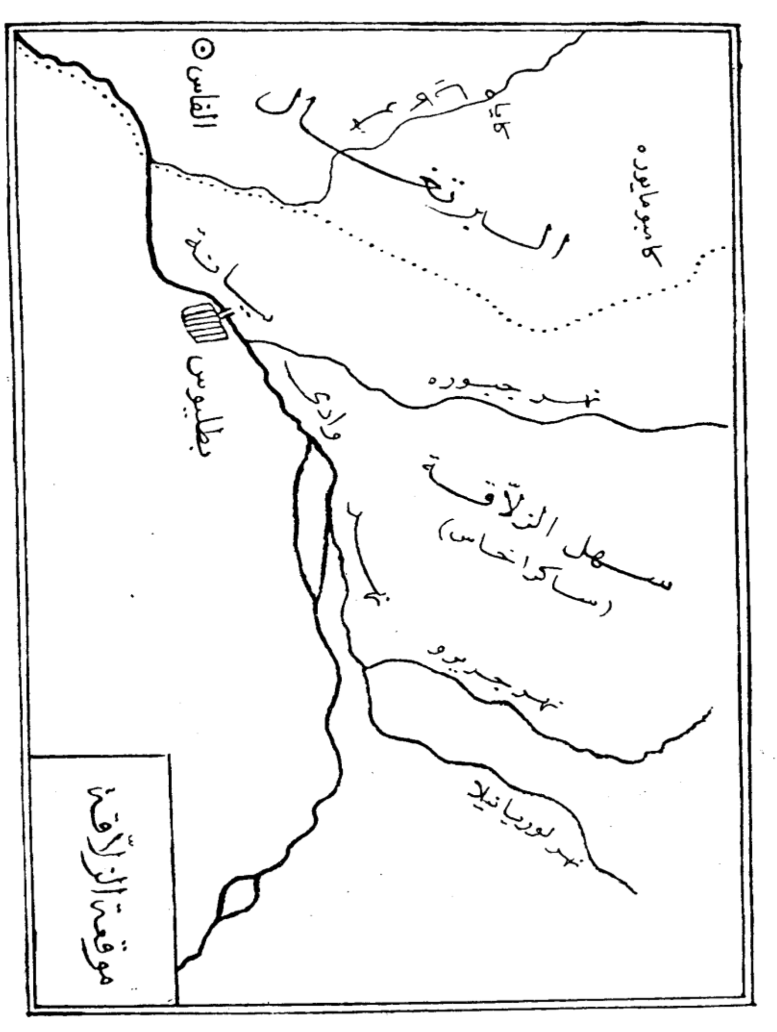
نقلاً عن: عنان، دول الإسلام، ج٢، ص٢٧.

خريطة رقم (٣)



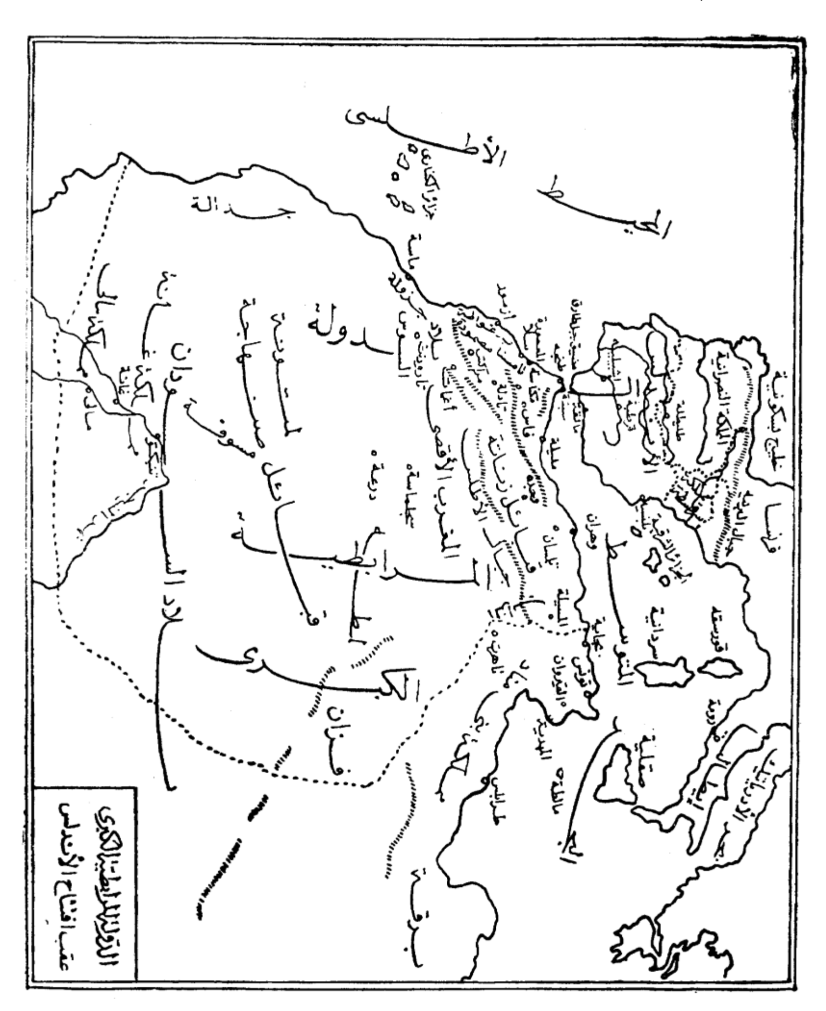
نقلاً عن: عنان، دول الإسلام، ج٢، ص١١٧.

خريطة رقم (٤)



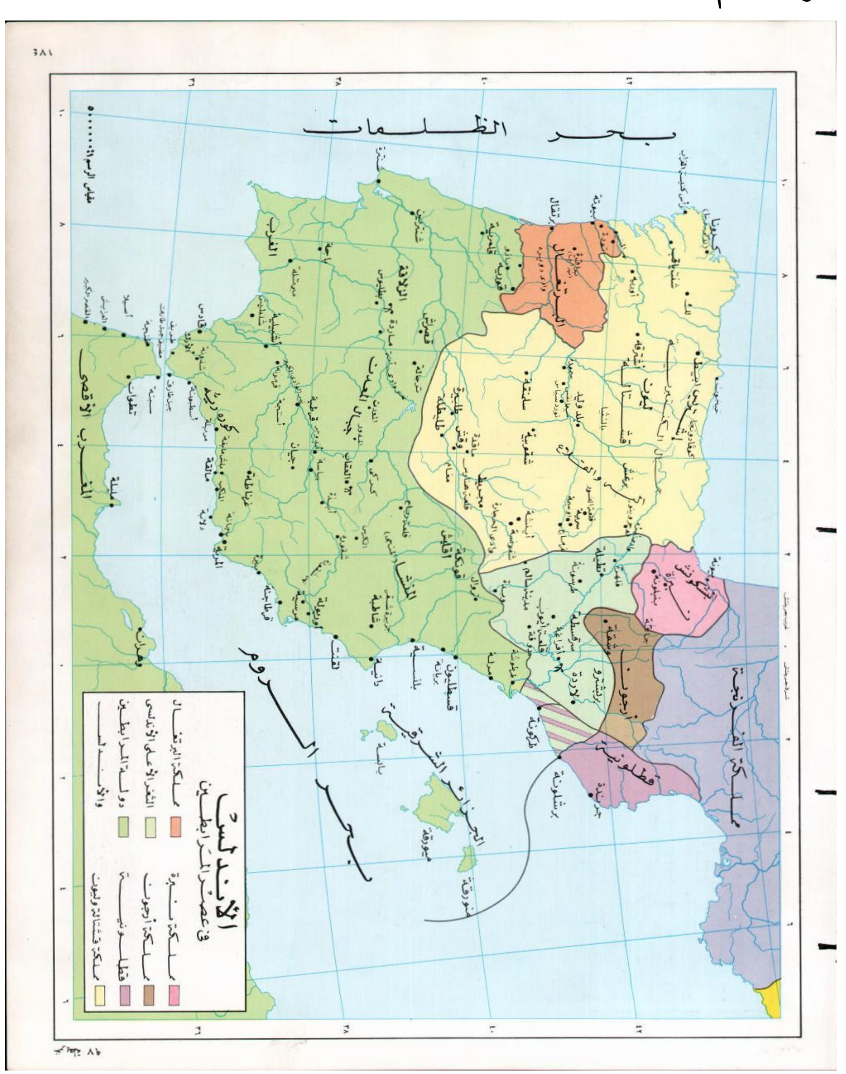
نقلاً عن: عنان، دول الإسلام، ج٢، ص٣٢٧.

خريطة رقم (٥)



نقلاً عن: عنان، دول الإسلام، ج٢، ص٣٦٧.

خريطة رقم (٦)



نقلاً عن: مؤنس، أطلس، ص١٧٤.



مصادر الدراسة ومراجعها

مصادر الدراسة ومراجعها

أولًا: المصادر العربية

١- ابن الأبار (أبو عبد الله محمد بن عبد الله) ت ٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م:

- إعتابُ الكُتابِ، تحقيق د. صالح الأشتر، الطبعة الأولى، مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٦١م.

٢- ـــــــــــــــــــــــ: الحلة السيراء، تحقيق حسين مؤنس، الطبعة الثانية، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٥م.

٣- ـــــــــــــــــــــــ: التكملة لكتاب الصلة، تحقيق د. عبد السلام الهراس، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٩٩٥م.

٤- ـــــــــــــــــــــــ: المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصدفي، الهيئة المصرية للكتاب، ٢٠٠٨م.

٥- ابن أبي أصيبعة (موفق الدين أبو العباس بن القاسم) ت ٥٧٩هـ/ ١١٨٣م:

- عيون الأنباء في طبقات الأطباء، نشرهـ/ أوجست مُلر، معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية، ألمانيا، ١٩٩٥م.

٦- ابن بسام (أبو الحسن بن علي) ت ٥٤٢هـ/ ١١٤٧م:

- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٩٧م.

٧- ابن بشكوال (أبو القاسم خلف بن عبد الملك) ت ٥٧٨هـ/ ١١٨٣م:

- الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم، الهيئة المصرية للكتاب، ٢٠٠٨م.

٨- الترمذي (الإمام أبو عيسى محمد بن سورة) ت ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م:

- الجامع الصحيح، تحقيق وتعليق إبراهيم عطوة عوض، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ.

٩- التطيلي (أبو جعفر أحمد بن عبد الله بن أبي هريرة) ت ٥٢٥هـ/ ١١٣١م :

- ديوان الأعمى التطيلي، تحقيق د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٣م.

١٠- التنبكتي (أبو العباس أحمد بابا بن أحمد بن عمر التكروري) ت ١٠٣٦هـ/ ١٦٢٧م:

- نيل الابتهاج بتطريز الديباج – على هامش كتاب الديباج المذهب لابن فرحون، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ.

١١- ابن تيمية (شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم) ت ٧٢٨هـ/ ١٣٢٨م:

- قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، الطبعة الأولى، إدارة البحوث العلمية والإفتاء، السعودية، ١٩٩٩م.

١٢- ابن الأثير (أبو الحسن علي بن محمد الشيباني) ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٣م :

- الكامل في التاريخ، راجعه وصححه د. محمد يوسف الدقاق، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م.

١٣- ابن الأثير (الإمام مجد الدين المبارك بن محمد) ت ٦٠٦هـ/ ١٢١٠م :

- النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق علي بن حسن بن علي بن عبد الحميد الحلبي الأثري، الطبعة الأولى، دار ابن الجوزي، السعودية، ٢٠٠٠م.

١٤- الحاكم النيسابوري (محمد بن عبد الله) ت ٤٠٥هـ/ ١٠١٤م :

- المستدرك على الصحيحين، بإشراف د. يوسف عبد الرحمن المرعشلي، دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ.

١٥- ابن حزم (أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد) ت ٤٥٦هـ/ ١٠٦٤م :

- طوق الحمامة في الألفة والإلاف، تحقيق د.الطاهر أحمد مكي، الطبعة الرابعة، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٥م.

١٦- ابن الأحمر (إسماعيل بن الأحمر الغرناطي) ت ٨١٠هـ/ ١٤٠٧م :

- بيوتات فاس الكبرى، دار المنصور، الرباط، ١٩٧٢م.

١٧- الحُميدي (أبو عبد الله محمد بن فتوح) ت ٤٨٨هـ/ ١٠٩٥م :

- جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، الهيئة المصرية للكتاب، ٢٠٠٨م.

١٨- الحميري (محمد بن عبد المنعم) ت ٧٠٥ه أو ٧٠٩هـ/ ١٣٠٦م أو ١٣٠٨م :

- صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق د. إحسان عباس، الطبعة الثانية، مكتبة لبنان، ١٩٨٤م.

١٩- ابن حيان (أبو مروان حيان بن خلف بن حسين) ت ٤٦٩هـ/ ١٠٧٦م:

- المقتبس من أنباء أهل الأندلس، تحقيق د. محمود علي مكي، دار التعاون، القاهرة، ١٩٩٤م.

٢٠- ابن حوقل النصيبي (أبو القاسم محمد بن علي) ت ٣٨٠هـ/ ٩٩٠م :

- صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٩٢م.

٢١- ابن خاقان (أبو نصر الفتح بن محمد القيسي الإشبيلي) ت ٥٢٩هـ/ ١١٣٤م :

- مطمح الأنفس، تحقيق د.محمد علي شوابكة، الطبعة الأولى، مؤسسة رسالة، بيروت، ١٩٨٣م.

٢٢- ـــــــــــــــــــــــــــــــ: قلائد العقيان ومحاسن الأعيان، تحقيق د. حسين يوسف خريوش، الطبعة الأولى، مكتبة المنار للنشر والتوزيع، الأردن، ١٩٨٩م.

٢٣- ابن الخطيب (لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله) ت ٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م:

- الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق د.محمد عبد الله عنان، الطبعة الثانية، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٧٣م.

٢٤- ـــــــــــــــــــــــ: أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام، القسم الثاني، إ. ليفيپروفنسال، الطبعة الثانية، دار المكشوف، بيروت، ١٩٥٦م.

٢٥- ابن خفاجة (أبو إسحاق إبراهيم بن أبي الفتح) ت ٥٣٣هـ/ ١١٣٧م :

- ديوان ابن خفاجة، تحقيق د.عمر فاروق الطباع، دار القلم للطباعة والتوزيع، بيروت، ١٩٩٤م.

٢٦- ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد) ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٦م :

- العبر وديوان المبتدأ والخبر، تحقيق أبي صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، عمان، بدون تاريخ.

٢٧- ابن خلكان (أبو العباس شمس الدين أحمد) ت ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م:

- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق د.إحسان عباس، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ.

٢٨- أبو داود (الإمام سليمان بن الأشعث السجستاني) ت ٢٧٥هـ/ ٨٨٨م :

- سنن أبى داود، طبعة محمد محي عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، بدون تاريخ.

٢٩- ابن دحية (أبو الخطاب عمر بن حسن) ت ٦٣٣هـ/ ١٢٣٥م :

- المطرب من أشعار أهل المغرب، تحقيق أ.إبراهيمالأبياريود.حامد عبد المجيد ود.أحمد أحمد بدوي، دار العلم، بيروت، ١٩٥٥م.

٣٠- الإدريسي (أبو عبد الله محمد بن محمد) ت ٥٤٨هـ/ ١١٥٥م :

- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، الطبعة الأولى، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٩م.

٣١- ابن أبي الدينار (أبو عبد الله الشيخ محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني) القرن ١٢هـ/ ١٨م :

- المؤنس في أخبار أفريقية وتونس، الطبعة الأولى، مطبعة الدولة التونسية، ١٨٦٩م.

٣٢- الذهبي (الإمام شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد) ت ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م :

- العبر في خبر من غبر، تحقيق أبي هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٥ .

٣٣- ــــــــــــــــــــــــــــ: دول الإسلام، تحقيق د.حسن إسماعيل ود.محمود الارناؤوط، الطبعة الأولى، دار صادر، بيروت، ١٩٩٩م.

٣٤- الرازي (الإمام فخر الدين محمد بن ضياء الدين عمر) ت ٦٠٤هـ/ ١٢٠٨م :

- تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير، الطبعة الثالثة، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٥م.

٣٥- الرشاطي (ت ٥٤٢هـ/ ١١٤٧م) وابن الخراط الإشبيلي (ت٥٨١هـ/ ١١٨٦م) :

- الأندلس في اقتباس الأنوار وفي اختصار اقتباس الأنوار، تحقيق إيميليو مولينا وخاثينتو بوسك بيلا، المجلس العالي للأبحاث العلمية، مدريد، ١٩٩٠م.

٣٦- ابن رشد (الوليد محمد بن أحمد) ت ٥٢٠هـ/ ١١٢٦م :

- فتاوى ابن رشد، تحقيق المختار بن الطاهر التليلي، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٩٨٧م.

٣٧- ــــــــــــــــــــــــــــ: البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل في مسائل المستخرجة،

- الجزء الأول، تحقيق أ.أحمد الشرقاوي إقبال، الطبعة الثانية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٨م.

- الجزء الثالث، تحقيق أ. أحمد الحبابي، الطبعة الثانية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٨م.
- الجزء الرابع، تحقيق أ.أحمد الشرقاوي إقبال، الطبعة الثانية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٨م.
- الجزء الخامس، تحقيق أ.محمدالعرايشي، الطبعة الثانية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٨م.
- الجزء السادس، تحقيق أ.أحمد الحبابي، الطبعة الثانية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٨م.
- الجزء الحادي عشر، تحقيق أ. محمد العرايشي، الطبعة الثانية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٨م.

٣٨- ابن الزبير (أبو جعفر بن أحمد) ت ٧٠٨هـ/ ١٣٠٨م :

- صلة الصلة، تحقيق د.شريف أبو العلا العدوي، الطبعة الأولى، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠٨م.

٣٩- الزجالي (أبو يحيى عبيد الله بن أحمد) عاش في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي :

- أمثال العوام في الأندلس، تحقيق د.محمد بن شريفة، مطبعة محمد الخامس، فاس، ١٩٧١م.

٤٠- ابن أبي زرع (أبو الحسن علي بن عبد الله الفاسي) ت ٧٢٦هـ/ ١٣٢٥م :

- الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، ١٩٧٢م.

٤١- ابن الزيات (أبو يعقوب يوسف بن يحيى التادلي) ت ٦١٧هـ/ ١٢٢٠م :

- التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، تحقيق أحمد توفيق، الطبعة الثانية، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ١٩٩٧م.

٤٢- الزيري (الأمير عبد الله بن بلقين) كان حيًا ٤٨٣هـ/ ١٠٩٠م :

- مذكرات الأمير عبد الله المسماة التبيان، تحقيق د.أمين توفيق الطيبي، منشورات عكاظ، الرباط، ١٩٩٥م.

٤٣- ابن زهر (أبو مروان بن أبي العلاء بن عبد الملك الإشبيلي) ت ٥٢٥هـ/ ١١٣٠م :

- التيسير في المداواة والتدبير، تحقيق د.ميشيل خوري، المنظمة العربية للتربية والعلوم، دمشق، ١٩٨٣م.

٤٤- السراج (أبو عبد الله محمد بن محمد الأندلسي) ت ١١٤٩هـ/ ١٧٣٦م – ١٧٣٧م :

- الحلل السندسية في الأخبار التونسية، تحقيق محمد الهيلة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٤م.

٤٥- ابن سعيد المغربي (أبو الحسن علي بن موسى بن محمد) ت ٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م:

- المغرب في حلي المغرب، تحقيق د. شوقي ضيف، الطبعة الرابعة، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٣م.

٤٦- ـــــــــــــــــــــــ: كتاب الجغرافيا، حققه ووضع مقدمته وعلق عليه د.إسماعيل العربي، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٧٥م.

٤٧- ابن سماك العاملي (أبو القاسم محمد بن أبي العلاء محمد) النصف الثاني من القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي:

- الزهرات المنثورة في نكت الأخبار المأثورة، تحقيق د.محمود علي مكي، المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد، ١٩٨٢م.

٤٨- شيخ الربوة (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي طالب الأنصاري الدمشقي) ت ٧٢٨هـ/ ١٣٢٧م :

- نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٨م.

٤٩- الصفدي (صلاح الدين خليل بن أيبك) ت ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م :

- الوافي بالوفيات، تحقيق س. ديدر ينغ، الطبعة الثانية، فرانز شتايزبقيسبادن، ١٩٧٤م.

٥٠- الأصفهاني (العماد الأصفهاني الكاتب) ت ٥٩٧هـ/ ١٢٠١م :

- خريدة القصر وجريدة العصر " شعراء المغرب والأندلس "، تحقيق آذرتاشآذرنوش، الطبعة الثانية، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٦م.

٥١- الضبي (أبو جعفر أحمد بن يحيى بن أحمد) ت ٥٩٩هـ/ ١٢٠٢م:

- بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، الهيئة المصرية للكتاب، ٢٠٠٨م.

٥٢- ابن عباد (المعتمد بن عباد) ت ٤٨٨هـ/ ١٠٩٥م :

- ديوان المعتمد بن عباد، تحقيق د. حامد عبد المجيد، د.أحمد أحمد بدوي، د.طه حسين، الطبعة الثالثة، دار الكتب المصرية، القاهرة، ٢٠٠٠م.

٥٣- عبد الملك المراكشي (محمد بن عبد الملك المراكشي) ت ٧٠٣هـ/ ١٣٠٣م :

- الذيل والتكملة لكتاب الموصول والصلة، تحقيق د.محمد بن شريفة، د.إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٣م.

٥٤- ابن عبدون (محمد بن أحمد التجيبي) ق ٦هـ/ ق١٢م :

- رسالة في القضاء والحسبة " ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب "، نشرها ليڤيبروڤنسال، مطبوعات المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، ١٩٥٥م.

٥٥- ابن عذاري (أبو العباس أحمد بن محمد) كان حيًا سنة ٧١٢هـ/ ١٣١٢م :

- البيان المغرب في أخبار المغرب والأندلس، الأجزاء الثلاثة الأولى تحقيق كولان وليڤيپروڤنسال والجزء الرابع خاص بتاريخ المرابطين نشر وتحقيق د.إحسان عباس، الطبعة الثالثة، دار الثقافة، بيروت، ١٩٨٣م.

٥٦- ابن العربي (أبو بكر محمد المعافري) ت ٥٤٣هـ/ ١١٤٨م :

- العواصم من القواصم، تحقيق د.عمار الطالبي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٧٤م.

٥٧- ابن عسكر (أبو عبد الله) ت ٦٣٦هـ/ ١٢٣٨م وابن خميس (أبو بكر) كان حيًا ٦٢٢هـ/ ١٢٢٥م :

- أعلام مالقة، تحقيق د.عبد الله المرابط الترغي، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، دار الأمان، بيروت، ١٩٩٩م.

٥٨- ابن عطية (أبو محمد عبد الحق الأندلسي) ت ٥٤١هـ/ ١١٤٦م:

- فهرس ابن عطية، تحقيق محمد أبو الأجفان ومحمد الزاهي، الطبعة الثانية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٣م.

٥٩- ابن العماد (أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي) ت ١٠٨٩هـ/ ١٦٧٨م :

- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، محمود الارناؤوط، الطبعة الأولى، دار ابن كثير، بيروت، ١٩٨٩م.

٦٠- ابن عميرة المخزومي (أبو المطرف أحمد بن عبد الله) ت ٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م :

- تاريخ ميورقة، تحقيق د.محمد بن معمر، دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٧م.

٦١- عياض (القاضي أبو الفضل) ت ٥٤٤هـ/ ١١٤٩م:

- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق سعيد أحمد أعراب، مطابع الشويخ، المغرب، ١٩٨٢م.

٦٢- ابن عياض (أبو عبد الله محمد بن القاضي عياض) ت ٥٧٥هـ/ ١١٨١م :

- التعريف بالقاضي عياض، تحقيق د.محمد بن شريفة، الطبعة الثانية، مطبعة فضالة المحمدية، ١٩٨٢.

٦٣- الغزالي (الإمام أبو حامد محمد بن محمد) ت ٥٠٥هـ/ ١١١١م:

- إحياء علوم الدين، تحقيق بدوي طبانة، مكتبة ومطبعة كرباطة، إندونيسيا، بدون تاريخ.

٦٤- ابن فرحون (إبراهيم بن علي بن محمد) ت ٧٩٩ هـ/ ١٣٩٧م:

- الديباج المذهب، تحقيق د.محمد الأحمدي، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة، ١٩٧٢م.

٦٥- ابن الفرضي (أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف) ت ٤٠٣هـ/ ١٠١٣م :

- تاريخ علماء الأندلس، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٦٦م.

٦٦- ابن القاضي (شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد بن علي بن أبي العافية المكناسي النجار الفاسي) ت ١٠٢٥هـ/ ١٦١٦م:

- درة الحجال في أسماء الرجال، تحقيق الأحمدي أبو النور، القاهرة، ١٩٧٠م.

٦٧- ابن القاضي المكناسي (أحمد بن محمد بن أبي العافية المكناسي) ت ١٠٢٥هـ/ ١٦١٦م:

- جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، دار المنصور للطباعة، الرباط، ١٩٧٣م.

٦٨- القرآن الكريم.

٦٩- ابن القطان (أبو الحسن علي بن محمد الكتامي) ت ٦٢٨هـ/ ١٢٣١م:

- نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تحقيق د.محمود علي مكي، الطبعة الثانية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٠م.

٧٠- ابن الكردبوس (أبو مروان عبد الملك) ت ٥٧٣هـ/ ١١٧٧م :

- تاريخ الأندلس لابن الكردبوس ووصفه لابن الشباط، نصان جديدان، تحقيق د. أحمد مختار العبادي، معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، ١٩٧١م.

٧١- مجهول :

- تاريخ الأندلس، تحقيق د.عبد القادر بوباية، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ.

٧٢- مجهول:

- الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق د.سهيلزكاروأ.عبدالقادر زمانه، الطبعة الأولى، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ١٩٧٩م.

٧٣- المراكشي (عبد الواحد بن أحمد) ت ٦٦٩هـ/ ١٢٧٠م :

- المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق د. محمد زينهم محمد عزب، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، المغرب، ١٩٩٤م.

٧٤- ـــــــــــــــــــــــــــ: وثائق المرابطين والموحدين، تحقيق د. حسين مؤنس، الطبعة الأولى، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٩٩٧م.

٧٥- المقري (أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد) ت ١٠٤١هـ/ ١٦٣١م:

- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨م.

٧٦- ـــــــــــــــــــــــــــ: أزهار الرياض في أخبار عياض، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٣٩م.

٧٧- ابن منظور (جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري) ت ٧١١هـ/ ١٣١١م:

- لسان العرب، الطبعة السادسة، دار صادر، بيروت، ١٩٩٧م.

٧٨- النباهي (أبو الحسن علي بن عبد الله الجذامي) كان حياً سنة ٧٩٣هـ/ ١٣٩١م :

- تاريخ قضاة الأندلس، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق، الطبعة الخامسة، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨٣م.

٧٩- النووي (أبو زكريا محي الدين يحيى بن شرف النووي الدمشقي) ت ٦٧٦هـ/ ١٢٧٩م :

- شرح رياض الصالحين، تحقيق محمد الياس، الطبعة الأولى، دار نهضة مصر، القاهرة، ٢٠١١م.

٨٠- **النويري (أحمد بن عبد الوهاب محمد بن عبد الدايم البكري التميمي القرشي) ت ٧٣٢هـ/ ١٣٣٢م :**

- نهاية الأرب في فنون الأدب، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤م.

٨١- **الونشريسي (أحمد بن يحيى الونشريسي) ت ٩١٤هـ/ ١٠٠٨م:**

- المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب، خرجه جماعة من الفقهاء بإشراف د.محمد حجي، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨١م.

٨٢- **ياقوت الحموي (شهاب الدين أبى عبد الله) ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م :**

- معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٩٧٧م.

٨٣- ــــــــــــــــــــــ: معجم الأدباء، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٨م.

ثانيًا: المراجع العربية الحديثة والأجنبية المعربة

١- **أرسلان (شكيب):** الحلل السندسية، الطبعة الأولى، المطبعة الرحمانية، ١٩٣٦م.

٢- **أشباخ (يوسف):** تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ترجمة وتعليق د.محمد عبد الله عنان، الطبعة الثانية، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٦م.

٣- **بالنثيا(آنخلجنثالث):** تاريخ الفكر الأندلسي، نقله عن الإسبانية حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٩٥٥م.

٤- **البهجي (د.إيناس حسني):** تاريخ المغرب والأندلس " في عصر المرابطين والموحدين وحتى سقوط دولة بني الأحمر "، دار التعليم الجامعي، الإسكندرية، ٢٠١٥م.

٥- **بنسباغ (د.مصطفى):** السلطة بين التسنن والتشيع والتصوف ما بين عصري المرابطين والموحدين، الطبعة الأولى، مطابع الشويخ، المغرب، ١٩٩٩م.

٦- **بوتشيش (إبراهيم القادري):** مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، دار الطليعة، بيروت، ١٩٩٧م.

٧- ــــــــــــــــــــــــــ: المغرب والأندلس في عصر المرابطين " المجتمع – الذهنيات – الأولياء "، الطبعة الأولى، دار الطليعة – بيروت، ١٩٩٣م.

٨- **البيومي (د.محمد رجب):** الأدب الأندلسي بين التأثر والتأثير، إدارة الثقافة، الرياض، ١٩٨٠م.

٩- **توفيق (د.عمر إبراهيم):** صورة المجتمع الأندلسي في القرن الخامس الهجري، الطبعة الأولى، دار غيداء، عمان، ٢٠١١م.

١٠- **الحجي (د.عبد الرحمن علي):** التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، الطبعة الثانية، دار القلم، بيروت، ١٩٨١م.

١١- **حسن (د.علي إبراهيم):** استخدام المصادر وطرق البحث في التاريخ الإسلامي وفي التاريخ المصري الوسيط، الطبعة الثالثة، مطابع السلام، القاهرة، ١٩٨٠م.

١٢- **حسين (د.حمدي عبد المنعم):** التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس عصر المرابطين، دار المعرفة، الإسكندرية، ١٩٩٧م.

١٣- ـــــــــــــــــــــــــــــ: الحضارة الإسلامية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٨م.

١٤- **حركات (د.إبراهيم):** المغرب عبر التاريخ، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ٢٠٠٠م.

١٥- **خالص (د.صلاح):** إشبيلية في القرن الخامس الهجري، بيروت، ١٩٨١ م.

١٦- **أبو الخيل (د.محمد بن إبراهيم بن صالح الحسين):** جهود علماء الأندلس في الصراع مع النصارى خلال عصري المرابطين والموحدين (٤٨٣هـ/ ١٠٩٠م – ٦٤٠هـ/ ١٢٤٢م)، الطبعة الأولى، دار أصداء المجتمع، السعودية، ١٩٩٨م.

١٧- **دحماني (د.شريفة محمد عمر):** العلاقات السياسية بين الطائفتين الأندلسية والبربرية في جنوب الأندلس في عصر ملوك الطوائف، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ٢٠٠٦م.

١٨- **الدباغ (د. عبد الوهاب خليل الدباغ):** سرقسطة بوابة الأندلس الشمالية في عصر بني هود (٤٣٠ – ٥٠٣هـ/ ١٠٣٨ – ١١٠٩م)، الطبعة الأولى، صفحات للدراسات والنشر، القاهرة، ٢٠١٢م.

١٩- **الدغلي (د.محمد سعيد):** الحياة الاجتماعية في الأندلس، الطبعة الأولى، دار إشراقة، ١٩٨٤م.

٢٠- **دوزي (رينهرت):** المسلمون في الأندلس، ترجمة د.حسن حبشي، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٩٥م.

٢١- **دندش (د.عصمت):** أضواء جديدة على المرابطين، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩١م.

٢٢- ــــــــــــــــــــــــــــــ: الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٨م.

٢٣- **الذنون (د.عبد الحكيم):** آفاق غرناطة، الطبعة الأولى، دار المعرفة، القاهرة، ١٩٨٨م.

٢٤- **الزركلي (خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الدمشقي):** الأعلام، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٩٥٤م.

٢٥- **السامرائي (د.خليل إبراهيم) وطه (عبدالواحد ذنون) ومطلوب (ناطق صالح):** تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، الطبعة الأولى، دار الكتاب الجديدة، بيروت، بدون تاريخ.

٢٦- **سالم (د. السيد عبد العزيز سالم):** المغرب الكبير (العصر الإسلامي)، الطبعة الأولى، الإسكندرية، ١٩٦٦م.

٢٧- ـــــــــــــــــــ: التاريخ والمؤرخون العرب، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٦٧م.

٢٨- ـــــــــــــــــــ: قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٩٧م.

٢٩- ـــــــــــــــــــ: تاريخ مدينة المرية الإسلامية قاعدة أسطول الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٨٤م.

٣٠- ـــــــــــــــــــ: أسماء قصور بني عباد بإشبيلية الواردة في شعر ابن زيدون، مجلة الأوراق، يصدرها المعهد الأسباني العربي للثقافة، العدد الثاني، ١٩٧٩م.

٣١- **سالم (د. سحر السيد عبد العزيز):** تاريخ بطليوس الإسلامية وغرب الأندلس في العصر الإسلامي، الإسكندرية، ١٩٨٧م.

٣٢- ـــــــــــــــــــــــــــ: شاطبة الحصن الأمامي لشرق الأندلس في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٩٥م.

٣٣- ـــــــــــــــــــــــــــ: من جديد حول واقعة الزلاقة الثانية، ضمن بحوث ندوة الأندلس الدرس والتاريخ، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، ١٩٩٤م.

٣٤- **سيسالم (د.عصام سالم):** جزر الأندلس المنسية ((التاريخ الإسلامي لجزر البليار))، الطبعة الأولى، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٤م.

٣٥- **الشريف (د. خالد بن عبد الله):** مدينة مالقة منذ عصر الطوائف حتى سقوطها (٤٢٢هـ -٨٨٢هـ)، الطبعة الأولى، مكتبة الملك فهد الوطنية – الرياض، ٢٠٠٩م.

٣٦- **الصبابطي (عصام الدين):** جامع الأحاديث القدسية، دار القلم للتراث، القاهرة، بدون تاريخ.

٣٧- **العبادي (د.أحمد مختار):** دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٩٧م.

٣٨- **عباس (د.إحسان):** تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين، الطبعة الأولى، دار الشروق، عمان، ١٩٩٧م.

٣٩- **عبد الإله (بنمليح):** ظاهرة الرق في الغرب الإسلامي، منشورات الزمن، الرباط، ٢٠٠٢م.

٤٠- **عبد الرازق (د. محمود إسماعيل):** قراءات نقدية في الفكر العربي المعاصر ودروس في الهرمينيطقا التاريخية، دار مصر العربية، القاهرة، ١٩٩٨م.

٤١- **عبود (د.محمد بن عبود):** جوانب من الواقع الاندلسي في القرن الخامس الهجري، مطبعة النور، المغرب، ١٩٨٧م.

٤٢- **عنان (محمد عبد الله):** دول الإسلام في الأندلس (العصر الثاني)، الطبعة الرابعة، مطبعة المدني، القاهرة، ١٩٩٧م.

٤٣- ــــــــــــــــــــــــــــــ: عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، الطبعة الثانية، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٠م.

٤٤- **عناني (د.محمد زكريا):** تاريخ الأدب الأندلسي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٩م.

٤٥- **أبو العلا (د. إبراهيم عبد المنعم سلامة أبو العلا):** الشفاعات الدنيوية في الأندلس (منذ الفتح الإسلامي حتى نهاية عصر الدولة العامرية)، دار المعرفة، الإسكندرية، ٢٠١٣م.

٤٦- ـــــــــــــــــــــــــــ: عمان معبرًا لتجار الأندلس وعلمائها إلى بلاد فارس وشرق أفريقيا (ق٣-٥هـ/ ق٩-١١م)، الطبعة الأولى، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، ٢٠١٥م.

٤٧- ـــــــــــــــــــــــــــ: مقدمة في مصادر التاريخ الإسلامي ومناهجه، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠١٦م.

٤٨- ـــــــــــــــــــــــــــ: رعاية الأيتام واللقطاء في الأندلس منذ الفتح الإسلامي حتى نهاية دولة المرابطين (٩٢ – ٥٢٠هـ/ ٧١١ – ١١٢٦م)، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠١٦م.

٤٩- **أبو الفضل (د. محمد أحمد):** شرق الأندلس في العصر الإسلامي، بدون رقم طبع، دار المعرفة، الإسكندرية، ١٩٩٦م.

٥٠- **الفقي (د.عصام الدين عبد الرؤوف):** دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٩م.

٥١- **فكري (د.أحمد):** قرطبة في العصر الإسلامي (تاريخ وحضارة)، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، بدون تاريخ.

٥٢- **كحيلة (د.عُبَادة بن عبد الرحمن رضا):** المُغرب في تاريخ الأندلس والمغرب، الطبعة الثانية، جامعة القاهرة، ٢٠٠٠م.

٥٣- **لوبون (غوستاف):** حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، الهيئة المصرية للكتاب، ٢٠٠٠م.

٥٤- **لوثينا (لويس سيكو دي لوثينا):**الحموديون سادة مالقة والجزيرة الخضراء، ترجمة د.عدنان محمد آل طعمه، الطبعة الأولى، دار شهد الدين، دمشق، ١٩٩٢م.

٥٥- **محمود (د.حسن أحمد):** قيام دولة المرابطين، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٥٦م.

٥٦- **محمود (د. مصطفى):** الشفاعة محاولة لفهم القديم بين المؤيدين والمعارضين، مؤسسة أخبار اليوم، القاهرة، ١٩٩٩م.

٥٧- **مراد (د.حسين سيد عبد الله):** المتصوفة في المغرب الأقصى في عصر المرابطين والموحدين (٤٥٤ه - ٦٦٨هـ/ ١٠٦٢م - ١٢٦٩م)، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، القاهرة، ١٩٩٤م.

٥٨- **أبو مصطفى (د. كمال السيد):** جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل وفتاوى المعيار المعرب للونشريسي، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، ١٩٩٦م.

٥٩- ـــــــــــــــــــــــــــــــــ: محاضرات في تاريخ الغرب الإسلامي وحضارته، مركز الإسكندرية للكتاب، ٢٠٠٧م.

٦٠- **مكي (د.محمود علي):** وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين، صحيفة معهد الدراسات الاسلامية، مدريد، المجلد السابع، العدد ١-٢، ١٩٥٩م.

٦١- **مؤنس (د. حسين):** الثغر الأعلى الأندلسي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٩٩٢م.

٦٢- ــــــــــــــــــــ: أطلس تاريخ الإسلام، الطبعة الأولى، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ١٩٨٧م.

٦٣- ــــــــــــــــــــ: موسوعة تاريخ الأندلس، الطبعة الأولى، مكتبة الثقافة، القاهرة، ١٩٩٦م.

٦٤- ــــــــــــــــــــ: شيوخ العصر في الأندلس، الطبعة الرابعة، دار الرشاد، القاهرة، ١٩٩٧م.

٦٥- **المسير (د. محمد أحمد):** الشفاعة في الإسلام، دار مكتبة الحياة للنشر والطباعة، القاهرة، ١٩٩٠م.

٦٦- **ميراندا (اويثي):** علي بن يوسف وأعماله في الأندلس، مجلة تطوان العدد الثالث والرابع (١٩٥٨ – ١٩٥٩م).

٦٧- **نصر الله (د. سعدون عباس):** دولة المرابطين في المغرب والأندلس (عهد يوسف بن تاشفين)، الطبعة الأولى، دار النهضة، بيروت، ١٩٨٥م.

٦٨- **هاشم (د. أحمد عمر):** الشفاعة في ضوء الكتاب والسنة، أطلس للنشر، القاهرة، ٢٠٠٤م.

٦٩- **الوادعي (مقبل بن هادي):** الشفاعة، الطبعة الثالثة، مؤسسة الريان، بيروت، ١٩٩٩م.

ثالثًا: الرسائل الجامعية غير المنشورة

١- **بيه (محمد محمود عبد الله):** الأثر السياسي للعلماء في عصر المرابطين، رسالة ماجستير نوقشت بالشريعة والدراسات الإسلامية بأم القرى، ١٩٩٧م.

٢- **خليفة (صلاح أحمد عيد):** عامة قرطبة منذ بداية الفتنة حتى نهاية عهد المرابطين (٣٩٩- ٥٤٣هـ/ ١٠٠٩ – ١١٤٨م)، رسالة دكتوراة، نوقشت بآداب المنيا، ١٩٩٦م.

٣- **لعناني (مريامة):** الأسرة الأندلسية في عصري المرابطين والموحدين، رسالة ماجستير، نوقشت بالعلوم الإنسانية والاجتماعية بمنتوريقسنطية، بدون تاريخ.

٤- **الهرفي (سلامة محمد سلمان):** الأحوال السياسية وأهم مظاهر التطور الحضاري لدولة المرابطين في عهد علي بن يوسف بن تاشفين (٥٠٠هـ – ٥٣٧هـ)، رسالة ماجستير، نوقشت بالشريعة والدراسات الإسلامية بأم القرى، ١٩٨٢م.

رابعًا: المراجع الأوروبية الحديثة

1- AguadoBleye، Manual de historia de Espana، t، I Madrid 1947 .

2- Antonio Preito R Vives : Los Reyes de Taifas، Madrid، 1926.

3- Bosch Villa (J.)، Historia de Sevilla، La Sevilla Islamica، Sevilla، 1984 .

4- Chalmeta (Pedro)، Invasion e Islamizacion ، Madrid ، 1994 .

5- Codera La Familia real de Los Beni Texufin ، Madrid، 1917 .

6- Levi –Provencal، Histoire de L'Espange musulmane، t، III، Paris، 1967 .

7- Simonet، Historia de Los Mozarabes de Espana، Madrid 1897.

8- Pidal، (Ramon Menedez)، La Espanadel Cid، Cuartoedicion، Madrid، 1947.

9- Vallve (Joaquin)، Nuevasideas sobre la conquista Arabe de Espana، Madrid، 1989 .

10-________________________________، Nasr El Valido de Abd Al – Rahman II، R.Al-Qantara، Vol II، Madrid، 1985.



فهرس المحتويات

ببلومانيا للنشر والتوزيع





ببلومانيا للنشر والتوزيع



